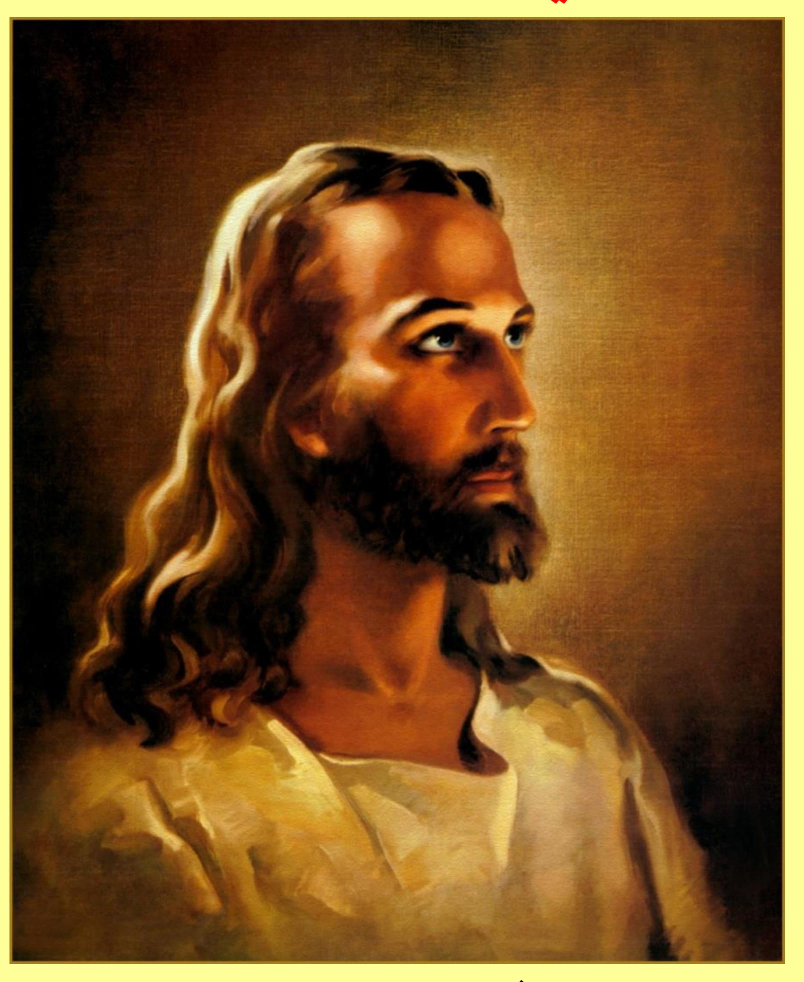
الدكتور
اسامة عدنان يحيى

السوما-الهاوما والسيد المسيح

نظرة في معتقدات شرقية قديمة



اشوربانيبال للكتاب

السوما-الهاوما والسيد المسيح

السوما-الهاوما والسيد المسيح
نظرة في معتقدات شرقية قديمة

الدكتور
اسامة عدنان يحيى



اشوربانيبال للكتاب

السوما-الهاوما والسيد المسيح
نظرة في معتقدات شرقية قديمة
الدكتور اسامة عدنان يحيى

الطبعة الاولى: ٢٠١٧
جميع الحقوق محفوظة للناشر©: اشوربانيبال للكتاب
ان الدار غير مسؤولة عن اراء المؤلف وافكاره انما يعبر الكتاب عن اراء مؤلفه
العراق-بغداد-شارع المتنبي
البريد الالكتروني: ashurbanipal668@yahoo.com

اليك...

ابي...

الى الان ما زلت اشتاق اليك

رغم سنوات الفراق الطويلة

اليكِ...

اروع امرأة في العالم...

امي...

شكرا...

لولاك لما وصلت الى ما انا فيه...

المحتويات

1

السوما/الهاوما
نظرة في المعتقدات الهندية-الايرانية القديمة

السوما/الهاوما[1] الاله-النبات:

السوما/الهاوما احد الالهة العتيقة في التقاليد الهندية-الايرانية، ففي الهند كان السوما اله ونبات في ان واحد، وفي ايران تم تمثيل الهاوما في الهاوما ياشت على انه رب زرادشتي، وكان زرادشت ادعى بأنه تكلم معه وجها لوجه، اذ

---

[1]) ان الدراسة الحالية ستعتمد بشكل رئيس على كتاب الـ ريگ-ڤيدا الهندي والكتب الدينية الزرادشتية، ومن اجل الحصول على ترجمة كاملة للـ ريگ-ڤيدا انظر:

T.H. Ralph Griffith, The Hymns Of The Rig-Veda(Benares,1896); Wendy Doniger, The Rig-Veda,(London,1981);

وان اقدم الترجمات للنصوص الزرادشتية يمكن الحصول عليها في:

James Darmesteter, The Zend Avesta,(Oxford,1880),Part: I; James Darmesteter, The Zend Avesta,(Oxford,1882),Part: II; James Darmesteter, The Zend Avesta,(Oxford,1887),Part: III; E.W. West, Pahlavi Texts,(Oxford,1880),Part: I; E.W. West, Pahlavi Texts,(Oxford,1882),Part: II; E.W. West, Pahlavi Texts,(Oxford,1885),Part: III; E.W. West, Pahlavi Texts,(Oxford,1892),Part: IV; E.W. West, Pahlavi Texts,(Oxford,1897),Part: V; A. V.W. Jackson and Others, Ancient Persian, In: The Sacred Books and Early Literature of The East,(New York,1917),Vol:2.

ويمكن الحصول على ترجمة حديثة لكل من الگاثا والياشت في:

Ervad Maneck Furdooji Kanga, Gatha,(Mumbai,1997); Ervad Maneck Furdooji Kanga, Yasht,(Mumbai,2001).

وللحصول على ترجمة عربية جزئية انظر: داود الجلبي الموصلي، كتاب الفنديداد اهم الكتب التي تتألف منها الابستا،(الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة،1952). وهناك ترجمة احدث نفذها: خليل عبد الرحمن، افستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية،(دمشق: روافد للثقافة والفنون،2008).

تم تصوير الهاوما على انه الابن السماوي لـ اهورامزدا، وبأنه كان يقترب من الرسول زرادشت عندما يكون منشغلا بالاعتناء بالنار المقدسة وينشد الترانيم عليها[1]: "مضى اليه هاوما، فسأله زرادشت: من انت ايها الانسان الذي لم ار مثل روعتك في كل العالم المادي، مثل ظاهرك المنير، والخالد؟"[2]. ويظهر الهاوما كإله وهو يقدم قربانه الى الربة درفاسبا فوق جبل هارايتي(Haraiti)[3]،ونحن نعرف ان الاله اهورامزدا قد اقام هاوما ليكون كاهنه السامي[4]. وهذه المسألة سنعود اليها لاحقا. كما يظهر الهاوما وهو يعبد كل من سراوش: "المبارك الذي عبده الهاوما فوق اعالي قمة هارايتي..."[5]، كما يعبد ميثرا: "الذي تضرع له هاوما"[6]. ولا نعرف كيف ظهر هذا الاله، ومن اوجده، ففي الهند يقال عن السوما عادة بأن مولده عتيق[7]، لذا نقرأ خطابا موجها له لا نكون مخطئين ان قلنا انه يشبه الى حد كبير الترانيم المسيحية: "طوبى لك يا اندو النقي، فقد ولدت عظيما، فكن منتصرا في كل مكان"[8].ولكن في ايران نمتلك معلومات اكثر حول اصل هذا الاله، فهو حسب التقاليد الايرانية كان هذا الاله قد خلقه اله اخر يدعى الاله الماهر،: "لقد خلقك الاله الماهر سريعا،

---

[1]) ر. س. زيهنير،المجوسية الزرادشتية: الفجر-الغروب، ترجمة: سهيل زكار،(دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع،2005)،ص104.

[2]) ياسنا،9: 1.

[3]) ياشت،9: 17.

[4]) زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص122

[5]) ياسنا،57: 19.

[6]) ياشت،10: 88.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 3: 9.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 59: 4.

وحكيما"[1]. ويخاطب الهاوما بكونه مخلوق: "الخالق السريع انت. لقد نقشك الاله الخيّر..."[2].ولكن لا نعرف من هو هذا الاله الذي ينسب اليه خلق الهاوما، ربما كان المقصود به اهورامزدا، وهذا الرأي يتأكد اذا ما قرأنا مقطع منسوب الى زرادشت يقول: "المجد لهاوما الذي خلقه مزدا، طيب هاوما الذي خلقه مزدا"[3].

يظهر الهاوما في التقاليد الافستية كما هو الحال في التقاليد الفيدية كنبات: "اعرفك اولا بنباتاتك"[4]، وكما هو الحال مع الاله معلوماتنا عن نبات الهاوما قليلة الى حد كبير، ففي الهند نقرأ ان الاله اندرا هو الذي وضع السوما على الجبل[5]، غير اننا نعرف ان من قام بزراعة الهاوما في ايران هو الاله الماهر(الاله اهورامزدا كما رأينا سابقا)، على قمة جبل هارايتي(Haraiti)(لا نعرف اين تقع) :"زرعك الاله الماهر سريعا وحكيما على قمة جبل هارايتي"[6]؛و"جلبك الاله الخيّر الى هارايتي العالية"[7]، الحقيقة ان هذه القضية مهمة جدا لمعرفة الفرق بين كلا الهنود والايرانيين، فالإله اندرا في الهند هو من الهة الديفا، في حين كان العمل المنسوب اليه في ايران اصبح من نصيب اهورا

---

[1]) ياسنا،10: 10.

[2]) ياسنا،11: 10.

[3]) ياسنا،10: 17.

[4]) ياسنا،10: 2.

[5]) ميرتشيا الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس،(دمشق: دار دمشق للنشر،1987)،ج1،ص248.

[6]) في الحقيقة ان نص ياسنا،10: 10، يرد فيه ذكر هاوما مرتين الاولى عندما خلقه الاله الماهر، والثانية عندما زرعه الاله الماهر. لذا افترضت ان الاولى تخص الاله، والثانية تخص النبات.

[7]) ياسنا،11: 10.

الذي يطلق عليه اسم اسورا في الهند، وهي طبقة الهية مضادة لطبقة الديفا، وكان الاخيرون في ايران شياطين، وهكذا نسب زراعة نبات الهاوما/السوما لكل من الهة الديفا والاهورا في الهند وايران على حد سواء. كما ان الهاوما في ايران ينبت ايضا على جبل هكاري[1]،كما كان ينمو على مختلف قمم الجبال والمرتفعات[2]، وهو يُخاطب بذلك: "انت تنبت على الجبال، بعيدا، في طرق عديدة..."[3]، أو نقرأ: "الجبال العالية حيث تنمو انت يا هاوما"[4].ويشير مقطع اخر الى ان نبات الهاوما ينمو في اعالي الجبال الشامخة، وفي الاغوار، والوديان، والشقوق[5]. يتضح مما سبق ان الاله اهورامزدا هو من زرع الهاوما على قمة جبل هارايتي. ويظهر ان اهورامزدا لم يقم بنفسه برفع الهاوما الى قمة جبل هارايتي، وهذا يتضح من رواية تقول ان الذي رفع الهاوما الى جبل هارايتي هو كاهن الاله اهورامزدا الاول: "هو كان الكاهن الاول، الذي رفع الهاوما نحو قمة جبل هارايتي"[6]. ان مقطع ياشت،10: 89، السابق لما اوردناه غامض نوعا ما اذ يقول: "عينه اهورامزدا كاهنا لنفسه"، ولا يصرح النص من هو كاهنه أ هو ميثرا الذي كتب الياشت العاشر كله لتقديسه، أم هو الهاوما الذي ورد ذكره في المقطع السابق(10: 88)، بأنه قدس ميثرا، وكان الاستاذ زيهنير قد عد المقطع

---

[1]) ياشت،10: 88.

[2]) ياسنا،10: 3؛ 42: 5.

[3]) ياسنا،10: 4؛ 11: 12.

[4]) ياسنا،11: 2.

[5]) ياسنا،10: 17.

[6]) ياشت،10: 90.

يتحـدث هنـا عـن هاومـا نفسـه[1]. في حـين كـان الاسـتاذ اليـاده قـد اكـد ان اهورامزدا كرس هاوما بصفة كاهنا لميثرا وهو يعبده اي يقدم له الاضاحي[2].

ان نمو السوما/الهاوما في الجبال امر مفهوم بشكل كاف للمؤرخ، ولكن وجـود اشـارات في النصـوص الفيديـة والافسـتية تـربط السـوما/الهاوما بـالطيور امر غير مفهوم وغامض، ففي مقطع مهم نقرأ فيه: "ايها الملك الغني القدير، الا فليحملك عصفور الگايتري البري من السماء العليـا"[3]. وربمـا ان هـذا الطـائر يشير الى الصقر[4]، ونحن نقرأ في اسطورة فيدية ان عُقاب يوصف بكونه طائر من السـماء ينـدفع مع سـرعة الفكـر ويغتصب معقـل البرونـز؟، ويقـبض الطـائر على نبتة السوما ويعيدها الى الارض. ولكن نمو السوما من المفترض ان يكون في الجبـال، وهـذا مـا يشـكل تناقضـا كمـا يبـدو، ولكـن مـن جهـة ثانيـة، فـإن نصوصـا اخـرى تؤكـد على ان السـوما ينبـت في رحـم الارض على الجبـال اي في مركـز العـالم[5]. مـا هـو معقـل البرونـز؟ لا يمكـن الان ان نجـد اجابـة شـافية حـول ماهيتـه، ولكـن يبـدو مـن سـياق الاسـطورة انـه مكـان السـوما، الـذي يقـوم طـائر بأخـذ النبتـة الى الارض، وهـذا كمـا قلنـا يتنـاقض مع فكـرة ان السـوما ينمـو في الجبـال، الا ان وصـف السـوما بأنـه ينمـو في رحـم الارض على الجبـال يحـل هـذا التناقض، اذ يبدو ان الطائر لم يحمل السوما الى الارض انما الى الجبال، ولعل

---

[1]) المجوسية الزرادشتية،ص102.

[2]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص399.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 48: 3.

[4]) انظر ترجمة هذا الطائر بالصقر في:

Griffith, The Hymns Of The Rigveda,P.383.

[5]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص258.

ما يؤيد هذا الافتراض ما يرد في النصوص الافستية، اذ احد المقاطع يقول: "تنمو يا هاوما على درب الطيور"[1]. ما هو درب الطيور؟ في ظل غياب نصوص كافية فإن التكهن هنا سيكون ضربا من المستحيل. مع ذلك هناك اشارة غير مفهومة تشير الى قيام الطيور بحمل نبات الهاوما الى قمم الجبال: "...ان الطيور الجليلة قد حملتك الى القمم التي لا يمكن ان تصلها النسور، الى اقصى قمة في الجبل، الى الاغوار، والهاويات، الى اعالي دروب عديدة، والى قمم الثلج دائمة البياض. هناك يا هاوما، على السلاسل الجبلية تنمو بأنواع عديدة"[2]. وهناك مقطع مشابه لهذا يقول: "الطيور الاحتفالية رفعتك عاليا، نحو القمم المقدسة، التي تصل الى النجوم، حيث لا يستطيع النسر الوصول اليها، وزرعتك على الشعاب والوديان السحيقة، وعلى قمم بدون دروب، وعلى الأعالي البيضاء"[3]. ومن خلال الادلة الافستية يمكن ان نكون على شيء من الثقة ان الاسطورة الفيدية تتحدث عن حمل الطير للسوما الى الجبال وليس الى الارض.

كيف يمكن ان نفسر هذه الاشارة ؟ من اين نقل الطيور نبات الهاوما الى الجبال؟ هل يمكن تفسير النص بالشكل التالي: ان الاله الخالق اهورامزدا خلق الهاوما، وقامت الطيور بنقله من الارض الى الجبال؟ ولكن هذا يتناقض مع الروايتين السابقتين حول رفع الهاوما الى الجبال من قبل اهورامزدا، أو الهاوما نفسه؛ أو ان الطيور حملت نبات الهاوما من جبل هارايتي الى بقية الجبال؟ الاحتمالان ممكنان لاسيما في ظل قلة النصوص التي تقدم اجابات محددة وواضحة. وهل يمكن ان نربط هذا المقطع بذلك الخاص بدرب الطيور؟

---

[1]) ياسنا،11: 4.

[2]) ياسنا،10: 11-12.

[3]) ياسنا،11: 11.

امر لا يمكن القطع به حاليا. وخلال العصور المتأخرة اعتقد الزرادشتيون ان نبات هوم(الهاوما) ينمو في اعمق مكان من بحر فاروكاش(Varkash)، حيث خصصت له 99,999 من الارواح البررة لحمايته[1]. وقيل انه خلق في نبع الماء اردفيسور[2].

يتمتع نبات الهاوما برائحة زكية[3]، ولكن لا نعرف ما شكله تحديدا، ومهما كان النبات المستعمل في العصور الاولى من قبل الهندو-ايرانيين، فمن المؤكد انه بعدئذ استبدل بأنواع نباتية اخرى[4]. غير انه يوصف بكونه نباتا اصفر ومتلألئ، ربما شيء ما يشبه نبات الراوند الحالي، والذي يعثر عليه في الجبال الايرانية حتى اليوم، والذي يغدو اكسيراً للحياة عندما يتم عصره[5]: "هاوما ذي الازهار الذهبية"[6]، أو: "هاوما العالي الجميل الذهبي"[7]، أو يوصف بأنه: "ذو الرؤوس الذهبية"[8]، أو: "ذو الاعين الذهبية..."[9].ويرد في مصدر متأخر الى الهوم الابيض[10].وربما، وبحسب النصوص ان له نوعان، كل نوع يتميز بلون

---

1) دادستان مينوگ وخراد،62: 28.

2) بنداهشن،27: 4.

3) تبقى هذا المسالة عرضة للمناقشة، اذ لا نعرف حاليا ان كان النبات بالفعل يحتوي على رائحة زكية، أم مجرد مبالغة للتقديس، فالنص هنا نوعا ما غامض: "النباتات ذات الرائحة الزكية المنتشرة بسرعة ذات النمو الطيب للإله يا هاوما".انظر:ياسنا،10: 4.

4) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

5) زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص99.

6) ياسنا،42: 5.

7) فينديداد،19: 18.

8) ياشت،10: 88.

9) ياشت،9: 17.

10) بنداهشن،27: 4.

مختلـف عـن الاخـر؛ النـوع الاول: لونـه ابـيض حليبي، والنـوع الثـاني: لونـه ذهبي(ربما المقصود اصفر)[1]. ولكن هل كان وصف اللون الذهبي تعبيرا مجازي عن اللون الاصفر فعلاً؟ لأننا وكما سنرى لاحقا ان عصير الهاوما لونه اصفر، وربما جاء وصف اللون بالذهبي لكون الاله الهاوما يوصف بكونه ذي الاعين الذهبية. وبالتالي يمكننا ان نستنتج ان الهاوما نبات له ازهار اما صفراء، أو بيضاء.

تحضير الشراب:

يظهر في النصوص الفيدية والافستية كيف يتم تحويل الهاوما الاله/النبات الى شراب، رغم ان التفاصيل حول ذلك قليلة جدا.

لم يكن تحضير السوما/ الهاوما عملا عاديا، اذ انه حُظّر في الاصل في السماء: "شرابك المقدس، في السماء مولده"[2]. فتحضير الشراب هو بالدرجة الاساس مسألة طقسية، يتم وفق خطوات توارثها الهنود والايرانيون على حد سواء: "ها قد استخرج الحكماء لبن السوما وفق الاعراف"[3]. ويقتصر تحضير السوما/الهاوما على الكهنة، ففي الهند كان الكهنة هم الذين يقومون بتحضير السوما: "هذا السوما الالهي النقي البهي قد تعهده الكهنة، اولئك الذين يُسبّحون، والى قدرته قدرة يضيفون"[4]، كما نقرأ في نصا اخر كيف يقدم الكهنة على تحضير الشراب من اجل الاله اندرا: "ايها الالهي، ها قد اعد الاحبار

---

[1]) ياسنا،10: 12.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 10.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 54: 1.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 3: 3.

لبنك لـ اندرا"[1]. وهناك نصا مختصرا جدا ولكنه معّبر بشكل كاف يقول: "ان الحكماء ينتجونك"[2]. ولا ندري ان كان تحضير السوما يقتصر على الكهنة الذكور، اذ ربما من احدى المقاطع الفيدية يمكن ان نفهم ان كاهنات اناث كن يشاركن في تحضيره،: "كما تُهلّل العذراء لحبيبها، هكذا تُهلّل عشر فتيات كاهنات لك ايها السوما"[3]. والحقيقة لا نعرف تحديدا عدد الكهنة المشاركين في تحضيره، وربما كان عددهم سبعة: "بعد ان يهيئه الاحبار السبعة"[4]. وهذا الصورة نجدها ايضا في ايران ايضا عندما نعرف ان الكهنة هم يقوم بتحضير الهاوما[5].

ان عملية تحضير الهاوما في النصوص الافستية تعرف باسم بارا-هاوما(Para-haoma)[6]، وهي عملية توصف في الهند بكونها ولادة للسوما: "سوما يولد، وكأبن عظيم نقي"[7].غير لا نعرف اين تتم عملية تحضير المشروب،

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 2. انظر نصوصا مشابهة تتحدث عن دور الكهنة في تحضير الشراب في،24: 3.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 6.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 56: 3.

[4]) ريگ-ڤيدا، الكتاب التاسع،9: 4. ان النصوص في هذا الجانب غامضة فصحيح ان النص اعلاه اشار بشكل صريح الى عدد الكهنة، غير اننا نجهل ان كان المقصود بتهيئة شراب السوما هو عملية التحضير أم تقديم الشراب بعد الانتهاء من عملية التحضير نهائيا، وهذا الشك نابع من حقيقة كون ان اشارة اخرى تذكر ان 10 من الكهنة ينقون شراب السوما، و7 اخرين يقدمونه، الريگ فيدا،9، 8: 4. وبالتالي فان ذكر الكهنة السبعة مرتين ربما تشيران الى مسألة واحدة هي تقديم الشراب وليس تحضيره.

[5]) ياسنا،11: 2.

[6]) ياسنا،3: 2.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 9: 3.

فربما كان الهاوما يحضر في مكان مخصص لذلك يعرف باسم: "بيت هاوما"[1]. هل هو معبد مخصص لعبادة هاوما؟ ربما كان كذلك. ويمر تحضير الهاوما بعدة مراحل معلوماتنا عنها قليلة جدا[2]. ويمكن تلخيص عملية التحضير بالخطوات التالية مستخلصة من النصوص الفيدية والافستية:

1. **عملية التصفية الاولى:**

تبدأ عملية التحضير بتنقية النبات الخاص بالشراب من الشوائب التي ربما كانت اعشاب أو حشائش كانت مختلطة مع النبات عند جمعه ، كما يتضح من اشارة في النصوص الفيدية تذكر: "ابنة الشمس تنقي في مصفاتها السرمدية العشبة التي تصنعك"[3]، وبلا شك هذه الاشارة تشير الى التصفية الاول؛ فالتصفية هنا لا تخص الشراب المعصور بل تخص العشبة التي تستخدم لتحضير الشراب.

2. **عصر النبات:**

بعد تنقية النبات من الشوائب تبدأ عملية عصر النبات، وهذا يتضح جليا في تقاليد كلا من الهنود والايرانيين على حد سواء، فبالنسبة للسوما كان يتم عصر عشبة السوما: "انهم اياها(عشبة السوما) يعصرون، وغشاءها يسحقون، وهذا العسل الوهاج يعصرون..."[4]، أو يتم عصر بذار السوما: "ان الشراب

---

[1]) في الواقع ليس هناك اشارة صريحة الى ان بيت هاوما هو المكان المخصص لتحضير الهاوما، لكن الباحث استنتجه من مقطع ورد في ياسنا،11: 1، بأن اشا تمنح السعادة: "لهذا البيت المقدس، بيت هاوما القوي جدا".

[2]) ياسنا،11: 2.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 6.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 8.

المسكر المصنوع من بذارك النقي"[1]. والحقيقة لا تتحدث النصوص عن المسألة بوضوح، ونحن لا نعرف الفرق بين عصر العشبة، أو عصر البذار، فهل لم يعرف الهنود النبات الاصلي للسوما، لذا اختاروا نباتات اخرى لاستخراج الشراب، بعضها يتم عصر اعشابها، واخرى يتم عصر بذارها؟ ربما. وهناك نص يوضح كيف ان الكهنة من اجل استخراج العصير سحقوا السوما[2]، واذا ما ادركنا ان السوما بالأصل الها لأصبح الوصف الاخير مؤثرا الى حد بعيد، فهم ببساطة سحقوا الاله!!. وتقدم النصوص الافستية في ايران تفاصيل اكثر غنى عن مرحلة العصر، اذ يبدو ان عملية العصر يسبقها قيام الكاهن بتمجيد الهاوما: "امجد تحضيرك الاول بالكلمة ايها الحكيم، عندما يأخذ الكاهن الغصن، وامجد التحضيرات الاخرى بالكلمة ايها الحكيم"[3]. ان الشيء المؤكد هنا ان هذا التمجيد سيتم قبل عملية العصر لاسيما وان النص يشير ان التمجيد يبدأ عندما يأخذ الكاهن الغصن، ويستمر التمجيد خلال المراحل اللاحقة لعملية التحضير.

ان عملية العصر في ايران تتم كذلك عن طريق تحويل النبات الى شراب بعصره، أو هرسه، ونحن نقرأ في الهاوما ياشت كيف يخبر الاله هاوما زرادشت من يكون هو، ويأمره ان يجمعه في شكله النباتي ويسحقه في المهراس، ويستخرج العصارة منه ويتناولها. ويبدو ان الحوار الذي جرى بين الهاوما وزرادشت يوضح ان هذه العبادة ليست عبادة جديدة كان يتم ادخالها، بل عبادة يعود تاريخها الى اول الزمن، وكان فيفاهفانت هو خالق العبادة وكان

---

1) ريگ-ڤيدا،9، 61: 17

2) ريگ-ڤيدا،9، 34: 3.

3) ياسنا،11: 2.

بالأصل رب الشمس، وتم منحه ابنا رائعا هو ييما[1].وكما هو الحال دوما مع القدماء، يبدو ان اول من قام بهرس الهاوما هم الالهة: "لقد هرستم الهاوما يا خشاترا، واشا..."[2]. ومن ثم كان على البشر ان يقوموا بهذا العمل الهام: "بهرسي اياك ايها الذكي...وبقوة الرجل الكاملة اهرس[هذه النباتات]"[3]. ان هرس نبات الهاوما يجب ان يكون جيدا، والا ستقل فوائده،: "كلما كان هرسك اخف يا هاوما، كان تمجيدك اضعف، وتذوق شرابك اقل، وتوفير الف ضربة للأبالسة ممكنا"[4].

لا نمتلك معلومات كافية عن الادوات التي تستخدم في هرس، أو عصر السوما/الهاوما، ونقرأ في نص فيدي كيف يُخاطب السوما بكونه منساب بين دفتي المعصرة[5]،ونقرأ في مقطع افستي قد يحظى بالأهمية يتحدث عن تقديم مياه الهاوما كهدية الى: "الهاونين الحجري، والحديدي"[6]، كما قدم الزاوتار مع الهاوما الى الهاونين ذاتهما[7].وهناك مقطع اخر يشير الى تبجيل الهاونين كما تبجل مياه الهاوما: "نبجل مياه الهاوما، والمياه الخيّرة، والهاونين الحجري والحديدي"[8]. وهناك ذكر للهاون الحجري مع الهاوما الصفراء، والهاون

---

[1]) ياسنا،9: 2. انظر ايضا: زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص104-105؛الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص397.

[2]) ياسنا،27: 6.

[3]) ياسنا،10: 2.

[4]) ياسنا،10: 6.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 9: 1.

[6]) ياسنا،24: 2.

[7]) فيسبرد،11: 4.

[8]) ياسنا،25: 2.

الحديدي مع الهاوما الصفراء ايضاً[1].لذا من حقنا التساؤل ما هما هذين الهاونين المذكورين؟ ولماذا يقدم الهاوما كهدية الى هذين الهاونين؟ ولماذا يحظيان بالتبجيل؟ ربما يعود ذلك الى حد ما بكونها يستخدمان في تحضير الهاوما ذاته[2].ويبدو ان استخدام الهاونين في تحضير الهاوما يرافقه صلاة تدعى اهونا-فايريا(Ahuna-Vairya)، هذا اذا ما كان فهمنا لاحد المقاطع الزرادشتية الغامضة صحيحا: "نقدم القرابين بحكمة لـ اهونا-فايريا مرتلة بطهارة، ولا تزال ترتل، وتمتلك تعاليمها العديدة الحكمة الدينية، والتي تصاحب الهاونين اللذين يصبان الهاوما، ويدفعانه ببالغ الدقة"[3]. ما هي صلاة اهونا-فايريا؟ ماذا تتضمن من معلومات؟ ما هي الحكمة الدينية التي تقدمها؟ ولماذا ترافق الهاونين؟ لا نعرف حاليا اجابة شافية، وان كان هناك اعتقاد يشير الى ان زرادشت مُنح من قبل اهورامزدا تعويذة تُقيه غواية الشر، وتساعده في ساعات الحاجة، وتنقذه مما يقع فيه من ضيق، تلك التعويذة هي الصلاة مانترا(Mantra) التي تسمى اهونا-فايريا(Ahuna-Vairya)، وهي صلاة يقصد بها ان يحصن الشخص نفسه من الشر والتي تقول: "ان ارادة الرب تقضي باتباع قانون التقوى، والاستقامة، وان هبات فوهومانو توهب لمن يعمل في هذا العالم الاعمال الطيبة حبا في اهورامزدا، وكل من يقدم المعونة للفقراء من اخوانه يمده اهورا بقوته"[4]. غير ان نص الصلاة هذه لا علاقة لها بتحضير الهاوما، اذا

---

[1]) فيسبرد،11: 2.

[2]) حول استخدام الهاونين في تحضير الهاوما هناك مقطع ربما يدل على ذلك انظر:فيسبرد،12: 2.

[3]) فيسبرد،12: 2.

[4]) حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين،(حلب: مركز الانماء الحضاري،2006)،ص47-48.

لماذا ترافق عملية التحضير؟ ان وجود صلاة تقي الانسان من الشر اثناء تحضير الهاوما ضرورية، لاسيما واذا عرفنا ان احدى اهداف تناول الهاوما كما سيتضح لاحقا هو القضاء على قوى الشر، وبالتالي فإن ترتيل اهونا-فايريا اثناء تحضير الهاوما تهدف الى حماية الانسان من قوى الشر التي ستجهد نفسها من اجل احباط عمله.

يرافق عملية عصر الهاوما القيام بطقس ديني ثاني يهدف الى حماية العالم، ويتلخص ذلك الطقس بقيام الكاهن(ربما كاهن اخر غير الذي يقوم بعملية العصر) بالطواف حول سوق النبات لأجل عصر شراب الهاوما، واداء الصلاة اثناء ذلك،: "عند الطواف الاول يا هاوما، اصلي لك [يا] مبعد الموت من اجل...". ويستمر النص في سرد تنفيذ طقس الطواف، واداء الصلاة ستة مرات، وفي كل مرة يهدف تنفيذ الطقس الى تحقيق غاية، يمكن توضيحها عن طريق الجدول ادناه[1]:

الطواف والصلاة	نتائجه
الطواف الاول	يتم الصلاة للهاوما من اجل عالم منير في كل مكان.
الطواف الثاني	يتم الصلاة للهاوما من اجل الصحة لكل الجسد.
الطواف الثالث	يتم الصلاة للهاوما من اجل حياة مديدة للروح.
الطواف الرابع	يتم الصلاة للهاوما من اجل ان يخطو الشخص على الارض حرا، وقويا، سعيدا، وقاهرا الحسد والدروج(الكذب).
الطواف الخامس	يتم الصلاة للهاوما من اجل ان يمشي الشخص على

[1]) ياسنا،9: 19-21.

	الارض منتصرا في المعركة، قاهرا الحسد والدروج.
الطواف السادس	يتم الصلاة للهاوما من اجل ان يتمكن الشخص من ملاحظة السارق مسبقا، وكذلك قاطع الطريق، والذئب.

3. التصفية الثانية:

ان معلوماتنا عن مرحلة التصفية الثانية جاءتنا بشكل رئيس من النصوص الفيدية، وهذه العملية تخص الشراب المعصور من اجل تنقيته من الشوائب، وتتم مباشرة عند افراغ الشراب في اوعية القرابين كما سنرى لاحقا. وتشير النصوص الفيدية بشكل جيد الى هذه العملية: "ها هم ابناء ايو(Ayou)(البشر) يصفون في اوعيتهم النقية، هذا السوما"[(1)]. وكان الكهنة يأخذون السوما ويسكبونه في مصفاة الصوف[(2)]، من اجل تنقية الشراب: "اننا ننقي شرابك"[(3)]، لذا يوصف السوما بأنه: عابر المصفاة الابدية برشاقة ونقاء ويقتل بطريقه الركشاسا(الشياطين)، والمصفاة التي توصف عادة بالمقدسة محاكة من صوف النعاج[(4)]،ولكن في ايران تتم تصفية عصارة الهاوما مع ماء مكرس بمساعدة قمع محاك من شعر ثور مقدس[(5)].وتهدف عملية التصفية الى تخليصه من الشوائب أو كما يقول الكهنة الهنود انفسهم: "يخرج من المصفاة متخلصا من قذارات جسده الاول..."[(6)]؛ ويقال ايضا ان افراغ الشراب في الوعاء لا يتم الا

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 15: 7.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 28: 1؛ 52: 2؛ 61: 17.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 4.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 5؛ 12: 4؛ 16: 8؛ 38: 1.

[5]) زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص97.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 14: 4.

بعد ان تطهره ايدي الكهنة عن طريق المصفاة[1]، لهذا نقرأ عبارة تخاطب السوما تقول: "انك تُطهر لتقدم قربانا"[2].

يبدو ان تصفية الشراب لا تتم الا وفق طقوس معينة لا نعرف الكثير عنها، الا ان عبارات تذكر بأن الاحبار يطهرون السوما بترانيمهم[3]، أو يقال ان الكهنة احباء اندو يرفعون صوت الابتهال فيتدفق السوما في المصفاة[4]، تشير بلا شك الى وجود تراتيل معينة تتلى اثناء عملية التصفية، وان تلك العملية لا يمكن ان تتم الا بصلاة الى الالهة الام اديتي(Aditi): "سوما جواد طهره الحكماء بأصابعهم، والصلاة على مقربة من اديتي"[5]. وهكذا يمكن ان نخلص ان الكهنة يستخدمون اصابعهم في الضغط على المشروب المعصور لكي يتم تصفيته، ويمكن ان نتأكد من هذه الحقيقة عندما نقرأ في مقطع فيدي يقول ان الاخوة العشرة وهم اصابع اليد يضغطون السوما السخي[6]،بالتأكيد لكي يصفونه، لذا يقال عادة: "ها هي الاصابع العشر تطهر هذا المولى المرصود...وتهبه نقاوة"[7]؛ أو: "ها هي الاصابع العشر تُطهر هذا الالهي ابن المياه"[8].

كانت عملية التصفية ترافقها عملية خض المشروب المعصور المترسب سواء في الاناء الذي عُصر فيه، أو في المصفاة، وكما هو معتاد فإن اول من قام بهذا

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 36: 4؛ 60: 2.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 56: 4.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 29: 2.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 45: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 1.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 28: 4.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 46: 6.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 7.

الفعل هو سوما نفسه: "ها هو اندو يخض هذا الشراب المترسب في الاحواض والمصفاة، متخذا اسم سوما"[1]؛ لذا نجد الكهنة المسئولين عن تحضير الشراب يؤكدون: "الجرن خضوا، والشراب صفوا..."[2].

يقوم بعملية التصفية عدد من الكهنة: "عشرة كهان ينقونك، وسبعة احبار يقدمونك..."[3]؛ وان كنا نقرأ في نص عن العدد نفسه ولكن مع اختلاف الوظائف: "يتآزر عشرة وزراء شبان، وسبعة احبار كهان، لتنقية ذي الالوهية..."[4]. يقدم النصين العدد ذاته بشكلين ففي النص الاول يظهر ان هناك 10 من الكهنة يعملون على تنقية الشراب، ومن ثم هناك 7 اخرين يقدمونه، في حين نقرأ في النص الثاني ان 17 كاهنا يعملون على تصفية الشراب. غير اننا يجب ان نقر اننا لا نستطيع ان نحدد حاليا ان كانت عبارة الاحبار العشرة تشير الى الكهنة أم الى اصابع اليد العشرة[5]. وربما من الافضل ان نفهم عبارة الاحبار العشرة او الاخوة العشرة التي ترد في النصوص الفيدية بانها اشارة رمزية لأصابع اليد. ويبدو ان عملية التصفية تحظى بأهمية كبرى في تحضير الشراب، كيف لا ونحن نقرأ انه بمجرد ما يعبر السوما المصفاة فذلك

---

[1] ريگ-ڤيدا،9، 12: 5.

[2] ريگ-ڤيدا،9، 11: 5.

[3] ريگ-ڤيدا،9، 8: 4.

[4] ريگ-ڤيدا،9، 15: 8.

[5] انظر هذه المقاربة في: ريگ-ڤيدا،9، 1: 7؛ 26: 5؛ 37: 4. لذا نقرأ احيانا ان السوما: "في اصبع الحكيم تكون"، 3: 2.

يعني هزيمة لأعدائه من قوى الظلام: "عبر سوما الحكيم مصفاة الصوف، واقبل ليهزم اعدائه"[1].

4. **الصلاة:**

بعد الانتهاء من تصفية الشراب وقبل افراغه في الاوعية المقدسة المعدة للقرابين كان الكهنة يرفعون الوعاء الى الاعلى باتجاه السماء والتوجه بالصلاة، هذا اذا كان تفسير احد نصوص الفيدا الغامضة صحيحا: "رفع الاحبار بالدعاء هذا السيد النقي الى السماء". ولا نعرف ما هو منطوق الدعاء، وربما تكملة النص تشير الى منطوق ما كان يقوله الكهنة اثناء رفع السوما الى السماء: "انه بعظمته يحوي الجميع، ويدعم الانقياء"[2].

5. **افراغ الشراب في اوعية القرابين:**

كان السوما يُفرّغ من الجرن الذي يوضع فيه الشراب المعصور غير المصفى الى اوعية القرابين بعد مروره في المصفاة: "ها هم الكهنة يسحبونك من الاجران ويقذفونك الى صوف المصفاة نقيا مشعا"[3]؛ أو يقال: "مر في المصفاة، وانسكب في الكؤوس.." [4].وهكذا يتم افراغ الشراب في اوعية القرابين، وهي عملية وصفت بدقة في النصوص الفيدية، اذ نقرأ كيف: "حرك الاحبار بأيديهم سيد الصلاة المنيع..."[5]. ويستمر النص بالقول: "يُخرج الاخوة العشرة من الاجران

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 20: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 3.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 50: 3.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 60: 3.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 4.

هذا السيد...ويقذفونه في الاوعية المقدسة"[1]. ويبدو ان هذا الاجراء يشير الى ان الكهنة كانوا يفرغون الشراب من الوعاء أو الجرن الذي تم عصره فيه الى الاوعية المعدة للقرابين،: "هذه الاشربة المختلطة بالتقدمات المقدسة تنسكب في اوعية التقدمة..."[2]، و: "سوما الرشيق يُقبل وسط مضخات الذبيحة الى وعاء الاشربة"[3].وهذه الحالة(اي سكب السوما في اوعية القرابين) تم التعبير عنها بمختلف الوسائل الممكنة، اذ يظهر فيها السوما وهو يُسكب في وعاء القرابين، أو وعاء الذبيحة، أو وعاء الاراقات أو المحرقات[4]؛ ويطلق على وعاء الشراب اسم سامودرا(Samoudra): "سوما الركن الحصين من السماء، غائص هو وسط امواج سامودرا..."[5]؛و: "اندو المستريح في السامودرا..."[6]. ولا يتم افراغ السوما في سامودرا الا وفق طقس خاص: "على صدح صوت الدعاء يُقبل اندو، ويستقر في سامودرا..."[7].وهكذا كان الشراب المصفى يوضع في كؤوس الالهة: "ها هو سوما النقي ذو الاف المجاري، يمر في المصفاة ويقبل الى كأس فايو(Vayou) واندرا(Indra)"[8]. وربما كان شراب السوما يفرغ احيانا في احواض معدة للقرابين هذا اذا كان فهمنا لنص فيدي صحيحا: "اسحب ايها الحبر، سوما من

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 5.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 46: 3.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 56: 1.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 18: 1؛ 36: 1؛ 37: 1؛ 39: 3-4؛ 61: 8.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 2: 5.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 2.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 12: 6.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 13: 1. يظهر من النص اعلاه ان اندرا وفايو يتناولان الشراب غير ممزوج بالحليب أو غيره.

الجرن، واسكبه في الحوض، وطهره ليصير شرابا لـ اندرا"[1]. وهكذا يمكن ان نخلص الى مجموعة من الحقائق حول مسألة افراغ الشراب في اوعية القرابين وهي:

- كان شراب السوما المعصور يؤخذ من قبل الكهنة بوساطة الاجران التي تم عصر النبات فيها من اجل افراغه في اوعية قرابين خاصة.
- يتم افراغ الشراب المعصور وغير المصفى من الاجران الى الاوعية بعد مرور الشراب في مصفاة الصوف.
- يتم افراغ الشراب المصفى اما في اوعية قرابين خاصة، أو في كؤوس الالهة، أو في احواض معدة للقرابين.
- يتم افراغ الشراب المعصور غير المصفى الى اوعية القرابين مع تراتيل خاصة.

يظهر ان الشراب يتناوله الكهنة ثم جماعة المصلين في اقداح خاصة: "ومن ذاك الوعاء، يسري نحو الاقداح..."[2]. ويبدو انها كانت مصنوعة من الخشب هذا اذا كان فهمنا لاحد النصوص صحيحا: "السوما عابر المصفاة، واللاهي في الكؤوس الخشبية"[3]، ويتأكد ذلك من نص اخر يقول ان شراب السوما يحمله الاحبار ويسكبونه في الاقداح الخشبية[4].وكان الشراب يقدم من قبل سبعة من الاحبار[5]،بلا شك الى الالهة. وفي ايران ربما كان شراب الهاوما يُحّظر في كأس

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 51: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 17: 4.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 6: 5. انظر نص مشابه في: 45: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 3.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 4.

فضي، ثم يفرغ في كأس ذهبي مخصص للقرابين، وهذا الاعتقاد مبني على مقطع يقول: "من الكأس الفضية أسكبك الى كأس القربان الذهبية"[(1)]. وربما كما قرأنا في الهند ان الشراب في الكأس الفضية كان غير مصفى ويتم افراغه وتصفيته في الكأس الذهبية.

6. مزج السوما/الهاوما مع الحليب:

يبدو ان الشراب الذي سينتج بعد عملية تصفية السوما/الهاوما لونه اصفر[(2)]، ومسكر[(3)]. والحقيقة بما اننا لا نعرف النبات الاصلي الذي ينتج منه السوما/الهاوما لن نستطيع ابدا معرفة شكل الشراب الحقيقي وطعمه، وعلى الارجح ان نباتات اخرى استخدمت لصنع عصير السوما/الهاوما في كل من الهند وايران، وهو امر ناقشناه سابقا، ومن المرجح ايضا ان الشراب الاصلي استعيض عنه بشراب اخر يدعى مادهو اي نبيذ العسل[(4)].واننا نمتلك اشارة عن الخمر المحضر من عصير الهاوما: "اقدم قرابين الخمر من عصير الهاوما"[(5)]. الا ان

---

[1]) ياسنا،10: 17.

[2]) ياسنا،9: 17؛ 10: 21؛فيسبرد،11: 2.

[3]) ليست هناك اشارة صريحة في النصوص الايرانية حول كونه شراب مسكر، ولكن تم الاستشهاد بكون شراب الهاوما يمنح المتعة للجسد الواردة في:ياسنا،9: 27. كما توجد اشارة تشير الى انه يمنح الانتعاش واردة في ياسنا،10: 14. كما اننا نمتلك اشارة تتحدث عن الثمل الذي يمنحه الهاوما، ياسنا،11: 14. الا ان القول ان عصير السوما مسكر يمكن ان نعثر عليه بشكل مباشر في التقاليد الهندية. انظر، ريگ-ڤيدا،9، 1: 1؛ 13: 8؛ 23: 1؛ 38: 5؛ 45: 3؛ 62: 4.

[4]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259. لعل استخدام الهنود لنبيذ العسل يظهر جليا في عدة نصوص تصف شراب السوما بأن طعمه كالعسل: "يجري منه العسل اللذيذ"، ريگ-ڤيدا،9، 36: 2؛ أو: "يُسكب عسلا لذيذا"، 39: 5؛ أو: "اندو عسلك النقي العذب"، 51: 3؛ أو: "ايها الالهي الساحر العذب كالعسل". 61: 9.

[5]) ياشت،6: 6.

الشراب المُحضر لا يقدم وحده بل يقدم ممزوجا ، اذ نقرأ عن مزج الشراب المحضر مع الحليب[1] ، أو اللبن المخثر[2] ،والزبد ايضا: "تضاعف زبدة البقر القه وجماله"[3]. والحقيقة لا تقدم النصوص اي اشارة ان كان السوما يمزج بالحليب بعد التصفية مباشرة أم عند سكبه في اوعية القرابين، الا ان اشارة تذكر ان مزج الحليب أو اللبن الخاثر بشراب السوما يتم عند سكب الشراب في اوعية القرابين وليس قبله، اي يتم وضع الحليب واللبن في الاوعية ثم يسكب السوما عليها: "انها(الاشربة) تنهمر نقية مشعة، كالندى العذب في احواض الذبيحة، حيث تمتزج بالحليب واللبن المخثر اللذين ينتظرانها"[4]. ويبدو ان عملية مزج السوما بالحليب أو اللبن يتم عن طريق تلاوة صلوات معينة: "بصلواتنا نوحده باللبن المخثر"[5].ويظهر ان السوما قبل مزجه بالحليب او اللبن يضاف اليه الماء: "فليغطس سوما المتألق السعيد بعدها في مياه تريتا(Trita) اكراما لـ اندرا، ويمزج باللبن المخثر"[6]. وان مزجه بالماء يوصف بشكل ادبي بأنه يستقر في منزل تريتا[7]، لذا يقال عادة: "ها هم الكهنة يقذفون اندو الرشيق

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 5؛ 10: 3؛ 11: 5؛ 14: 3؛ 43: 1؛ 45: 3؛ 46: 4؛ 54: 4. وتوصف عملية مزج السوما مع الحليب بأنه غوص الشراب في لبن البقرات، 32: 3.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 6؛ 22: 3.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 14: 5. ان سكب السوما على الحليب أو اللبن أو الزبد فوق النار الالهية اغني يشكل مفهوم الذبيحة الفيدية.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 33: 2.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 5.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 34: 4.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 37: 4.

مشعا وسط المياه"[1]؛ أو: ""سوما...قُذف في المياه..." [2]. وهكذا نعرف جيدا ان الشراب المقدم يتم عن طريق مزج السوما، والحليب أو اللبن، والماء، ويظهر ان ذلك يهدف الى التقليل من مفعوله المسكر: "هذا الشراب المشع...الذي سكبه الكهنة، وقذفوه في المياه، قد لُطف بمزجه مع لبن البقر"[3]. وفي ايران يقوم الزرادشتيون بمزج الهاوما بالحليب، غير اننا لسنا متأكدين من ان هذا اصيلا بالنسبة للكلمة التي تعني حليب(غاومان)، لان من المحتمل انها كانت تعني في الاصل لحم الثور، فهكذا فهمها المترجمون البهلويون[4]. على كل حال ان الاشارات عن مزج الهاوما مع الحليب تذكر باستمرار في التقاليد الافستية، اذ يحظى هذا الشراب بأهمية كبيرة تصل الى درجة التبجيل: "نبجل كلا من قربان الهاوما مع الحليب..."[5]. ونقرأ في مقطع: "من الذي يبجل الهاوما مع الحليب؟"[6].وعادة ما تقدم الصلاة الى الهاوما مع الحليب[7]،كما قدمت له القرابين: "لهاوما مع الحليب...اقدم القرابين"[8].ويبدو ان الهاوما كنبات مسكر

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 53: 4.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 62: 4.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 62: 5.

[4]) زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص100.

[5]) ياسنا،16: 8.

[6]) ياشت،5: 8، 11؛انظر نص مشابه في:ياشت،5: 124. انظر كذلك نصا اخر مشابه في:ياشت،7: 6.

[7]) ياشت،14: 5، 63.

[8]) ياشت،10: 145.

قد زال في وقت ما واستبدل بخليط من عصير نبات، وماء، ولبن[1]، أو ربما يتم احيانا مزج الهاوما بالماء[2].

مكانة السوما/الهاوما في الديانة الهندية-الايرانية القديمة.

ما هي مكانة السوما/ الهاوما لدى الايرانيون والهنود القدماء؟ هل حظي بمكانة خاصة في ديانتهم؟ وكيف قُدس من قبلهم؟ تساؤلات لابد من الاجابة عليها لكي يكتمل فهمنا لطبيعة هذا الاله وخصائص عبادته ومعتقداته.

ان السوما في النصوص الفيدية يحوز صفات معتادة تطلق على الالهة بصورة عامة، فهو: بصير، ذكي، عاقل، منتصر، كريم، ومن لا تخفى عليه خافية، فهو يبصر كل شيء، ويحفظ كل شيء[3]،ولا يمكن ان نبرهن على عظمة السوما اكثر من قولنا ان الهنود عدوه الاعظم في الكون، اذ عد السوما المولى، والاله النقي، والمطهّر البهي، والخارق السخي[4]،وهو خالق العالم[5]،وسيده[6]، وملك عظيم وسيد جبار[7]، بل انه ملك الملوك[8]. والسوما هو الذي ولد السماء!!: "السماء المدهشة بامتدادها، هو سوما النقي من ولدها"[9]، وهو الذي

---

[1] الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص398.

[2] فيسبرد،11: 2.

[3] ريگ-ڤيدا،9، 60: 1-2؛ انظر كذلك: الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص258.

[4] ريگ-ڤيدا،9، 6: 4؛ 16: 6؛ 20: 5؛ 24: 7؛ 27: 2.

[5] ريگ-ڤيدا،9، 2: 8.

[6] ريگ-ڤيدا،9، 5: 1.

[7] ريگ-ڤيدا،9، 7: 5؛ 30: 1؛ 61: 17.

[8] ريگ-ڤيدا،9، 11: 3؛ 20: 5.

[9] ريگ-ڤيدا،9، 61: 16.

يسعد الارض والسماء[1]. والسوما هو الذي ولد النور العظيم المشع من لهب فيشوانارا[2]، لذا فهو من يضيء السماء، فلقب بالوضّاء[3]، وهو ركن العالم المشع[4]، والودود المشعّ الذي يشع في معابد الالهة، والناثر بهاءه في كل حدب وصوب[5]، وهو صديق النور الفاتن[6]، والسوما ينشر بقوته البهاء والاشعاع والنور[7]، لان شرابه: "يتسع ويشع الف لهب"، وعندما يشاهد البشر نوره يخالون انهم يرون السماء[8].وبما ان السوما هو مصدر النور، لذا يقال عنه بأنه من يلد الشمس في الفضاء[9]، ومن ثم فإنه من يقذف الشمس الى الاعلى، بل انه من ينشر ضياءه في الشمس[10]، وكأن الاخيرة تكتسب ضوءها منه[11]، وهكذا كان السوما يسحر الفجر والشمس بأشعته[12]، ونتيجة ارتباطه بالنور والشمس يقال عن السوما انه يتجلى أو ساطع كالشمس[13].والسوما لا يلد الشمس

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 41: 5.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 16.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 7: 5؛ 27: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 38: 6.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 5؛ 28: 3.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 29: 2.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 39: 3.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 18.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 1.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 28: 5.

[11]) ريگ-ڤيدا،9، 17: 5.

[12]) ريگ-ڤيدا،9، 41: 5.

[13]) ريگ-ڤيدا،9، 54: 2-3.

حسب بل يلد كل الكواكب في السماء[1]، ويلد الارباب[2]،وهو من يوسع العوالم الثلاثة ويتخطاها[3]، بل انه دعامة هذه العوالم[4]، وهو مثل الاله اندرا كلي القدرة، وسيد النور، والابقار السماوية[5]، واخيرا تم توحيد السوما مع القمر[6]،ويبدو ان توحد سوما مع القمر قديم جدا، اذ نعرف من اسماء الاعلام الميتانية ذكر لمعبودات هندية قديمة منها اسم الاله القمر سوما(Soma)، فأحد الملوك الميتانيون حمل اسم بيرياسوما(Biryasoma) ويعني اسمه(اله القمر الخاص بالشجاعة)[7]. والسوما يشكل مجاري الانهار، ومنه تنبثق الجداول السماوية السبعة[8]. وفي ايران عُد الهاوما كاهناً ورباً على حد سواء، فهو بمثابة كاهن عمل على التضحية بنفسه، وفي التضحية بالثور الذي هو الشعار الذي كان يحمله على رايته، وهو كاهن كرسه الرب الحكيم، وكان يؤدي مهمته الكهنوتية بشكل رئيس لعبادة ميثرا وسراوش اللذان هما نفسيهما ليسا اكثر من وسيطين بين الانسان والرب، وهذا غريبا نوعا ما اذ ان عبادة الهاوما كانت مرتبطة في الاصل مع عبادة ميثرا اكثر من كونها مرتبطة مع عبادة اهورامزدا[9].

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 4.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 17: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 23: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 19: 2.

[6]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

[7]) محمد عبد اللطيف محمد علي، الخوريون وصلات مصر بهم في عصر الاسرة الثامنة عشرة،(الاسكندرية: بلا.مط،1986)،ص13، 15.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 54: 2.

[9]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

والهاوما هو ملكا للعالم: "المجد لك، اصبحت ملكاً بحرية، بفضل قوتك الشخصية. هاوما المجد لك...قدم لك مزدا الحزام المشرق، المزين بالنجوم، المصنوع من قبل ارواح العقيدة المزداياسنية. وانت محزم على قمة الجبل، لأجل كلمات واصوات النص المقدس(؟). هاوما ملك البيت، ملك الريف، ملك القرية، ملك المقاطعة، وبالفائدة هو ملك الحكمة. يا نصري، وقوتي..."[1]. والهاوما المقدس يجلب: "الاستقامة[لكل شيء]"[2]، فهو يمثل: "ينابيع من الاستقامة"، وهو مصدر الطقوس: "ينابيع الطقوس تجد مصادرها فيك"[3]، كما يؤثر في حركة العالم فهو الذي يجعل المياه تتدفق، والنباتات تزهر[4]، ويساعد على تقدم هذا العالم[5].والهاوما هو الوسيط الكهنوتي بين الرب والانسان، لان زرادشت كان يتضرع اليه، وكان هو بدوره يتضرع الى وسطاء ذوي منزلة اعلى تقوم بينه وبين والده[6].وكان الهاوما ايضا شراب مميز بحق، فأين يكمن الفرق بين الهاوما وبين غيره من المشروبات؟ يكمن الفرق في العالم المنقسم في نظر الزرادشتيين بين الشر والخير، فكل المشروبات الاخرى(ربما المقصود بها المسكرة) غير الهاوما كانت: "...مرافقة [للأبالسة]، لـ ايشما[ابليس الغضب]، الفظيع..."، اما الهاوما فكان: "يصحبه انتعاش، وصدق سام"[7]، لذا

---

1) ياسنا،9: 25-27.

2) ياسنا،10: 1.

3) ياسنا،10: 4.

4) ياسنا،16: 8.

5) ياسنا،42: 5.

6) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

7) ياسنا،11: 8.

فالزرادشتي يمجد الهاوما لأنه بعد كل سُكر يأتي الغضب الدموي، ولكن بعد كل تذوق لهاوما تأتي الحقيقة[1].ولأن شراب الهاوما الثمين جدا فإن الايراني القديم كان حريصا على عدم وقوعه على الارض: "لا تدعني ارق على الارض، شرابك[المقدس] الذي لا يضاهيه ثمن"[2].ومن هذا يمكن ان نفهم بشكل جيد لماذا كان القيام بتحضير الهاوما يحظى بالأهمية كبيرة، فعصر قليل من الهاوما كاف لإهلاك الاف الارواح الشريرة[3]، الامر الذي يغضب دوما قوى الشر والتي حسبما نفهم من مقطع ربما يحمل جذور اسطورية كيف ان القوى الشريرة ارادت القضاء على الهاوما، هذا اذا كان تفسيرنا للنص صحيحا: "فلتتوار جاهي القاتلة، العاقر، التي ستختفي، والتي هبطت على الهاوما..."[4]. ونظرا لأهمية الهاوما فهو محط حماية من القوى الالهية، اذ كانت اشا(الصدق الحقيقة) هي التي تحيط بـ هاوما المقدس: "حولك ايها المقدس هاوما، ستكون اشا صاحبة الجسد الجميل"[5].

ان السوما/الهاوما مثل غيره من القوى المقدسة في هذا العالم، حظي بالقداسة، ففي الهند حظي هذا السوما بالتقديس بشكل لا يقل عن الالهة ذاتها: "عظموا اندرا واندو(السوما)"[6].فهو محط التسابيح المتواصلة للبشر[7]:

1) ياشت،17: 5.

2) ياسنا،10: 17.

3) ياسنا،11: 6.

4) ياسنا،11: 14.

5) ياسنا،11: 14.

6) ريگ-ڤيدا،9، 11: 6.

7) ريگ-ڤيدا،9، 12: 7؛ 27: 1.

"يا من تمجدك اناشيدنا"[1]؛ أو يقال: "اندو، تسبيحك جاهز..."[2].ويقال عادة عنه بأنه محب لأناشيد البشر[3].لذا قدمت له الصلوات: "بهذي الصلاة وليس سواها، نتقدم كل يوم يا اندو، وبها نباركك"[4]؛ و: "سبحوا اندو النقي ايها الكهنة، انه مكرم الارباب"[5]. والبشر المتفاخرين دوما بتبجيلهم للسوما يؤكدون انهم يكسونه بالصلاة كأنها نوع من الرداء، وان تلك الصلوات المتسارعة تزين اندو[6].والصلاة للسوما تهدف الى مساعدته في هذا العالم، فالأحبار الذين ينتجون الشراب لا يكتفون بذلك بل انهم يدعمونه بالصلاة[7]. والسوما عادة ما يُثار نتيجة ابتهالات البشر، وصلوات الحكماء[8]. وفي ايران تلقى الهاوما التقديس كذلك: "انا امجد كل نباتات الهاوما..."[9]،و: "نقدس كل نباتات الهاوما"[10]، وان المؤمن المخلص يؤكد دوما بأنه سيكون: "ممجدا، ومخلصا لك يا هاوما"[11]. لذا قدمت له الصلوات: "...اني اصلي لك، ولكل جذورك، واغصانك، وفي كل

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 24: 6.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 55: 2.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 1.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 43: 1-2؛ 44: 2.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 26: 6.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 44: 5.

[9]) ياسنا،10: 17.

[10]) ياسنا،10: 21.

[11]) ياسنا،10: 9.

نباتاتك..."[1]، وهو الذي يمجد في اوقات الشدائد: "عند الشدة ايها الذكي، امجدك بصوتي..."[2].

لم تكن الصلوات تهدف الى تمجيد السوما/الهاوما حسب بل اعتقد الهنود والايرانيون على حد سواء ان صلواتهم تساعد النبات على النمو: "فلتتعهد صلواتنا نموه"[3]، ويقال ايضا: "فلتتكبر لأني اصلي لك...فلتتكاثر بفضل كلماتي"[4]. كما تلقى السوما/الهاوما الصلوات فإنه تلقى القرابين ايضا، ففي الهند قدمت له القرابين فهو يخاطب: "حل في القرابين التي يقدمها لك اسيادنا الاثرياء..."[5]؛و: "نهبك التقدمات الغالية"[6].وهو لا يقبل القرابين من البشر الا لكونه راغب فيها: "اندو النقي الحصين...يرغب بعطايانا وتقدماتنا الغنية"[7].وكانت القرابين تهدف الى مضاعفة قوة السوما: "اقبل الذبائح والمحروقات التي تضاعف قواك"[8].وفي ايران كذلك قدمت الى الهاوما القرابين، ويمكننا الافتراض-كما هو الحال في الهند- انه كان يتم احياء قوته بلحم الثور القرباني الذي كان الرب الحكيم والده خصص له منه الفكين واللسان والعين اليسرى[9]. وكان يتم تقديم القربان له اما من اجل تقديسه بذاته: "بقرباننا

---

[1]) ياسنا،10: 5.

[2]) ياسنا،10: 2.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 14.

[4]) ياسنا،10: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 4.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 7.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 4.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 4.

[9]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

نقدس...شــراب الهاومــا"[1]؛ أو: "نقــدم القربــان...من اجــل الهاومــا، وشــراب الهاومــا..."[2]، أو: "بقرباننا...نبجــل الهاومــا"[3]؛ أو: "الكفــارة للهاومــا جالــب الاسـتقامة [لنـا]"[4]؛أو: "نقـدم القربان...لهاومـا ذي الاصـل المقـدس..."[5].أو مـن اجل استرضاء قوى اخرى، منها فرافاشي زرادشت سبيتاما: "ارغب في ان اصل بهديتي الى هاوما(Haoma)، وبارا-هاوما(Para-haoma)(تحضير الهاوما)، من اجل استرضـاء فرافاشـي زرادشـت سـبيتاما..."[6]،او: "اتقـدم(بقربان)[7] الى الهاومـا، وشراب الهاوما من اجل استرضاء فرافاشي زرادشت سبيتاما المقدس..."[8].كما قدمت القرابين الى الهاوما، الممزوجة بالحليب الطازج من اجل استرضاء المياه التي خلقهـا مـزدا[9]، ومـن اجـل اليـازاد ذي الاسـم المنطـوق(؟)[10].بالمقابـل كـان السـوما/الهاوما يفرحـه التمجيـد والتقـديس، وهكـذا يمكـن ان نفهـم جيـدا ان السوما: "يحب اناشيد وتقدمات الشعراء"[11]، والتقوى تبهج هاوما[1].ان تقديس

---

[1]) ياسنا،6: 18.

[2]) ياسنا،7: 26.

[3]) ياسنا،25: 1.

[4]) ياسنا،8: 9.

[5]) سيروزا،1: 30.

[6]) ياسنا،3: 2.

[7]) لم يحـدد الـنص مـا هـو الشـيء الـذي يتقـدم بـه الشـخص، وان كلمـة القربـان وضـعت مـن الباحـث لتوضيح النص، والحقيقة لا نعرف ان كان يفضل وضع كلمة قربان أو صلاة، نظرا لورود الكلمتين في الفقرات السابقة، ولكني فضلت كلمة قربان نظرا لتشابه سياق النص هذا مع الذي ورد في ياسنا،3: 2.

[8]) ياسنا،7: 21.

[9]) ياسنا،3: 3.

[10]) ياسنا،7: 21.

[11]) ريگ-ڤيدا،9، 7: 4.

السوما/الهاوما ينعكس بشكل ايجابي على الانسان ذاته، فـ السوما: "يريد ان يصلهم(اي مادحيه) بالعطاء"[2]، بينما ينمو الهاوما ويُمجد: "فإن الانسان الذي يمجده يكون منتصرا اكثر"[3]، وان المادح المخلص للهاوما يلقى: "افضل جزاء"[4]، والانسان الذي يمجده يجعله الهاوما: "اكثر ظفرا"[5]. ونتيجة لتقديس هاوما تم تقديس كل العناصر المرتبطة به سواء تلك المسببة لنموه من غيوم، وامطار، أو تلك التي ينمو فيها كالجبال، والاراضي : "امجد الغيمة التي تسقيك، وامجد الامطار التي تجعلك تنمو على قمم الجبال، وامجد الجبال الشامخة حيث تنتشر اغصانك. امجد هذه الارض الواسعة الممتدة بعيدا، المنتجة كالأم ذات الارتباط الكامل بالنبات المقدس، اجل امجد الاراضي التي تنبت فيها النباتات"[6]. وفي اخر نقرأ: "امجد الغيوم والامطار التي تعطي النمو لجسدك على قمم الجبال. امجد الجبال العالية حيث تنمو انت يا هاوما. امجد الارض الواسعة، الرحبة، المنتجة لجذورك الاصلية يا هاوما الصادق..."[7].

السوما/الهاوما اضحية وقربان:

ان القضية الرئيسة التي يجدر مناقشتها الان هو كيفية ان يصبح الاله اضحية يتم التهامه، وتقديمه كقربان، وهو كما رأينا سابقا ان كلا السوما

---

[1]) ياشت،18: 8.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 7: 4.

[3]) ياسنا،10: 6.

[4]) ياسنا،10: 9.

[5]) ياسنا،11: 6.

[6]) ياسنا،10: 3.

[7]) ياسنا،11: 3-4.

والهاوما الهين وشرابين لذا عادة ما يقال عن السوما مثلا: "السيد الحكيم ينساب ممتزجا بأمواج الشراب"، وبلا ريب يمكن ان نفسر هذا الكلام ان تحويل الاله الى شراب عن طريق عصره كنبات سينتج عنه امتزاج بين الاله والشراب ذاته، لذا ان الوصف التقليدي في الادبيات الفيدية للسوما هو الرب الفادي السعيد[1]، وان وصفه بالفادي يعكس المعتقد المهم للسوما/الهاوما، فالإله سيتم قتله عن طريق عصره، وتحويله الى شراب يتناوله البشر، لحمايتهم ومنحهم القوة كما سنرى لاحقا. وهكذا نجد ان التهام الاله سيتم وفق تصورات عدة هي:

1. **يتناوله الانسان عن طريق شربه أو مزجه بالطعام:**

تشير معتقدات الشعوب الهندية-الايرانية الى ان الانسان يتناول الشراب المحضر، ومن المعروف ان الاريون في الهند مولعون بالمشروب المسكر السوما[2]، وكما يقال في كتب الفيدا ان سوما يتعلق بآيو(Âyou)[3]، والاخير هو حفيد

---

[1]) يعد النشيد الذي يوصف به السوما بالفادي من اجمل الاناشيد التي قيلت حول السوما لذا سنورده هنا كاملا:

"اقبل الرب الفادي السعيد، ندى الشراب العذب

اقبل الرب الفادي السعيد

ينبوعا الهيا من الشراب هو، وهو العارف بماهية خيرات الفانين

اقبل الرب الفادي السعيد

لقد استلمنا الوف التقدمات، من دهاوسرا، وبورشنتي

اقبل الفادي السعيد

وتسلمنا من هذين الاميرين ثلاثين الف هدية

اقبل الفادي السعيد". انظر سوكتا 58.

[2]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص244.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 25: 5.

مانو(Manu) الانسان الاول، ونقرأ بشكل واضح كيف ان السوما يأتي في وسط اناء مانو مسرعا كالصقر، ومغرما كالرجل الذي يقترب من حبيبته[1]، اي البشر. وهكذا يمكن ان نتأكد ان شراب السوما كان مكرس للبشر والالهة على حد سواء: "سوما ايها الجواد، المكرس للأرباب كما لنا"[2]. لذا فالبشر يقولون عنه: "انه اعطية لنا"[3]. ويقال ايضا بشكل صريح ان السوما كان شرابا للبشر[4]، وهؤلاء البشر الذين يطلبون ود هذا الاله-الشراب يقولون: "اجعلنا نتمتع بهذه المياه الغزيرة التي تسكبها في وعاء الذبيحة"[5]. ولكن السوما المتعالي لا يأتي الى البشر الا اكراما للآلهة العظام: بهاغا(Bhaga)، وفايو(Vayu)، وبوشان(Pouchan)، وميترا(Mitra)، فارونا(Varona)[6].

كان الشراب يقدم الى الكهنة بالدرجة الاساس فهو يروي غليل خادم الارباب(الكاهن)[7]. ويشبه صب شراب السوما في كؤوس البشر في احد النصوص بالجياد أو الابقار المندفعة: "ها هي الاشربة تندفع في مصفاة الصوف كالجياد المطلقة، وكما البقرات تندفع نحو رضاعها، كذلك تصدع هذه الاشربة التي تمحلها ايدينا، وتقبل الى كؤوسنا"[8]؛ وفي اخر تشبه بحيوية الجاموس

---

1) ريگ-ڤيدا،9، 38: 4.

2) ريگ-ڤيدا،9، 6: 1.

3) ريگ-ڤيدا،9، 2: 5.

4) ريگ-ڤيدا،9، 37: 1.

5) ريگ-ڤيدا،9، 61: 4-5.

6) ريگ-ڤيدا،9، 61: 9.

7) ريگ-ڤيدا،9، 10: 5.

8) ريگ-ڤيدا،9، 13: 6-7.

المسرع نحو الغابة[1]، والبشر عادة يقولون له: "سوما الحصين يستريح في كؤوسنا"[2]. وفي ايران نجد الإله هاوما يخاطب زرادشت، ويطلب منه عصره كنبات، وخلطه بالطعام: "اجابه(اي زرادشت) هاوما...اجمعني يا سبيتاما، واعصرني في الطعام، وانشد[باسمي] في تراتيلك، كما انشد المنقذون الاخرون"[3]، وبالتالي علينا ان نعرف ان الهاوما كإله، ونبات الذي تم عصره سيؤكل مع الطعام: "بروق(اسم نبات) بأغصان طازجة(اي الهاوما)، ليأكله الافضل..."[4]. وهناك اشارة الى المرأة المشعوذة التي: "تأكل بشكل خاطئ من قربان الهاوما"[5].أو يشرب اذا تم مزجه مع الحليب،: "امنح [الخير] للإنسان الذي يشربك ممزوجا مع الحليب"[6]. ويبدو ان الهدف الرئيس لتناول الانسان لشراب السوما/الهاوما يكمن في تحقيق الوحدة بين الاله والانسان، وهذا يتضح من نص فيدي يذكر بجلاء ووضوح: "ها قد وحد سوما طبيعته الالهية، بطبيعتنا البشرية كما تتوحد العين بالشمس"[7]. وهذا الاتحاد يمكننا ان نفهم لماذا كان المسيحي يشرب رمزيا دم السيد المسيح ويأكل جسده، لكي يتحد به، وهو معتقد لا شك انه تسرب الى الديانة المسيحية من المعتقدات الايرانية-

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 33: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 20: 6.

[3]) ياسنا،9: 2.

[4]) ياسنا،9: 16.

[5]) ياسنا،10: 15.

[6]) ياسنا،10: 13.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 10: 8.

الهندية، رغم اننا لا نقرأ عنه في النصوص الافستية الا انه من غير شك كان الايرانيون يدركون ذلك وهم يتناولون الشراب.

2. **يقدم كقربان الى الالهة:**

عد السوما الصديق والحامي للآلهة الاخرى[1]، وصفته الاعتيادية هي: "صديق الارباب"[2]. ولكنه ارتبط بشكل رئيس مع الهة الديفا، وبشكل ثانوي مع عبادة الاسورا[3]، لذا قدم شراب السوما بشكل خاص الى الهة الديفا(Devas): "سوما الحكيم السخي، يشع على المذبح بين الديفا"[4]؛: "هذا السيد الودود النقي ينساب في كل الاشكال، ثم يظهر في المقام حيث يقطن الديفا الخالدون"[5]. ونظرا لارتباط السوما مع الهة الديفا لذا عادة ما ينادى عليه ويقال: "هلم الى الديفا"، لأنه يسهر ويتجلى في وسطهم[6].

ان المعتقدات الهندية القديمة تؤكد دوما ان شراب السوما يقدم كقرابين الى الالهة: "سوما العظيم ما ان يصل، وينظم الى القرابين حتى تنفجر مئات الجداول، وتتدفق متسارعة الى اندرا"[7]. والحقيقة ان اضحية السوما هي الاكثر شعبية في الهند[8]،فشراب السوما عندما تثيره الصلاة العتيقة يهب الارباب

[1]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص258.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 19.

[3]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص99.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 25: 3.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 25: 4.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 44: 1، 3، 5؛ 45: 4.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 56: 2.

[8]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

شرابه العذب[1] ،لذلك: "يختلط بالمياه واللبن، فيغدو اطيب التقدمات"[2]، وهذا الاختلاط عبَر عنه بشكل جميل عندما قيل ان السوما على الارض يتحد ببقرات الذبيحة والماء[3]. ويبدو ان شراب السوما قُدم للأرباب بعد مزجه بالشعير: "ايها السوما، تعال بشرابك، واتحد بالشعير، وبكل التقدمات اللذيذة"[4]. ويقدم شراب السوما من اجل اكرام الالهة: "سوما يتدفق في وعاء الذبيحة اكراما للأرباب..."[5]؛ أو: "تمتزج باللبن اكراما للأرباب"[6].لذا يتم تقديمه في وعاء قدسي اكراما لـ اندرا(Indra) وفايو(Vayu)[7]، أو يقدم اكراما لـ اندرا(Indra)، وفارونا(Varuna)، وماروتس(Maruts)، وفشنو(Vishnu)[8].

كان شراب السوما يقدم الى الالهة من اجل اروائهم فهو يُهرق من اجل ظمأ الارباب[9].وابرز الالهة التي قدم لها السوما هو الاله اندرا، لذا يقال عادة ان السوما يجب ان يُصنع من اجل اندرا: "سوما رحيق السماء هو، فاصنعوا لـ اندرا...الاشربة من هذا العسل العجيب"[10].

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 2.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 16: 2.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 1.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 55: 1.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 28: 2. انظر ايضا: 45: 1؛ 46: 1؛ 61: 1.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 54: 4.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 2؛ 30: 6؛ 46: 2.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 33: 3. ويشير نص الى ان السوما يقدم اكراما للآلهة ذاتها اعلاه غير ان الاله فايو يظهر بدلا من اندرا. 34: 2؛ أو يقال انه يقدم الى الارباب والماروتس(Marouts)، 51: 2؛ أو يقال ان سوما يتدفق على شرف اندرا، وفارونا، والماروتس. انظر: 61: 11.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 6: 6؛ 38: 6.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 51: 2.

عُد السوما صديقا لـ اندرا[1]، لذا يصير شرابا له[2]: "في وعاء المشروبات، سوما القهار الحصين بالذات، طهروه، وشرابا لـ اندرا قدموه"[3]،فالكهنة يدعون اندرا الى احتساء السوما كما البقرة تنادي رضيعها[4]،والسوما يتجه الى كأس اندرا من اجل اروائه بأقصى سرعة العربات[5]، أو كما تنهمر الامطار على الارض سريعا[6]، وهكذا نجد إن الحديث عندما يُوجه الى السوما يُقال له: "انك تُهرق لإرواء غليل اندرا"[7]؛ أو: "لتُثمل اندرا وتروي غليله"[8].وهم يؤكدون دوما انهم يعدون الشراب لكي: "نروي به اندرا"[9]، فهو الذي يخترق أو يلج قلبه ويتحد به أو يختلط معه[10]. وهذا الاتحاد تصوره الهنود كاستقرار السوما في احشاء اندرا بلا شك بعد ان يتناوله الاله: "اندو يندفع قويا سخيا، مشعا نقيا في الفضاء،

---

[1]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص258.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 30: 5؛ 37: 6؛ 43: 2؛ 45: 1.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 16: 3.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 12: 2.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 15: 1.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 17: 2.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 1؛ انظر نصوص مشابهة في: 8: 9؛ 47: 3.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 8.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 4. انظر فقرات اخرى تشير الى ارواء ظمأ اندرا في: 32: 2.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 2: 1، ؛ 6: 9؛ 7: 1؛ 25: 5؛ 54: 4؛ 60: 4؛ 61: 8.وهناك نص يقول ان اندو وهو اسم اخر لشراب السوما عليه ان يتحد بخليله. انظر: ريگ-ڤيدا،9، 8: 7. وبلا شك كان المقصود بالخليل هو اندرا ذاته نظرا لارتباط السوما مع اندرا في عدد كبير من النصوص، ففي احد تلك النصوص نقرأ: "اندو كن واندرا حليفين لنا"، ريگ-ڤيدا،9، 11: 9. وفي اخر قرأ كونه: "حبيب اندرا"، ريگ-ڤيدا،9، 13: 8. وهناك اشارة صريحة الى ان سوما واندرا خليلين: "ليتحد باندرا خليله"، ريگ-ڤيدا،9، 14: 4.

ليلج اندرا ويستقر في الاحشاء"[1].والسوما لا يتحد مع الاله اندرا حسب بل يتحد مع كل الارباب ومنهم فايو[2]. وكان اندرا وفايو يشربان شرابهما من السوما اما صرفا غير ممزوج، أو ممزوجا بالحليب، ولكن الالهين اشفيني يكون ممزوجا بالعسل، بينما بالنسبة لـ فارونا(Varuna) وميثرا(Mithra) يكون ممزوجا بالحليب[3].

ان السوما يسكب على الذبائح المقدمة للآلهة، وهو طقس يطلق عليه اسم ياجنا(Yajna)(ياسنا Yasna في الايرانية)، وقبل المضي قدما في استعراض الادلة لابد من ذكر مفهوم الذبيحة الهندية.

انها تقدمة الانسان لما يملك في داخله الى الطبيعة الالهية، وثمرة ذلك الاغتناء الروحي المتجلي في الحكمة والفضائل. ويحصل الانسان بالمقابل على الغبطة والغزارة والثروات الروحية الضرورية لإنجاز رحلته نحو النور الاسمى بفضل كرم الديفا. وتوصل الذبيحة الداخلية الانسان الى الخلود، لان الذبيحة هي تقدمة الانساني الدائمة الى الالوهية، ونزول الالهي في الانساني. وتتضمن الذبيحة الفيدية: اشعال النار الالهية اگني(Agni) اي الكونداليني(Kundalini) في التعبير اليوغي، وتقدمة الزبدة(Ghrita) الذي يرمز الى الصفاء والفضائل، والسوما، وترداد الكلمة المقدسة مانترا(Mantra) التي تفعّل القربان بقوة الكلمة

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 6.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 37: 1؛ 56: 1؛ 61: 8.

[3]) A. A. MacDonnell, Vedic Mythology,(Strassburg,1897),P.106;

زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص100. انظر اشارة في النصوص الفيدية حول شرب اندرا شراب السوما ممزوجا بالحليب في: ريگ-ڤيدا،9، 50: 5.

الخلاقـة[1]،وهكـذا يمكـن ان نفهـم جيـدا ان الياجنـا تشـمل ثلاثـة عناصر هي: النـار، والزبـد الـذي هـو بـديلا عـن الاضحية الحيوانيـة طالما انـه مسـتخرج مـن حليب الابقـار، وعصـارة النبات. وان التعبير الاعتيـادي عـن قربـان السـوما يؤكـد ان الكهنـة يسـكبون الشـراب في مقـر أو مـذبح اگني[2]؛ أو نقـرأ كيـف ان السـوما متألقـا في مثـوى اگني[3]؛ أو يقـال الى سـوما بـأن يحضـر ويجلـس في المقـر الـذي يشـغله اگني السـاطع[4].ولهـذا فـإن السـوما يوصـف بكونـه سـيد المحرقـة المقدسة[5]. ولكن هذا لا يعني ان الاضاحي الحيوانية لم تقدم عند الهنود فهناك اشـارة صريحة الى سكب السـوما على ذبيحـة البقـرة: "تُقبل الاشـربة على صـوت اناشيدنا، حاملة كنوزها الى بقرة الذبيحة"[6].

يتم سكب السـوما على الذبيحـة المقدمـة للآلهة[7]،والمؤمنون عـادة مـا ينـادون السـوما ويقولـون لـه: "تعـال اسـتقر في ذبيحتنـا، وامكـث في وليمتنـا"[8]؛ وهنـاك نـص ذا وقـع مـؤثر يقـول: "تعـال بنـداك اي جسـدك الى حـرم الذبيحـة حيـث تشـاهد الارباب"[9]. وهنـاك وصـف اخـر جيـد ومفهـوم يقـول: "استُخرجت الاشـربة

---

1) لويس صليبا، اقدم كتاب في العالم: ريك فيدا،(بيروت: دار ومكتبة بيبلون2011)،ص508.

2) ريگ-ڤيدا،9، 10: 7؛ 50: 4.

3) ريگ-ڤيدا،9، 12: 4.

4) ريگ-ڤيدا،9، 25: 7.

5) ريگ-ڤيدا،9، 12: 7.

6) ريگ-ڤيدا،9، 62: 3.

7) هناك عدد كبير من النصوص التي تشير الى سكب السوما على الذبيحة لا مجال لذكرها انظر، ريگ-ڤيدا،9، 12: 1، 3؛ 30: 1، 4؛ 32: 1؛ 33: 2؛ 61: 1.

8) ريگ-ڤيدا،9، 17: 8.

9) ريگ-ڤيدا،9، 39: 1.

الرشيقة من الجرن، وقُذفت الى اناء الذبيحة وسط كل تقدماتنا اللذيذة"[1].
وهكذا يصعد السوما على المذبح بهياً وسخياً[2]،مالئاً وعاء الذبيحة[3]،ويوصف عادة سكب السوما على الذبيحة كأنه منطلق نحو ارض المعركة[4]. وهكذا يمكن ان نفهم بشكل جيد كيف ان السوما عُد روح الذبيحة المقدمة كقربان: "انت روح الذبيحة العتيق"[5]. ولا يتم سكب السوما على الذبيحة الا بمرافقة الصلاة: "ها هي الاشربة تُهطل نداها المسكر، على صدح الصلاة الكبرى"[6].

عُد سكب السوما في وعاء الذبيحة دلالة على انتصاره على اعدائه من قوى الشر: "يصل الى وعاء الذبيحة، ليهلك اعدائه"[7]. والسوما بمجرد ما يسكب على الذبيحة فإنه سيسبب بمقتل الركشاسا(الشياطين)[8]، لذا يقال له: "تدفق واقتل الركشاسا كما في سالف الازمان"[9]؛ أو يقال له ايضا: "ها هي موجاتك القديرة تتدافع لتسحق الركشاسا"[10].وان تقديم السوما للآلهة ليس قربان

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 62: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 40: 2.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 38: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 37: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 2: 10.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 10: 4.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 1.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 17: 3.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 49: 5.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 53: 1.

حسب بل خدمة يؤديها السوما الى الالهة: "هذا الالهي الابدي...المتفاني في خدمة الارباب"[1].

يعد قربان السوما المقدم من افضل القرابين المقدمة الى الالهة وهذا يتضح من نص يصفه بالنفيس: "ها هم الارباب ابناء برشني(Prichni) يتلقون لبن السوما المستقر على المذبح ويتقاسمون هذا القربان النفيس"[2].

في ايران يبدو ان عبادة الهاوما في الديانة التقليدية ما قبل الاصلاح الزرادشتي ارتبطت بشكل رئيس بآلهة الديفا، ويتضح هذا عندما ندرس قائمة الديفا التي تظهر في كتاب الافستا الاخير، وهي تتضمن: اندرا(Indra)، ساورو(Sauru)، نونهايتيا(N*a*unghaithya)، وتاورو(Tauru)، وزايري(Zairi)[3]. وقد امكن التعرف الى الثلاثة الاول من هؤلاء، اذ انها الاسماء المرادفة بدقة للأرباب الفيدية من الديفا: اندرا، ساورو، والناستياس، ويعد ساورو احد الاسماء الاكثر شؤما بين كافة الارباب الفيدية، اذ انه يسمى ايضا رودرا وهو رامي السهام السماوي الذي يواجه الموت والمرض، في حين ان الناستياس أو اشفيني هما ربا الشفاء، ويعد اندرا الرب الاكثر سموا بين كافة الارباب الفيدية، ويتم ربطه قبل جميع الارباب كما رأينا مع السوما، وليس من السهل تحديد هوية الشيطان الرابع الذي دعي تاورو في كتاب الافستا الاخير، وعلى اية حال لابد ان زايري الشيطان الاخير هو هاوما نفسه، ويعني اسمه اصفر، وتتطابق مع كلمة هاري السنسكريتية، ومن المحتمل ان هذه الصفة هي اكثر الصفات انتشارا للسوما في الفيدا، وتقف في مكان اسمه الخاص، وهكذا انقسمت

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 28: 3؛36: 2؛ 43: 5؛ 49: 2.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 34: 6.

[3]) انظر هذه القائمة في: فينديداد،10:9-10.

شخصية الهاوما الى قسمين، اذ بقي الاسم كإله واصبحت الصفة شيطانا، ويظهر الرب تحت اسمه الخاص هاوما النبات الذي ينتج الخلود، بينما يوجد شيطان تحت اسم زايري الاصفر، ويبدو هذا غريبا جدا بالنسبة لنا، الا ان الشيء نفسه حدث في حال ربين اخرين، اذ تم تخفيض الرب اندرا الى منزلة الشيطان، لكن صفته الاصلية فرتراگنا التي تساوي كلمة فرترهان الهندية تبقى رباً، ولكن الامر اكثر وضوحا هي حالة رب الريح فايو الذي نقابله في الفيدا تحت اسم فايو ايضا، اذ تم تقسيم هذا الرب بإتقان في كتاب الافستا الاخير، وفي الكتب البهلوية اللاحقة، اذ ان هناك فايو صالح يحمي مخلوقات اهورامزدا، وهناك فايو شرير افضل قليلا من احد شياطين الموت. ان الدليل الفيدي على ان الهاوما كان مرتبطاً الى حد بعيد مع عبادة الديفا، واكثر من ارتباطه مع عبادة الاسورا قد تأكد ببرهان الياسنا نفسه، لان الاشخاص الاوائل الذين يقال انهم اقاموا طقس الهاوما كانوا فيفاهفانت(Vivanghvant) والد ييما(Yimma)، وكان الاخير قد هاجمه زرادشت، وكذلك اقام طقس الهاوما كل من اتفيا(Âthviya)، وتريتا(Thrita)، الذي يقابل تريتا-ابيتيا في التقاليد الفيدية، هو رب فيدي شهير، ومتصل الى حد بعيد ليس مع اندرا وسوما حسب، بل ايضا مع يم الذي يساوي ييما في الافستا. واتخذ قسما اسمه في كتاب الافستا شخصيتان متميزتان لكل منهما شخصيته هما: اتفيا-تريتا، ولم يظهرا رباً واحد بل بطلين اسطوريين، ولذلك لابد من ان نستنتج ان طقس الهاوما كان في الاصل اكثر التصاقا مع عبادة الديفا اكثر مما كان مع عبادة الاهورا[1]. والحقيقة نحن نمتلك دليلا متأخرا حول ارتباط الهاوما بقوى الظلام جاءنا من

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص99-100.

بلوتارك الذي يقول ان الايرانيين كانوا يتضرعون الى هادس(Hades) والظلام من اجل سحق عشب اومامي(Omami) (اي الهاوما أو الهوم في البهلوية) في مهراس ثم يحضرونه بعدما يخلطونه مع دم ذئب مذبوح الى مكان الشمس ويلقونه[1]. ومن غير ريب ان الطقس الذي يتحدث عنه بلوتارك يختلف عن ذلك الذي نقرأ عنه في التقاليد الافستية، الا ان امرا مؤكدا يمكن ان نثبته هنا وهو ان قوى الظلام التي تحدث عنها هذا المؤرخ تشير الى الهة الديفا التي انحطت في ايران الى مرتبة الشياطين. وهكذا نخلص ان طقس الهاوما في اصله مرتبط بآلهة الديفا اكثر من ارتباطه بآلهة الاهورا، الا ان ذلك لا يحل المشكلة التي تواجهنا ابداً!!. اذ اننا نواجه مشكلة حقيقية اذا ما اكدنا ان طقس الهاوما في اصله مرتبط بعبادة الديفا، وهو امر مؤكد وفق الادلة التي نمتلكها، فكيف نفسر ارتباط طقس الهاوما بالإله اهورامزدا وغيره من الالهة والقوى المقدسة التي عبدت من قبل الزرادشتيين في كتاب الافستا؟. فصحيح ان الزرادشتيين ما بعد حقبة النبي اعادوا الكثير من العبادة التقليدية الايرانية القديمة الا انهم رفضوا تماما اعادة عبادة الديفا التي ظلت على حالها كقوى شريرة، ففي ايران نقرأ عن تقديم الهاوما بجلاء الى الالهة الايرانية، فالإله الاعظم اهورامزدا يأمر زرادشت بان يقدم له قربان الهاوما: "صلّي لي يا زرادشت ليلا، ونهارا، وقم بقربان[الهاوما] اللائق"[2]. وكان الشراب يقدم الى الالهة بعد مزجه بالحليب، وبهذه الطريقة كان الاله اندرا في الهند يتناوله: "تمزج البقرات الحصينات لبنها مع عصير هذا السوما البكر، لتقدمه لأندرا شرابا"[3]. وكان الاله اهورامزدا في

---

[1]) المصدر نفسه،ص145.

[2]) ياشت،1: 9.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 9.

ايران يؤكد انه سيمنح الغنى والخير للشخص الذي يصلي له ويقدم: "قرابين الهاوما مع الحليب"[1].لذا نجد ان الهاوما، وشراب الهاوما قدما قربانا الى الاله اهورامزدا لتمجيده: "...اقدم...الهاوما، وشراب الهاوما، من اجل تمجيد اهورامزدا..."[2]، ونقرأ ايضا:"[بعد ان وصلنا الى الهاوما بتسبيحنا] فإننا نهديه الى اهورامزدا، نهديه مع الميازدا، مع الزاوتار، والبارسمان المنثور بالقداسة"[3].كذلك قدم الى كل من سراوش، وفرتراگنا، وللخالدين الكرماء[4].ونقرأ في حالة ان الشخص يقدم الهاوما مع الحليب الطازج أو اللحم، ونبات هادانيباتا، من اجل عبادة الخالق اهورامزدا، المتألق، والرائع، ومن اجل الخالدين الكرماء[5]. كما قدم الهاوما قربانا ايضا الى كل من هورفيتات(Haurvatat) حامي المياه، واميرتات(Ameretatat) حارس النباتات والغابة، والاله ميثرا[6]، فالشخص الذي يعرف الحقيقة يصلي للإله ميثرا ويقدم قرابين الهاوما له[7]. لذا عادة ما نرى الايراني وهو يصرح: "اقدم لك قرابين الهاوما يا ميثرا العظيم"[8]؛ أو ينادي اسم ميثرا المدوي، والقوي، والخيّر بصلواته العالية، ويقدم له قرابين الهاوما[9].ونقرأ في اسطورة كيف ان قواربي

---

[1]) ياشت،8: 15.

[2]) ياسنا،8: 1.

[3]) ياسنا،24: 1.

[4]) ياسنا،4: 1-2؛ 24: 6-9؛فيسبرد،11: 1؛ 12: 1؛ياشت،14: 50.

[5]) ياسنا،22: 1-2.

[6]) ياسنا،4: 3؛ياشت،4: 11؛10: 6.

[7]) ياشت،10: 16.

[8]) ياشت،10: 31.

[9]) ياشت،10: 56.

يدعى باروفا نذر ان يقدم الى الربة اردفيسورا اناهيتا شراب الهاوما مع الحليب ان هي قدمت له المساعدة[1]، وزرادشت كذلك يقدم الهاوما ممزوجا بالحليب الى الربة اناهيتا[2]، وكما قُدم الشراب ذاته الى الربة اشي(Ashi)[3].وقُدم الهاوما ايضا الى الربة درفاسبا(حارسة حيوانات العالم)[4]، والى الربة شيستا(Chista)[5]. كما ان تقديم الهاوما الى الالهة كان يتم وفق طقوس خاصة لا نعرف عنها الكثير الان، وان كنا نمتلك وصفا قصيرا لها، فيه الكثير من الغموض، يخص رجلا يقوم بتقديم قربان الهاوما الى ميثرا: "الذي اخذ الاحطاب من البارسمان، والحليب من السيقان، وبيديه المغسولتين ينظف الساق، والجرن، ويغسل البارسمان، ويرفع الهاوما عندما يرتل اهونا-فاريا"[6]. هذا النص يتضمن عدة طقوس، فأولا وقبل تقديم الهاوما طبعاً، على الشخص ان يجلب احطاب البارسمان، والحليب من السيقان، الذي لا نعرف ما هو المقصود به، فهل هو السائل الموجود في اغصان البارسمان؟ غير اننا في الواقع لا نعرف تحديدا ما هو البارسمان؟ ثم يقوم الشخص بغسل يديه، وينظف الساق الذي جلب منه السائل، ولا نعرف شيء عن الجرن الذي لابد ان ينظفه ايضا، كما يقوم بغسل البارسمان، واخيرا يرتل صلاة مناسبة قبل تقديم

---

[1]) ياشت،5: 63. انظر هذه الاسطورة في: ياشت،5: 61-66؛ انظر ايضا: اسامة عدنان يحيى، الديانة الزرادشتية: ملاحظات واراء،(بغداد: اشوربانيبال للكتاب،2016)،47.

[2]) ياشت،5: 104.

[3]) ياشت،17: 3.

[4]) ياشت،9: 6، 25، 32.

[5]) ياشت،16: 4.

[6]) ياشت،10: 91.

الهاوما. وهكذا نخلص الى ان قربان الهاوما قدم بكل وضوح للآلهة والقوى المقدسة الزرادشتية، واذا اردنا ان نتغاضى عن كل تلك الالهة فلا يمكن ان نتغاضى عن قربان الهاوما المقدم الى اهورامزدا؟ كيف يمكن ان نفسر ذلك؟ اذ رأينا اعلاه كيف ان طقس الهاوما مرتبط بآلهة الديفا اكثر من ارتباطه بآلهة الاهورا، كما عرفنا ان اهورامزدا والقوى المرتبطة به اي الخالدين الكرماء والالهة الزرداشتية قد تلقوا قربان الهاوما وبالتالي نحن امام تناقض كبير بين التصورين!!.

على اغلب الاحتمالات انه لم يتم اجراء اي تمييز واضح بين الديفا والاهورا في العبادة الايرانية التقليدية قبل الاصلاح الزرادشتي حتى مدة قصيرة قبل ميلاد النبي، لان الشخص الرابع الذي ادى طقس الهاوما هو بوروشاسبا(Pourushaspa) والد النبي نفسه[1]، كما يقول الهاوما: "بورورشاسبا كان الانسان الرابع الذي اعدني لأجل العالم المادي، وهذا جزاؤه، وهذه جدواه، اذ رزق بذلك ابنا هو انت، ولد زرادشت الصادق في بيت بوروشاسبا وهو عدو الابالسة(الديفا)، وعابدا لاهورا"[2]. فهذا النص الذي يقدم دليلا على ان طقس الهاوما اعد من قبل والد زرادشت، فإنه يؤكد حتما ان التمييز بدا مع زرادشت ذاته عدو الديفا وعابد اهورا. غير ان ذلك لا يحل الامر بل يعقده، فإذا كان زرادشت ذاته قد ميز بشكل واضح بين طبقتي الالهة الايرانية الاصلية، وكان طقس الهاوما مرتبط بطبقة الالهة التي عدت الان من

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص99-100.

[2]) ياسنا،9: 13.

قوى الشياطين فكيف تجرأ الزرادشتيون بعد وفاة النبي من مزاولة طقس الهاوما وربطه مع اهورامزدا؟.

يمكننا الان ان نحل الاتباع الاوائل لـ زرادشت من ذنب اقحام طقس الديفا في ديانته، فكما قلنا اعلاه ان التمييز بين طبقتي الالهة الاصلية لم يظهر في ايران القديمة الا مع زرادشت، ولكن ذلك لا يعني ان اتباع الاهورا لم يزاولوا طقس الهاوما، اذ ان عدم التمييز الواضح بين طبقتي الالهة في ايران حتم بلا شك على اتباع كلا الطبقتين تقديم قربان الهاوما الى الهته، اذ يمكن القول انه تمت مزاولة عبادة الهاوما من قبل اتباع الديفا، واتباع الاهورا على حد سواء وذلك في الوقت الذي رأى فيه الرسول ضوء النهار، وكانت عبادة الديفا بلا شك عبادة متسمة بالعربدة، وكانت عنيفة وقاسية، ولكن هذا الانحراف للعبادة ينسب من قبل زرادشت الى ييما الذي هاجمه زرادشت، لذا سيبدو اثم ييما كبيرا جدا في نظر زرادشت، وان والده فيفاهفانت هو الذي كان قد اسس العبادة في كل نقائها، وان ييما هو الذي دنس هذه العبادة الاساسية[1]، وان الانتقادات التي وجهها النبي لطقوس الديفا كانت ترتبط بشكل رئيس بالعربدة والثمالة المفرطة، وان زرادشت لم يشجب طقس الهاوما بل شجب العربدة، وكان الفرق الذي يكمن بين الهاوما وبين اي شراب مسكر اخر في نظر الزرادشتيين يحل المسألة برمتها، اذ ان كافة الاشربة المسكرة يصاحبها الغضب، اما الثمالة التي يسببها الهاوما فكانت مصحوبة بالصدق والمسرة والابتهاج، فهي ثمالة تجعل المرء نبيهاً. ويتضح من ذلك انه نتجت درجة من الابتهاج عن شرب

[1]) حول الانتقادات الموجهة من زرادشت لـ ييما انظر: يحيى، الزرادشتية،ص87-90.

عصارة النبات المقدس حتى في الطقس الزرادشتي، الا ان هذا كان مختلفا تماما عن حالة موثرم مداهيا اي حالة الثمالة الامر الذي شجبه الرسول[1].

3. يقدم الى القوى المقدسة المختلفة:

قدم الهاوما وشراب الهاوما مع قربان كامل مقدس من اجل استرضاء فرافاشي زرادشت سبيتاما(Fravashi of Zarathushtra Spitama)، ولاسترضاء المياه الطاهرة التي خلقها مزدا[2]: "واقدم ماء الهاوما هذا مع الاتقان والقداسة، وهذا الحليب الطازج، ونبات هادانيباتا(Hadhanaepata) المنعش مع القربان الكامل، والمقدس من اجل استرضاء المياه التي خلقها مزدا"[3]. وقدم شراب الهاوما مع الزاوتار الى المياه الصالحة الطيبة كهدية[4]. ومن الجدير بالذكر انه تم تقديم الهاوما كقربان الى المياه من اجل التكفير عن قتل حيوان كلب الماء[5]، أو من اجل خطيئة رجل قام بجماع امرأة وهي لديها سيلان ابيض، أو حائض، ففي الحالتين، يقدم للمياه عشرة الاف تقدمة شراب، مضافة الى الهاوما، مع الحليب المجهز، النظيف، والمصفى من قبل الزاوتار[6]، وممزوج بنبات هادانيباتا[7].كما قدم الزاوتار بصحبة الهاوما، للحليب، ولنبات هادانيباتا[1].

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص101.

[2]) حول تقديس المياه في الزرادشتية انظر: يحيى، الزرادشتية،ص122-125.

[3]) ياسنا،7: 2-3.

[4]) ياسنا،24: 2؛فيسبرد،11: 4.

[5]) في ايران عُد قتل كلب الماء خطيئة تستحق التكفير عنها انظر: فنديداد،13: 52-55؛ انظر كذلك: اسامة عدنان يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة: دراسة تاريخية مقارنة،(بغداد: اشوربانيبال للكتاب،2016)،ص114، 199.

[6]) ربما المقصود بالزاوتار هنا رجل الدين وليس القربان.

[7]) فينديداد،14: 4؛ 18: 72.

والجبال التي كانت تحظى بقداسة كبيرة بالنسبة للزرادشتي[2] قدم لها قربان الهاوما: "نصلي لهذه الجبال ليلا ونهارا، ونقدم قربان[الهاوما][3].كما قدمت: "قرابين الهاوما لنجمة تشتريا"[4]. وان اهورامزدا يخبر زرادشت عندما سأله عن افضل قربان يقدم الى تشتريا فأجاب: "فليقدم وطن الاريين قربان الهاوما"[5]، والزرادشتي يقول بأنه يقدم: "قرابين الهاوما لنجمة تشتريا...ونقدم لها الهاوما مع الحليب..."[6].كما قدمت قرابين الهاوما الى هفارنو(المجد الملكي)[7].كذلك قدم الهاوما من اجل تعاليم الحكمة الدينية وهي: "المتضمنة في كلمات منطوقة بها بدقة في تعابير واقوال زرادشت...من اجل البارسمان المنثور تماما...ومن اجل عقائد دين المؤمنين بـ مزداياسنا مع تراتيلها وحركاتها"[8].

4. **يقدم كقربان من الالهة الى اقرانها الالهة:**

في مقطع نقرأ ان الاله الخالق اهورامزدا يقدم قربانا الى اردفيسورا اناهيتا في: "اريانا-فيدجا(؟)، و(نهر)دايتيا الطيب(Daitya)(؟) الهاوما مع الحليب..."[9]. وهناك نصا يتحدث عن قيام الهاوما ذاته تقديم قربانه الى ميثرا: "فليقدم

---

[1]) فيسبرد،11: 4.

[2]) حول تقديس الجبال في الديانة الزرادشتية انظر: يحيى، الديانة الزرادشتية،ص128.

[3]) ياشت،1: 28، 31.

[4]) ياشت،8: 3.

[5]) ياشت،8: 58.

[6]) ياشت،8: 61.

[7]) ياشت،19: 13. من اجل دراسة حديثة حول مفهوم الـ هفارنو انظر: يحيى، الزرادشتية،ص141-150.

[8]) فيسبرد،12: 3.

[9]) ياشت،5: 17.

هاوما المقدس قربانه..."[1].ما هو القربان الذي يقدمه الهاوما؟، هل يقدم نفسه قربانا الى ميثرا؟ الحقيقة لا نمتلك اي دليل على هذا التصور، ولكن ربما كان ممكنا، اذ من غير شك كان الهاوما يقدم نفسه كشراب الى ميثرا طالما ان الاخير ذكر بشكل مؤكد انه تلقى قربان الهاوما.

طقس السوما/الهاوما:

في الهند كما هو الحال في ايران كما سنرى لاحقا كان الطقس الرئيس هو طقس السوما، اذ ان الاضاحي الرئيسة المميزة للعقيدة الفيدية هي اضاحي السوما التي ترتبط بالنار. ويبدأ الطقس بمديح النار الذي يطلق عليه اسم (اكني توما)، في موعد محدد من السنة(خلال فصل الربيع). يتضمن هذا الطقس تسبيح(اوبازاد) يستمر ثلاثة ايام ، ثم يجري طقس الديكسا(Diksa)، الذي يقدس خلاله المضحي عن طريق جعله يولد من جديد، ثم تعصر السوما في الصباح، والظهر، والمساء، وخلال عصير الظهر توزع اكراميات تدعى داكشينا(Dakshina) على الكهنة، مؤلفة من 7-21،أو 61، أو 100 بقرة، وفي بعض الاحيان تمنح كل اموال المضحي(من اجل الحصول على خدمات كاهن، أو المرشد الروحي، أو المعلم). وكانت الالهة تدعى خلال هذا الطقس، من اجل المشاركة في الاحتفال، في البداية منفردين ثم مجتمعين. وهناك اضحيات اخرى للسوما بعضها لا يتجاوز ليلة واحدة، وبعضها يدوم على الاقل 12 يوما، وفي كثير من المرات يدوم الطقس سنة كاملة، ونظريا لأثنى عشر سنة[2]. وان الطقس الرئيس في الزرادشتية هو طقس الياسنا، وكتب معظم الياسنا نثرا،

---

[1]) ياشت،10: 120.

[2]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص269.

وبصرف النظر عن الترانيم نفسها فإن المقاطع الشعرية الوحيدة الاخرى هي الياشت أو اناشيد المديح تشريفا لـ هاوما وسراوش، اذ يتلقى هذان الربان اجلالا خاصا في الياسنا لانهما يعدان مع النار المقدسة وسيطان بين الرب والانسان[1]. ومن المعروف ان تنفيذ اضحية الهاوما تتم مرتان في طقس الياسنا، وترافق مع التحضير الاول المسمى برغنا تقديم خبز مقدس دعي دراونا[2] وهو مكرس للرب سراوش، وتم استهلاكه بشكل طقوسي بعد التكريس، ثم كان يتبع ذلك تلاوة الهاوما ياشت، وهي ثلاث فصول منظومة شعرا، ويتناول الكهنة السائل المقدس في ختام الترانيم المخصصة لمدح النبات السماوي الا انهم لا يوزعون هذا السائل على جمهور المؤمنين، ثم كان يتبع ذلك الاعتراف بالعقيدة الزرادشتية التي يتم فيها الاعتراف بالإله اهورامزدا على انه الرب الفاضل: "الذي يملك الصدق، والذي يملك الثور، والذي يملك النور، والذي خلق الصدق والانسان القويم"، ويتم شجب الديفا بشكل واضح، كما كان زرادشت شجبهم سابقا عندما كان قد تحادث مع الرب الحكيم. ويتبع الاعتراف بالعقيدة تلاوة الصلوات الثلاث الاسمى تقديسا التي يفترض انها تعود الى زرادشت نفسه. ثم يبدأ التحضير الثاني للهاوما وتكريسه وتناوله، وتوجه الدعوة في الاداء الثاني لهذا الطقس الى جمهور المؤمنين من اجل المشاركة، وبذلك ينتهي هذا القسم القرباني المقدس جدا بالنسبة للطقوس الدينية. بعد الفراغ من اضحية الهاوما يتابع الكاهن التلاوة، فيتلو تراتيل زرادشت، مع ترنيمة الفصول السبعة من البداية حتى النهاية، ثم يقوم بترتيل صلاة على

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص104.

[2]) هناك نص بهلوي يعود للعصر الساساني يخص الـ دروان يدعى جيم درون أي معنى الدرون.

شرف الترانيم نفسها. كانت تتلى الاقسام (56-57) من الياسنا التي تعرف باسم سراوش ياشت، وهي ترنيمة كانت تتلى على شرف الرب سراوش، والذي يعد من وجهة النظر الطقسية اكثر الكائنات الربانية اهمية بما في ذلك الفيوض السرمدية، فضلا عن تلاوة ترانيم اضافية للمديح والتضرع، وقسم اخير على شرف المياه والربة اردفيسورا التي هي حاميتهم، والتي تمثل الرطوبة والقوة والنقاء. ويتركز الطقس بأكمله من البداية حتى النهاية حول النار المقدسة التي يتم مخاطبتها بأنها ابن اهورامزدا[1].وتبعا لكتاب داتستان دينك وهو كتاب بهلوي كتبه في القرن التاسع للميلاد كبير كهان فارس وكرمان المدعو منشوجهر، كان طقس الياسنا بأكمله يستمر من الفجر حتى الغسق، ولم يكن بإمكان الكهنة المترأسين للقداس ان يأكلوا أو يشربوا أو يناموا، أو حتى يريحوا انفسهم خلال هذا الوقت، ولم يكن يسمح لهم بالنطق بأية كلمة دنسة، وكان جوهر الطقس هو التقديم القرباني لنبات الهاوما، وتناوله الطقوسي من قبل الكهنة اولا، ثم من قبل جماعة المصلين[2]. وكما سنرى لاحقا كيف ان فوائد الهاوما متعددة وبلا شك كانت ممارسة طقس الهاوما يهدف الى الحصول على هذه الفوائد، ونحن نمتلك اشارة تؤكد الهدف الرئيس من ممارسة طقس الهاوما: "الگاثا(Gathas)(الخاصة بك) يا هاوما المقدس، اغانيك، تعاليمك، وكلمات طقوسك الصادقة تمنح الصحة والنصر، وتحمي من الحقد المؤذي، وتشفي"[3]. كانت هذه الطقوس تستخدم للشفاء، أو تستخدم في وقت الحروب(؟)، وهذا اقل تقدير ما كان يقوم به الكاهن-الساحر(الشامان) في القبيلة البدائية من

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص103-104.

[2]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص102.

[3]) ياسنا،10: 18.

طقوس، اي يشفي المرضى، ويمارس طقوسه السحرية من اجل النصر. ويذكر مقطع عن طقس نفذ نتيجة شرب الهاوما: "يا هاوما المقدس، يا حامل حقيقة الطقوس، وحولك ارمي هذا الجسد الجدير بأن يكون هبة عظيمة لك"[1]. ما هذا الطقس الذي يحتاج القائم به ان يرمي جسده للهاوما؟ هل كان طقسا شبيها بطقوس الشامانيين التي يحتاجها من اجل الدخول في غيبوبة؟[2] ربما.

فائدة السوما/الهاوما:

بالنسبة للآلهة والانسان على حد سواء كان تناول الهاوما ذا فائدة كبيرة، ويمكننا الان ان نحدد هذه الفائدة بدأً بالآلهة.

عرفنا سابقا كيف ان السوما بتقديمه شراب الى الالهة كان يؤدي خدمة لهم، وهذه الخدمة تتضح جليا اذا عرفنا انه طعام الخلود، الطعام الذي تتناوله الالهة لتضمن خلودها[3]، لذا أ يمكننا ان نتساءل ان كان الخلود بالنسبة للآلهة الهندية هو خصيصة موجودة في الالهة من ذاتها، ام انها تكتسبه بوسائل اخرى؟.

في الهند كما تشير الكتب الفيدية ان الالهة لم يكونوا خالدين، وان الريگ-فيدا تنص على ان الالهة تلقت هذه المنحة من سافيتري(Savitri)(من الالهة الشمسية في الريگ-فيدا وربما المسألة تشير هنا الى الشمس)، أو من اگني(Agni)(اله النار أو النار)، أو من شراب السوما الذي بلا شك ارتبط بالشمس التي ارتبطت بالخلود، لذا يقال انه اي السوما اختلط بأشعة الشمس؛ في حين حصل اندرا على الخلود عن طريق الزهد(تابا/Tapa)، وتشير

---

[1]) ياسنا،10: 14.

[2]) حول الطقوس الشامانية انظر: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص330-340.

[3]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص99.

اثارفـا-فيـدا(Atharva-veda) ان كـل الالهـة الاخـرى اكتسـبت الخلـود بالطريقـة ذاتهـا[1].ونقـرأ التقاليـد البراهمانيـة(1000-800 قبـل الميلاد) ان الالهـة في البـدء كانـت فانيـة، وانهـا اصبحـت خالـدة ومؤلهـة عـن طريـق الاضحية[2]، ونحـن رأينـا سـابقا ان الاضحية الرئيسـة في التقاليـد الفيدية هي الياجنا التي يُكّون السـوما الجـزء الاهـم فيهـا، وهكـذا نجـد ان السـوما يـرتبط بالشـمس مـن جانـب، والاضحية من جانب اخر وكلاهما يلعبان دورا في خلود الالهة، ولكن هل يمكن ايجاد شيء مشترك بين الثلاثة: شراب السوما-الزهد-الاضحية؟.

منـذ زمـن مبكـر في الهنـد طوبقـت الاضحية بـ(التابا)،وقيل ان الالهـة حصلت على الخلود ليس عن طريق الاضحية فحسب وانما عن طريق التنسك أو الزهد. واذا كان السـوما يقدم للآلهة في العقيدة الفيدية مع السـمن الذائب، والنـار المقدسـة والتي هي الاضحية، ففـي التطبيـق التنسـكي تقـدم لهـا اضحية باطنيـة، والتي تُبّـدل فيهـا الوظـائف العضـوية بالإراقـة، فـالتنفس مطـابق على الاغلـب للإراقـة غيـر المنقطعـة لشـراب السـوما. وهنـاك اشـارة الـى برانـا گنيهوترا(Prânâ gnihotra) اي: "القربان للنار(المكتمل) بالتنفس". فالتنسك كما رأينا كان مماثلا للأضحية، وبعض اشكاله حبس التنفس الذي هو نفسه يُعد اسمى من الاضحية، وبأن ثماره اكثر قيمة من ثمارها[3].وهكذا ندرك جيدا كيف ان السوما يلعب دورا مهما في خلود الالهة الفيدية، فالشراب هو الاضحية التي تماثل الزهد والتنسك(التابا)، ونخلص بذلك الى حقيقة ان كل الوسائل التي

---

[1]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص279. انظر ارتباط السوما بأشعة الشمس في: ريگ-ڤيدا،9، 61: 8.

[2]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص282.

[3]) المصدر نفسه،ج1،ص287.

تجعل الالهة الفيدية تكتسب الخلود وهي: سافيتري(من الالهة الشمسية)، واگني(النار)، والتابا(الزهد)، ترتبط بالسوما الذي هو شراب الخلود. فكما رأينا اعلاه ان السوما مختلط بأشعة الشمس، وهو يقدم في طقس الياجنا عن طريق سكبه على السمن الذائب في النار، وهو كأضحية يماثل التابا. وربما كان هذا الاعتقاد موجودا(اي قدرة الهاوما على منح الخلود للآلهة) ايضا قبل الاصلاح الزرادشتي، والذي بلا شك اختفى بعده.

يقدم السوما ايضا الى الالهة من اجل نشوتها: "لنشوة الارباب ها نحن نسكبك"[(1)]، وهو يخاطب بالقول: "انك متعة الارباب"[(2)]، وهو من يسعدها[(3)]، لذا يقال له عادة بأن يسارع لإسعاد اندرا[(4)]، أو يصفى من اجل نشوة اندرا[(5)]، فـ السوما هو صانع النشوة القدسية[(6)]، وحامل الغبطة الابدية[(7)]. وربما من هذا المنطلق عُد السوما ساحر الارباب: "سوما النقي المنقى، قادر بعصيره الخلاب، ان يسحر الارباب"[(8)].والسوما يزيد ايضا من قوة الالهة في صراعها ضد اعدائها واعداء الشعب الاري، ويعد الاله اندرا الرب الاكثر سموا بين كافة الالهة الفيدية، ويتم ربطه قبل جميع الالهة مع عبادة السوما، اذ انه يشرب

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 5.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 7.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 14: 3.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 24: 4.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 46: 6.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 12: 3.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 15: 8.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 24: 7. وهناك نصوص اخرى تربط بين الساحر والسوما احداها يقول ان السوما: "يقبل الينا ساحرا الالهيين"، ريگ-ڤيدا،9، 28: 6.

جرعـات كبيرة مـن السـائل المسـكر ليعطيـه قـوة اضـافية ليسـدد الضـربات الى الاشـخاص العنيفـين المتنـوعين الـذين يعترضـون سـبيل الاريـين الـزاحفين، وذات مـرة اصـبح ثمـلا بشـكل مخـزي خـلال المسـيرة[1]: "هـذه الاشـربة تنسـاب لـتُفعم امنيـات انـدرا، وتضـخم قـوتـه"[2]؛ وهـو يخاطـب مـن قبـل الكهنـة الـذين يقـدمون المشـروب اليـه: "اي انـدرا، هـذه الاشـربة تهبـك نداهـا...فتضـاعف قـدرتك في المعركـة..."[3]،فالإلـه انـدرا الجبـار وهـو في حالـة نشـوة بعـد تناولـه عصـير السـوما يقوم بسحق اعدائه[4]،والكهنة الذي يقدمون هذا المشروب لـ اندرا عن اخلاص يؤكـدون تزايـد قـوة الالـه بشـكل واضـح بعـد تناولـه الشـراب: "هـا قـد بطـش انـدرا بأعدائـه بجبـروت فريـد مـذ ذاق الشـراب المسـكر، وهـو جـاهز لضـربهم مـن جديـد"[5]. هـذه القـوة التي اكتسـبها انـدرا مـن تنـاول السـوما تجعلـه يـتمكن مـن تـدمير المـدن: "ايـا انـدو، تـدفق في هـذه الذبيحـة، اكرامـا لـذلك الـذي بنشـوة اشـربتك(اي انـدرا) دمـر تسـعا وتسـعين مدينـة"[6].كمـا ان السـوما يهـب انـدرا الانـدفاع لاصـطياد الثـروات[7].والسـوما لا يكتفـي بمضـاعفة قـوة انـدرا حسـب بـل يضـاعف قـوة كل الاربـاب: "ايهـا السـوما تعـال بشـرابك الجـذاب، وضـاعف قـوة المـاروتس(Maruts) وفـايو(Vayo) وسـائر الاربـاب"[8].ويمـنح السـوما المجـد للآلهـة

---

[1]) زيهنير،المجوسية الزرادشتية،ص99.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 1.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 16: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 10.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 23: 7.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 1.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 3.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 25: 1.

والعظمة بمجرد سكبه على الذبيحة المقدمة اليهم: "اندو عندما تخرج من الجرن لتعبر وعاء الذبيحة فإنك تصنع مجد اندرا"[1]. وسكب السوما في اوعية التقدمة: "تزيد بأعمالها من عظمة اندرا"[2].ولكننا في ايران لا نمتلك ادنى اشارة عن فائدة تقديم شراب الهاوما الى الالهة، ربما في العصور الموغلة بالقدم كانت الالهة الايرانية تضاعف قوتها عن طريق تناول شراب الهاوما كما هو الحال في الهند، ولكن هذه الصورة البدائية والسحيقة، وان جاز لنا القول الكريهة بالنسبة لـ زرادشت اختفت من الافستا تماما بعد الاصلاح الزرادشتي، وحتى ان اعاد الزرادشتيين بعد وفاة النبي الكثير من عناصر الديانة الايرانية القديمة، فإن صورة كهذه بلا شك لن تظهر مجددا في نصوص الافستا نظرا لابتعاد الزرادشتيين كثيرا عن هذه الصورة البدائية نتيجة افكار زرادشت الاصلاحية. وكما الالهة تستفيد من تناول الهاوما كان البشر كذلك يحصلون على فوائده العديدة التي يمكن ان نقدمها بالاتي:

1. **المتعة والنشوة والسعادة:**

ان تناول الشراب الالهي يمنح الانسان المتعة والسعادة، فهو قد حُضر في الاصل كي يفرح البشر[3]، ويمنحهم السعادة، ويقال عادة انه من اجل اسعاد البشر فإن السوما يقطن في الوعاء[4]، بلا شك الوعاء الذي يتناول البشر فيه السوما. ونتيجة لذلك السوما بأنه واهب الفرح أو السعادة[5]،ويُطلب منه دوما

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 24: 5.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 46: 3.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 24: 4.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 5؛ 62: 2.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 25: 6؛ 27: 2.

ان يمنح سعادة السماء[1]،ومعه فقط يستطيع البشر ان يحصلوا على سعادة العائلة[2]،كما ان السوما يمنح المتعة برؤية الشمس[3]. ولكن الاهم كان السوما هو من يمنح النشوة، نشوة عذبة، ومفرحة، ومتألقة، ومباشرة[4]،اذ انه: "صانع اكثر النشوات قدسية"[5]، تلك النشوة التي تصنع العظائم[6]. وهكذا نجد السوما يمنح الانسان تجربة وجدية تكشف عن الكمال الحيوي، وعن معنى الحرية بلا حدود، وعن امتلاك قوى طبيعية وروحية لا يتسرب اليها الشك[7].وان تناول الهاوما يمنح: "الجسد كثيرا من المتعة"[8]،كما يسبب الانتعاش: "دع انتعاشك ينعشني، ويسري فيّ بقوة، وعذوبة اكثر، دعه يأتي الي بتأثير قوي في حضرتك"[9]. وهذا لاشك فيه ما دام هو شراب مسكر: "دع ثملك يسعى الى الامام، دعه يكون مؤثرا"[10]. ولكن هل ان المتعة والانتعاش هو كل ما مطلوب من تناول السوما/الهاوما؟ بلاد شك لم يكن الامر كذلك بالنسبة للنهود والايرانيين معا، ولكن بماذا كانوا يفكرون وهم يتناولون هذا الشراب؟ بماذا كانوا يشعرون؟ ماذا يريدون؟ وماذا يأملون؟ اي هدف يحاولون الوصول اليه؟

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 9: 9.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 9.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 45: 1؛ 51: 3؛ 61: 19.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 6: 9.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 48: 2.

[7]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

[8]) ياسنا،9: 27.

[9]) ياسنا،10: 14.

[10]) ياسنا،11: 14.

لحسن الحظ اليوم نستطيع ان نجيب عن هذه التساؤلات من خلال دراسة النصوص الفيدية والافستية المتوفرة لدينا.

2. الخلود:

ان السوما/الهاوما هو الصيغة الهندو-ايرانية لمشروب عدم الموت(امارتا)[1]، ومن المفترض انه في ايران تتم تقوية الناس وجعلهم خالدين عن طريق شرب العصير الذي كان يتدفق من جسد الهاوما المسحوق بشكل طقسي[2]، لذلك يوصف الهاوما بأنه المفعم بالحياة[3]. ويقال عادة ان تناول السوما/الهاوما يهدف الى ابعاد الموت، اذ كان الهنود والايرانيون على حد سواء يعدونه اكسيرا للخلود، لذا عادة ما يقال ان الذين يشربون السوما يصبحون خالدين ويصلون الى النور ويجدون الالهة[4].وربما لهذا السبب نجد السوما في الهند مرتبط بالأفعى فهو: "مثل (الافعى)اهي(ahi) يزحف خارج جلده القديم"، وان تغيير الافعى لجلدها يرمز الى الخلود، ومما يدل على ذلك ما نقرأه عن الهة الاديتياس(Adityas)(ابناء اديتي(Aditi) الربة الخيرة في الريگ-فيدا) التي كانت في الاصل افاعي، وثم قامت بتغيير جلودها القديمة الامر الذي يعني انها اكتسبت الخلود، وبذلك اصبحت الهة الديفا[5].ونتيجة لارتباط السوما/الهاوما بالخلود اصبحت له بالتالي صفة مطلقة هي دوروشا والتي تعني حرفيا: "الذي يهرب منه

---

[1]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

[2]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

[3]) ياشت،9: 17.

[4]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص297.

[5]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص251.

الموت"[1]. وفي التقاليد الفيدية نقرأ بشكل صريح اهمية السوما في الخلود: "شربنا السوما، واصبحنا خالدين، بوصولنا للنور وجدنا الالهة. ماذا يستطيع ان ينقل الشر لنا الان... اننا نتضرع لسوما ان يمدنا في عمرنا، لأنه حرس اجسادنا"[2]. ان السوما حسب التقاليد الهندية يمنح الشعور بالمشاركة مع الالهة، بل الانتماء الى عالم الالوهية، واليقين بعد الموت. اي يمنح السوما حياة كاملة ممتدة الى ما لانهاية[3]. لذلك ربما نحتاج الى تساؤل ضروري، هل طقس السوما له ارتباط بعقيدة التناسخ الهندية؟ وهل الخلود الممنوح من السوما يشير ايضا الى استمر الروح وفق عقيدة السامسارا؟[4] اسئلة ما زالت الاجوبة حولها مبكرة. وفي ايران نقرأ عن حوار جرى بين الهاوما ذاته وزرادشت يوضح

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص96.

[2]) ريگ-ڤيدا،8، 48: 3-4.

[3]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259-260.

[4]) في الهند هناك إيمان قوي بتناسخ الأرواح أو التقمص المعروف باسم سامسارا(Samsara) ويمكن أن نلخص هذه العقيدة بما يلي: لا تنتقل روح الإنسان الميت إلى حالة من الديمومة في الجنة أو النار أو في أي مكان أخر، بل تولد ولادة جديدة، وتتوالى إعادة الولادة الواحدة بعد الأخرى في سلسلة لا متناهية، وليس من المحتمل ان تكون الولادات المتتالية على مستوى واحد فقط من الكائنات. فالولادة الثانية قد تحدث لفترة زمنية محددة في أي من حلقات الجنة أو الجحيم أو على الأرض في أي من أشكال الحياة النباتية أو الحيوانية أو الإنسانية لذلك، قد تكون إعادة الولادة إلى الأعلى والأسمى أو إلى الأدنى من المستوى الحالي أو المستوى السابق من الوجود. أي ان إنسان من مكانة اجتماعية متدنية ألان قد يولد في مرتبة راجا أو برهمي أو كمنبوذ أو حتى كحيوان أو دودة، أو احد الخضار أو روح في جهنم. وان الذي يقرر طبيعة الولادة الثانية هي أفعال الفرد في حياته وهو ما يعرف بمبدأ الكارما وهو المبدأ الذي يقول بان لأفكار المرء وكلماته وأفعاله أثرا أخلاقيا يحدد مصيره في الوجود المستقبلي. انظر: جون ب. نوس، "الديانة الهندوسية"، بحث ضمن موسوعة: تاريخ الاديان، تحرير: فراس السواح،(دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،2006)،ج4،ص37-38؛ انظر ايضاً: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص68-69.

فيه هذا الاله كيف انه يبعد الموت: "فأجابه هاوما الصادق ومبعد الموت: انا موجود يا زرادشت، هاوما الذي يبعد الموت عن هذه الحياة، من يدفع الموت بعيدا بعيدا..."[1] . ولكن كيف يدفع الهاوما الموت؟ لقد نظر الى الهاوما بكونه يجدد الحياة:"...هاوما الذي يجدد فينا الحياة...هاوما الذي يقود الموت الى مكان بعيد"[2] . الحقيقة ان النصوص الزرادشتية المبكرة لا توضح كيف يعد الهاوما مبعدا للموت على خلاف النصوص المتأخرة التي اصبحت هذه المسألة واضحة تماما، وعليه يفترض زيهنير ان الهاوما الذي رسمه اهورامزدا ليكون كاهنا ابديا، يقدم نفسه كأبن للرب اهورامزدا على شكل نبات الى ابيه في السماء، وعدت الاضحية الدنيوية التي اداها كهنة من البشر هي مجرد اعادة تقديم للأضحية السرمدية التي يقدمها الرب هاوما على قمة جبل هارايتي حيث تلتقي السماء والارض، وعليه ان اضحية وقربان هاوما المقدس هو قربان عشاء رباني بكل معنى، فالنبات متطابق مع ابن الرب، اذ يتم سحقه، ودقه في المهراس بحيث يخرج السائل المعطي للحياة الذي ينشأ من جسده، فيتمكن من تقديم حياة جديدة في الجسد والروح الى العابد[3] . وفي العصور المتأخرة عُد هوم(تسمية الهاوما في النصوص البهلوية):"باعث الموتى"[4] ، وعد كل من يتذوق الهوم يصبح خالدا عند بعث الخلق، لذا كان الزرادشتيون يصنعون منه شراب الخلود[5] ، وكما تشير النصوص البهلوية: "فهو يجعل الجسد والروح خالدين في استقامة"،

---

[1]) ياسنا،9: 2؛انظر ايضا: 10: 21.

[2]) ياسنا،42: 5.

[3]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص102.

[4]) دادستان مينوغ وخراد،62: 28.

[5]) بنداهشن،27: 4.

وبالتالي يختلف بهذا عن الاضحية الحيوانية التي اسسها كما تشير التقاليد الزرادشتية المبكرة ييما، لان الذين التهموا لحم الثور اصبحوا خالدين بالجسد فقط كما اكد نص بهلوي. ويستدل من هذا ان الطقس المختلط لأضحيتي الثور ونبات الهاوما غدا قادرا على تأمين الخلود لكل من الروح والجسد، اذ يستمد الخلود الجسدي من الثور، بينما يشتق خلود الروح من الهاوما، وهذا وان القربان المقدس على الارض يحدث فقط انتظارا للأضحية النهائية للثور هاديوش(Hadhayosh) من قبل سوشيانت(Soshyant)، وهو المنقذ الغيبي الذي سوف ينبعث في اخر الحياة من ابناء زرادشت، لبعث الخلق الصالح بأكمله، اذ سيتم تحضير الهاوما البيضاء اي شراب الخلود من دهن هذه الاضحية القربانية النهائية، والتي سيتم بواسطتها تجديد جميع الناس، وهم كاملون ومثاليون في الجسد والروح[1]: "سيقوم سوشيانت ومساعديه بتقديم القربان من اجل بعث الاموات، ولهذا فإنهم سيقتلون الثورة هاديوش، ومن شحم هذا الثور والهوم الابيض سيحضرون شراب الخلود وسيعطونه لكل البشر، وكل البشر سيصبحون خالدين الى ابد الابدين"[2].

3. المعرفة والحكمة والمجد:

لم يكن السوما/هاوما يمنح الخلود ويمنع الموت حسب، بل يمنح المعرفة والحكمة، فالسوما ينعش الفكر[3]، والمؤمنون الهنود يخاطبون سوما ويطلبون منه ان يمنحهم النور[4]، والحكمة[1]، وهي ليست اي حكمة انها حكمة

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص102، 105؛الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج2،ص351.

[2]) بنداهشن،30: 24-25.

[3]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 2؛ 35: 1.عُد النور بالنسبة للقدماء رمزا للمعرفة.

الاجداد[2]. والسوما يمنح لاتباعه مجدا عظيما ومتألقا، ففيه يكمن المجد والبهاء[3].وفي ايران اعتقدوا ان تناول الهاوما يمنح الانسان كل ما هو ايجابي في الحياة،: "يا هاوما امنح [الخير] للإنسان الذي يشربك..."[4]. وزرادشت يعلن ذلك بقوله: "عندئذ قال زرادشت: مبجل هاوما، خيّر هاوما، مخلوق جيد هاوما، مخلوق صحيح هاوما، طيب، مانح، شاف، جميل، منتصر، فاضل..."[5]. وهناك مقطع منسوب الى زرادشت يشير الى حالة مشابهة: "فيك، ايها الاصفر، وضعت كلمتي، والحكمة، القوة، النصر، الصحة، الوحدة، النجاح، الازدهار، والمتانة لكل جسدك، وكذلك كل الآراء المختلفة"[6]. وهكذا نجد الهاوما يمنح المجد والحكمة للذين يدرسون النسك[اسفار الافستا][7]،فضلا عن ذلك كان الهاوما يطور المعرفة، والبصيرة الدينية!!؟: "هاوما الممجد ينمو عند الافكار الفقيرة، فيحولها الى افكار غنية. هاوما الممجد ينمي الفكر عند الانسان الفقير، وكأنه يبلغ ذروة المعرفة. يا هاوما الاصفر، عندما تقف على هذه المعرفة، يصبح ذلك العارف مشهورا، حكيما، وقويا"[8]. ولكن كيف للهاوما ان يحول الافكار الفقيرة الى غنية؟ وهل هذا هو المقصود من مقطع اخر يقول ان الهاوما: "يجعل افكار

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 32: 6.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 9: 9.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 20: 4، 7؛ 32: 6؛ 61: 26.

[4]) ياسنا،10: 13.

[5]) ياسنا،9: 16.

[6]) ياسنا،9: 17.

[7]) ياسنا،9: 22.

[8]) ياسنا،11: 13.

الانسان الفقير عظيمة، وكأنها تصل الى الاوج"[1]. بمعنى هل يمنح الهاوما خبرة عرفانية صوفية؟ وبالتالي فإن اولى الافكار العرفانية تعود الى عبادة الهاوما؟ وهل يمنح الهاوما للزرادشتي البصيرة الدينية، ورؤية ما لا يستطيع الانسان العادي ان يراه؟ أو بمعنى اخر هل ان تناول الهاوما يجعل من ذلك الشخص يمر في غيبوبة شامانية؟. ان كل هذه التساؤلات لابد منها، وان افتقرت الى الاجابة القطعية. غير اننا من الهند يمكن ان نقرأ بشكل ما عن هذا التصور، فالكثير من الطرق الوجدية ذات الارتباطات الشامانية تتم باحتساء السوما أو مواد مسكرة اخرى[2].ووفقا لنص بهلوي لا يعد الانسان مؤمنا بالديانة الزرادشتية الا بشرب الهاوما: "لا يعد انسانا مؤمنا بالدين معترفا اعترافا حقيقيا به ما لم يكن قد شرب من الهاوما"[3].

4. الصحة والشفاء[4]:

ترتبط الصحة بالسوما في الهند، فالأمراض تهرب منه، لذا يوصف بكونه يشفي الامراض[5]، ويمحو الالام[6]، ويتوسل اليه عابديه بان يجعلهم ينتصرون على كل الاوجاع[7].وفي ايران يوفر الهاوما لشاربه صحة الجسد، والحياة

---

1) ياسنا،10: 13.

2) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص292.

3) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص105.

4) دُرست علاقة السوما-الهاوما بالشفاء سابقاً في: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص347-349.

5) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

6) ريگ-ڤيدا،9، 62: 2.

7) ريگ-ڤيدا،9، 57: 3.

الطويلة[1]، رأينا سابقا ان منح الصحة جزء من فوائد هاوما، لذا يوصف الهاوما بالشافي[2]،والشافي الجميل[3]، والزرادشتيون يمجدون هاوما الشافي، القوة العلاجية الواضحة التي تمكث في القرية، والبيت، وبين العشيرة[4]. فنبات الهاوما يحارب المرض بقوته المفعمة بالحياة: "كل السموم تأتي مصاحبة رابين (Rapine) ذا الرمح المدمى، ولكن قوة هاوما المفعمة بالحياة تصطحب الصداقة التي تشبه ابنا حنوناً يلاطف هاوما، هكذا يأتي هاوما لكي يشفي"[5]، وان شرابه الشافي يتدفق من اجل: "الهام المؤمن التقي"[6].لذا ونتيجة لكل تلك الفوائد الشافية، فإن الزرادشتيين يطالبون هاوما بان يمنحهم: "الوسائل العلاجية"، لمن يعالجهم[7].وفي العصور المتأخرة عُد: "الهوم(الهاوما) المعصور قائد النباتات العلاجية[الطبية]"[8]؛ كما وصف بالهوم الشافي والطاهر[9].

5. القوة:

كان الانسان يحتاج دوماً الى من يمنحه القوة من القوى الالهية، ويبدو ان شراب السوما/الهاوما يحقق هذه الحاجة، ففي الهند عُد السوما موطد

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

[2]) ياسنا،10: 7، 9؛ياشت،10: 88.

[3]) ياشت،9: 17.

[4]) ياسنا،11: 7.

[5]) ياسنا،10: 8.

[6]) ياسنا،10: 12.

[7]) ياسنا،11: 9.

[8]) بنداهشن،24: 18.

[9]) بنداهشن،27: 4.

القوة[1]، فالشراب يحمل للخادم المتفاني في خدمة السوما القوة[2]،وهو الذي يصنع الابطال الجبابرة[3]، والبشر يطلبون منه بكل تواضع ان يهبهم القوة والقدرة[4]، قوة الابطال[5]، تلك القوة المتألقة المنيرة[6]، وقدرة للبشر من اجل إنجاز عملهم[7]،وجبروتاً يحطم قوة الابطال[8].وفي العراك يمنحهم قوة الصنديد[9]. ونتيجة شرب السوما يقول احدهم: "ان القبائل الخمس(البشرية) لم تُظهر لي انها جديرة حتى بإلقاء نظرة، أ لم اشرب السوما؟". يقول اخر مفاخرا: "سددت السماء بقامتي، سددت الارض الواسعة...سأخرب هذه الارض بضربات كبرى...لقد رسمت احد جناحي في السماء، والاخر رسمته هنا تحت...انني كبير، كبير، لقد اندفعت حتى الغيوم، أ لم اشرب السوما اذن؟"[10].وفي ايران يمنح الهاوما قوة وازدهاراً دنيوياً[11]، والقوة والقسوة للذين

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 2.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 3.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 23: 5.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 3؛ 40: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 43: 6.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 29: 6.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 36: 3.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 30: 3.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 8.

[10]) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص260.

[11]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

يقـودون الخيـول[1]، لـذا يقـال عـادة انـه يـتم تنـاول الهاومـا مـن اجـل الاجسـام وقـوتها[2].

6. الزواج والانجاب:

ان السـوما يزيـد مـن الحيويـة الجنسـية[3]، امـا الهاومـا فيمـنح البشـر الـزواج، فهـو طبقـا لـنص: "هاوما للعـذراوات اللاتي جلسـن فترة طويلـة دون زواج، يمـنح هاوما لهن زوجا حقيقيا، حكيما سيصلي له في المستقبل"[4]. كما يمنح كلا من السـوما والهاوما الاطفـال، ففـي الهنـد كـان السـوما هـو المسـؤول عـن الخصـب المؤدي الى الانجاب: "هبنا الخصب مع الاطفال"[5]؛ ومن اجل ذلك يقال: "هـذه الاشربة السخية...تعدنا بـ...الاولاد"[6]؛ فهو واهب الاولاد[7]،لذا نجد السـوما يهب الانسـان اسـرة كبيرة، ونشـيطة[8]؛ كمـا يهبـه: "اطفـالا جبـابرة"[9]، وذريـة قويـة، وبهيـة، وحميـدة[10]،،ويُطلـب منـه كـذلك ان يمـنح الاحفـاد[11]. وفي ايـران كـان الشخص الـذي يقـوم بإعـداد الهاوما يحظى بجـزاء جيـد الا وهـو ان يـرزق بـأبن،

---

1) ياسنا،9: 22.

2) فيسبرد،11: 3.

3) الياده،تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج1،ص259.

4) ياسنا،9: 23.

5) ريگ-ڤيدا،9، 23: 3.

6) ريگ-ڤيدا،9، 62: 2.

7) ريگ-ڤيدا،9، 9: 9.

8) ريگ-ڤيدا،9، 11: 9؛ 61: 23.

9) ريگ-ڤيدا،9، 2: 10.

10) ريگ-ڤيدا،9، 13: 4-5؛ 61: 26.

11) ريگ-ڤيدا،9، 11: 3.

وذلك يتضح من تساؤل زرادشت عن الجدوى التي يتلقاها الانسان في حالة اعداد شراب الهاوما، وهنا يسرد له الهاوما تاريخه القديم مع البشر، وكيف انهم تلقوا جزاء حسنا من هذا الفعل،: "توسل اليه زرادشت، يا هاوما المقدس، من كان اول انسان اعدك للعالم المادي؟ واية جدوى كانت له؟ واي جزاء؟. اجابني هاوما الصادق مبعد الموت..."[1]، ان كلام زرادشت نمطي، يتساءل فيه حول اولئك الاشخاص الذين سبقوه واعدوا نبات الهاوما، في المقابل كانت اجابة هاوما نمطية ايضا، ففي مقابل كل سؤال من اسئلة زرادشت يقدم هاوما اجابته عنها بذكر اسم الشخص الذي اعد الهاوما، وما هو جزاءه، والجدول التالي سيوضح من قام بهذا الفعل من الابطال الاسطوريين الايرانيين، وما هو جزاءهم مقابل هذا الفعل[2]:

اسماء الابطال الاسطوريين الذين اعدوا نبات الهاوما	نتائج هذا الفعل
فيفاهفانت(Vivanghvant)	رزق بابن هو ييما(Yima) العظيم.
اتفيا(Âthviya)	رزق ابنا سماه ترايتونا(Thraetaona) من قبيلة الابطال
تريتا(Thrita)	رزق بابنين هما: اورفهشايا(Urvakhshaya) حارس الايمان والقانون، وكيرساسبا(Keresaspa) فتى طويل

1) ياسنا،9: 3-4.

2) ياسنا،9: 4-13.

	القامة رافع الهراوة[...].
بوروشاسبا(Pourushaspa)	رزق ابنا هو زرادشت(Zarathushtra) ذاته.

كما يمنح هاوما الايرانيين القادرين على الانجاب: "اطفال مشرقين، وسلالة صالحة"[1]. وهناك اسطورة تتحدث عن دور هاوما في انجاب زرادشت ذاته، اذ تقول ان العظمة القدسية/روح القدس وهو من خلق اهورامزدا، بعد ان صدر عن الرب ذاته مر بكل حلقة من حلقات السلسلة العلوية، سلسلة الكائنات أو الاجرام السماوية، ثم هبط من العالم العلوي الى العالم السفلي، وحل بجسد المرأة التي قدر لها ان تكون اما لـ زرادشت، وتروي الاسطورة، ان روح القدس بعد ان حل بجسد تلك المرأة ابان طفولتها، وكان جزءا لا يتجزأ من كيانها الذاتي. وقد افضى ذلك عليها جلال نورانيا غير عادي، كان يبعث الرهبة في قلوب من رأوها، فاشفق عليها ابوها، وخشي ان تكون ايدي السحرة قد امتدت اليها، فأرسلها الى قرية تقع على بحيرة أورميه، وهناك تزوجت من رجل من الرعاة الفلاحين، يرجع الى اسرة عريقة في المجد والشرف واسمه بوروشاسبا(Pourushaspa). وبينما كان هذا الرجل يرعى مواشيه في حقله، تراءى له شبحان نورانيان لم يلبثا ان اقتربا منه، وانبأه انهما الملكان فوهومان(Vohuman)، واشافاهيشت(Ashavahisht)، ثم قدما غصنا من اغصان نبات الهاوما، وامراه ان يحمل هذا الغصن معه الى الدار، ويقدمه الى زوجته، لأنه يحمل الفرافاشي(Fravashi) اي كيان الطفل الروحاني. فنفذ بوروشاسبا الامر، ومزج الغصن باللبن، وشربه هو وزوجته فحملت

---

[1]) ياسنا،9: 22.

زرادشت[1].والهاوما يتسبب في تزايد المساكن(؟)[2]. ان مسألة مساهمة الهاوما في تزايد المساكن امر غريب، اذ كيف يمكن لشراب ان يسهم في ذلك؟ ان ذلك يمكن ان يفهم فقط اذا نظرنا للمسألة بأن الهاوما سيسهم في تزايد الانجاب!!.

7. الثراء والرخاء:

في التقاليد الهندية يظهر السوما وهو يمسك بيديه الثروة، بل بيده اكثر الثروات غنى[3]، فهو سيد الغزارة والثراء[4]،لذا كان السوما هو الذي يهب الارزاق[5]،ونعماً غزيرة[6]،وعطايا: "اندو كن كحوض مليء بالعطايا، فمن غيرك يقذفها علينا"[7].ويمنح الثروة والغنى لخدمه المنشدين والمُهريقين[8]،كما يمنح الثراء والعز للبشر[9]،لذا نجده يهبهم الثروات الكبرى[10]؛ ثروة الاغنياء، وهي ثروة وفيرة، رغيدة، وعظيمة، ونفيسة[11]؛ومن ثم فهو ويمنحهم ذهبا[12]. وسوما

---

[1]) عبد القادر، زرادشت الحكيم،ص35.

[2]) ياسنا،10: 21.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 18: 4؛ 35: 2.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 31: 2.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 10.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 43: 4.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 52: 3.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 3: 6؛ 21: 2؛ 40: 5؛ 46: 5؛ 47: 3.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 9.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 26.

[11]) هناك عدد كبير من النصوص تتحدث عن دور سوما في جلب الثروة للبشر يمكن ان نقرأها في: ريگ-ڤيدا،9، 1: 3؛ 4: 10؛ 9: 2؛ 11: 9؛ 19: 1؛ 20: 3-4؛ 21: 5-6؛ 40: 6؛ 52: 1، 5؛ 61: 3.

[12]) ريگ-ڤيدا،9، 41: 4؛ 61: 3.

حامل الخيرات[1]، لذا ويهب البشر الخيرات كلها[2]،وهي خيرات الارض والسماء، خيرات كلا العالمين التي لا تحصى ولا تعد[3]. والسوما يحمل للخادم المتفاني في خدمته الكنوز[4]، لأنه يحمل في داخله هذه الكنوز: "هكذا تحمل هذه الامواج النقية كل انواع الكنوز"[5].وبما ان البشر يستطيعون ان يظفروا بالنصر فقط بمساعدة السوما، لذا يطلبون منه ان يجلب لهم الكنوز[6]، وهي بلا شك الغنائم، وهذا المفهوم يظهر جليا عندما يقال: "انك انت من يتحفنا بأسلاب اعدائنا"[7].والسوما في داخله الغزارة الذي يرسلها للبشر[8]، ويقول البشر له دوما بأن يعطيهم غزارة البحار الاربعة[9]، وغزارة الحصاد[10]،لذا نجده يُقبل في الاعياد محمل بالغزارة: "ها هي الاشربة التي تنشدون، تُقبل الى عيدكم محملة الوف الكنوز، وحاملة اليكم الغزارة"[11]. وهذه الغزارة يمنحها السوما للبشر عن طريق الامطار التي تهطل بشفاعة السوما نفسه[12]، أو هو الذي يسبب في

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 48: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 38: 1؛ 42: 5؛ 49: 2؛ 57: 1.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 29: 6؛ 33: 6؛ 36: 5؛ 40: 4، 6؛ 47: 3؛ 57: 4.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 3.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 21: 4. الحقيقة لا يمكن التأكد تماما من ان تعبير الكنوز في هذا النص يشير الى الثروة بقدر ما يمكن ان يشير الى المعرفة!!!.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 3.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 52: 4؛ انظر ايضا: 61: 23.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 3؛ 61: 20.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 33: 6.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 6.

[11]) ريگ-ڤيدا،9، 13: 3.

[12]) ريگ-ڤيدا،9، 39: 2.

هطولها: "اسكب في السماء مطرك الخصب"[1].ولأنه يملك الغزارة كان البشر الطامعين بعطفه يطلبون ان يهبهم الوفرة[2]، وهكذا نجد إن الوفرة تقف الى جانبه[3]، والسوما هو الذي يعد بالوفرة ويمنحها[4]،وهذه الوفرة يهبها السوما مع الحصاد[5]،والحصاد والفيض من عنده ايضا: "اي اندو احمل الينا هذا الفيض، اعطنا حصاداً ضخماً"[6]؛ ولكن بما ان الوفرة والغزارة والحصاد تعتمد على الخصب، لذا كان السوما مصدر الخصب[7]، فهو من يرسل: "من السماء الخصب مع الامطار"[8]، وهو من يمنح المزروعات للبشر[9]. ولما كانت حياة البشر لا تعتمد على الزراعة حسب بل على الثروة الحيوانية ايضا كان السوما الذي هو مالك الجياد، هو من يهب الابقار والاحصنة للبشر[10]. والغزارة التي هي من هبات السوما للبشر لا تقتصر على الزراعة والمحاصيل فقط بل يطالب البشر من السوما ان يمنحهم الغزارة بالبقر والجياد[11].والسوما لا يكتفي بأن يهبهم الابقار بل انه: "حافظ الابقار"[12]، وحتى حليب الابقار هو من

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 49: 1.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 1-2؛ 61: 6.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 31: 4.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 4.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 9: 9.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 13: 4؛ انظر نصا مشابها في: 61: 10.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 2: 10.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 8؛انظر نصوص مشابهة في، 9: 1.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 3.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 2: 10؛ 9: 9؛11: 3؛ 20: 2؛ 41: 4؛ 61: 3، 20.

[11]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 6؛ 62: 2.

[12]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 7.

يهبه: "غدا ثورا قويا، فاشتهت البقرات المقدسات ان تتحد به. فاستجاب الرب النقي لأمنيتها، واخصبها، فأعطت لبناً متألقاً"[1]. كما يمنح السوما البركة[2]. وفي نهاية الامر كان الغرض الرئيس من كل ذلك الثراء والخيرات والوفرة والغزارة والثروة الحيوانية هو ان يحصل البشر على الرخاء الذي لا يوصف[3].فهل اعتقد الايرانيون كذلك بأن الهاوما يمنح الثراء؟ ربما رغم اننا لا نمتلك حاليا اشارة واضحة حول ذلك، ولكنها ربما فقدت مع ما فقد من نصوص الافستا، أو ربما تم اهمال هذه الاشارات عن عمد بعد تنقيح الروايات القديمة حول ديانة الايرانيين القدماء على يد الزرادشتيين.

8. الواسطة بين الالهة والبشر:

يظهر السوما في التقاليد الهندية وهو الوسيط بين الارباب والانسان، وهذه الوساطة تظهر جلياً وقت تقديم السوما نفسه قربانا للآلهة لأنه اي السوما سيصبح بمثابة حامل قرابين البشر الى الالهة[4]. لذا يخاطب السوما من قبل البشر ويقال له ان يصبح رسولهم الى اندرا، وهو من يشفع للبشر عند الالهة[5].

9. الحماية من الشر:

كان السوما يعمل على حماية العالم من الشر[6].: "الارض لا تُحرم من...حمايته"[1]، فهو حارس البشر والشعوب[2]، لأنه يحفظ مسبحيه من

---

1) ريگ-ڤيدا،9، 19: 4-5.

2) ريگ-ڤيدا،9، 35: 1.

3) ريگ-ڤيدا،9، 40: 4.

4) ريگ-ڤيدا،9، 36: 2.

5) ريگ-ڤيدا،9، 45: 2.

66) ريگ-ڤيدا،9، 23: 5.

الشر[3]، ويبعد الاشرار[4].فالهندي ينادي السوما ويطلب منه ان يحمي العالم عن طريق مذبح القرابين: "هلم استقر في المذبح كي تحمينا"[5]. وهو من يحفظ البشر من كل رقيب فاجر[6]،ويحميهم(اي البشر) في وقت تنفيذ الطقوس الدينية من الشر: "احفظنا، ايها السوما النقي النشيط ايام الذبائح، وبدد الظلمات التي تستحق ان تقهر"[7]. وفي ايران كان العالم بالنسبة للزرادشتيين منقسم بين قوتين متناقضتين هما الخير، والشر، وقد عرفنا سابقا كيف ان الهاوما يتميز عن بقية المشروبات بكونه ينتمي الى عالم الخير، لذا فإن الهاوما يخاطب بانه سعى بكل قواه من اجل: "الهام الفكر الخيّر"[8]، وهو المدافع، ونصير الاجسام والخير[9]. لذا فإن تناول الهاوما كفيل بحماية العالم من كل الشر، فعندما تحدى روح الشر انگرامـاينيو زرادشت حول السلاح الذي سيستخدمه الاخير من اجل القضاء على مخلوقاته الشريرة اجابه زرادشت بثقة: "بالجرن، بالكأس، بالهاوما، وبكلمات مزدا، هذه هي اسلحتي..."[10].

---

1) ريگ-ڤيدا،9، 61: 4-5.

2) ريگ-ڤيدا،9، 8: 9؛ 35: 5

3) ريگ-ڤيدا،9، 61: 10.

4) ريگ-ڤيدا،9، 61: 17.

5) ريگ-ڤيدا،9، 2: 2.

6) ريگ-ڤيدا،9، 29: 5.

7) ريگ-ڤيدا،9، 9: 7.

8) ياسنا،11: 12.

9) ياشت،14: 57.

10) اختيار زرادشت: 9.

والهاوما يمنح الانتصار في المعركة على الكذب والقوة لقمع اللصوص والذئاب[1]: "وضعت فيك تلك القوة، لأستطيع المشي بحرية في النور، قاهرا الحسد، داحرا الدروج(الكذب). كذلك لأهزم حسد كل الحاسدين من الابالسة، والناس، السحرة، والساحرات، والمؤذيين من الكافيين(Kavis)، والكارابانيين(Karpans)، الاشرار ذوي الرجلين، والذئاب ذات الارجل الاربع، والجيش ذي الجبهة الواسعة، السريع، المتنقل، الهادر"[2]. لذا ان تناول كمية قليلة من شراب الهاوما كافٍ من اجل هلاك الاف الارواح الشريرة، وطرد المدنسات التي يسببها الابالسة[3]. فالشخص الذي يتناول الهاوما يناشده بانه ينقذه من كل الشر: "انقذنا من حسد الحاسدين، صادر العقل من رؤوس الاشرار، ذلك الانسان الذي يعيش في هذا البيت، في هذا الريف، في هذه القرية، في هذه المقاطعة، ذلك الانسان المعادي لنا، صادر القوة من قدميه، كدروعيه، واسحق عقله. لا تدعه ان يكون قويا بقدميه، ولا قويا بيديه، ولا تدعه يرى الارض بعينيه، ولا الطبيعة، ذلك الذي يسيء الى ارواحنا، واجسادنا"[4]. كما ان الهاوما يعمل من اجل ارهاب: "هدف اللاعن"، لذلك يخاطب بأن يحطم: "فكر الذي يقف كعدو لي"[5]. بل ان الهاوما يرعب: "كل فكر ينطق بالسوء"، ويرعب كل انسان شرير يعادي الشخص الذي تناول الهاوما: "بالقول السيء"[6]. ونحن نقرأ في رواية متأخر

---

[1]) زيهنير، المجوسية الزرادشتية،ص106.

[2]) ياسنا،9: 17-18.

[3]) ياسنا،11: 6-7.

[4]) ياسنا،9: 28-29.

[5]) ياسنا،10: 12.

[6]) ياسنا،11: 12.

تقول ان زرادشت طلب من الاله اورمزد(اهورامزدا) منحه الخلود، وان يجعله مثل شجرة الهوم المعادية للشر خالدا[1]. الحقيقة نحن لا نعرف تحديدا كيف سيتمكن الهاوما من مساعدة الانسان ضد كل هذا الشر الموجود في العالم، فالنصوص المقدمة هنا غامضة، فهي تشير الى قدرة الهاوما على دحر الشر من شياطين، وبشر، وسحرة، ولكن لا تخبرنا كيف سيتم هذا، فهل من المحتمل ان ذلك سيتم عن طريق الشخص الذي يتناول الهاوما ذاته؟ اي بمعنى ادق ان الهاوما سيُمنح كل القوة، والشجاعة للشخص الذي تناوله، هذه القوة الكفيلة بسحق الاعداء، ولكن هذا القول ليس تصورا تجريديا حسب، بل هو واقعي بالنسبة للزرادشتتين فالشخص الذي يتذوق الهاوما لن يستطع الاعداء التغلب عليه في المعارك، لذا فذلك الشخص يخاطب الهاوما: "دعني اقهر الجيش، دعني اسحق الجيش، دعني احطم الجيش الذي يطاردني"[2].هذه هي صورة واحدة يمكن ان تقدم عن الهاوما وقدرته على مقاومة الشر، ولكن ما هي الصورة الثانية؟ تلك التي سنناقشها لاحقا.

10. النصر:

ان السوما لا يكتفي بحماية العالم من الشر بل يمنح البشر الانتصار في المعارك[3]، على الاشرار: "انك بطل، معه يجب ان نظفر في المعركة"[4]؛ أو: "بقوتك ننتصر في المعركة"[5]. والبشر يبجلون السوما لأنه يمنحهم الانتصار على

---

[1]) زند افستا/زند فاهومان ياشت،الفصل:2،الفقرة:1.

[2]) ياشت،14: 57.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 8.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 3.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 29.

دسيو(Dasyu)(قوى الجهل والظلام) الفاسق[1]؛ كما يساعدهم على الانتصار على الركشاسا[2]،ومن اجل تحقيق النصر على الاشرار كان لابد من وجود عدد كبير من المحاربين لذلك ومن اجل تحقيق هذه الغاية يتوسل البشر ان يمنحهم السوما غزارة بالأبطال!! [3].والهاوما يهزم الاعداء، ويمنح النصر[4]، لذا عادة ما يسأل متناول الهاوما منه: "الخلاص والنصر"[5]،والزرادشتيون يريدون من هاوما ان يمنحهم النصر، اكثر من وسائل: "قهرك للعداوة"[6].

السوما/الهاوما المقاتل:

في الهند وايران على حد سواء يظهر السوما/الهاوما وهو يمنح القوة للبشر أو الالهة التي تمكنهم من مجابهة الشر، ولكن الى اي حد يمكن التمسك بتصور ان السوما/الهاوما يزيد من قوة الالهة والانسان لكي يتمكن من مواجهة الشر، بمعنى كيف يمكن ان نصدق ان السوما/الهاوما سيمنح القوة حسب للشخص الذي يتناوله؟! وهل يمكن للسوما/الهاوما بذاته ان يشارك في قهر الشر كقوة مجسمة؟! اي هل يمكن للسوما/الهاوما ان يظهر كإله مقاتل مثل بقية الالهة الاسطورية التي تشارك في قتال الشر؟.

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 41: 2؛ 46: 2.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 24.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 42: 6.

[4]) ياسنا،10: 19.

[5]) ياشت،14: 57.

[6]) ياسنا،11: 9.

في التقاليد الهندية الموغلة بالقدم نقرأ عن صفة سوما المقاتل بوضوح، فهو يوصف بكونه المدجج بأحلى الاسلحة[1]، والمزين بالأسلحة البهية[2]؛وهو الذي يعرف مفعول الاسلحة وقدرتها[3]، فسهامه مخيفة، وهي قاطعة عندما تضرب[4]. والسوما هو السيد الظافر[5]؛ والجبار كالرعد[6]؛ وهو ثور هائج يشحذ قرونه: "بفمانا(Pavamana)(صفة سوما) المسمى تانونابات(Tanoûnapat)، يقبل شاحذا في مهب الريح قرونه التي يتطاير منها الشرر"[7]، وانه قوي كالفيل، وسريع كالصقر[8]،بل انه بمثابة الحربة التي يشق بها البشر صفوف الاعداء[9].وهو المنتصر على قوى الشر والظلام، وان صفته الرئيسة: "هازم/قاتل الاشرار"[10]، أو: " محطم الاعداء"[11]،تظهر بوضوح في التقاليد الفيدية، فهو: قاتل/هازم الركشاسا، ونازع كنوزهم المكدسة[12]؛ وقاتل الفاسقين الاغراب[1]،

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 7.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 15: 8.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 35: 4.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 30.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 27: 4.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 47: 3.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 5: 2.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 57: 3.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 52: 3.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 11: 7؛ 61: 19.

[11]) ريگ-ڤيدا،9، 61: 13

[12]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 2؛ 15: 6؛ 37: 1؛ 56: 1. ان تعبير قاتل الركشاسا تم ايضاحه سابقا عندما بشكل اعتيادي ان سكب السوما في طقس الذبيحة يسبب قتل الركشاسا، غير ان الامر يسمح بمجادلة حول

وهو الذي ينقض على كل الخبثاء[2]،ويطالبه عباده بأن يسحق فريترا(Vritra)[3]؛ ويبدو ان هذا النصر قد تحقق وهذا يظهر جليا في صفة سوما بأنه: قاتل أو هازم أو المنتصر على فريترا[4]. وان قتل فريترا ليس امراً هيناً فهو بالأساس كان من اجل تكريم الالهة: "يقتل فريترا ويكرم الالهة"[5]. ويُطالب السوما عادة من قبل عابديه بأن يسحق العدو، ويدمر مدنه[6]، ويضرب بقوة الفاسقين، ويحطم كل من يشهر الحرب عليه[7]،: "انت يا من يظفر بألف عدو، يا من يهاجم خصمه، ويضربه، ويجندله، ولا يعرف الهزيمة قط"[8]. ولأنه لا يُهزم يطالبه البشر ان ينتصر على اعدائه[9]، واعداء البشر: "اسحق(اقتل) كل اعدائنا"[10]؛ أو: "ادحر اعدائنا الهاجمين من كل جانب"[11].فالسوما الالهي يُقبل: "منقضا على اعدائه"[12]، وهو يضرم الهلع في قلوبهم، ويستولي على ثرواتهم، ويستحوذ

ما اذا كان السوما في عصور موغلة يقوم بشكل فعلي بقتل الشياطين!!؟ رغم عدم وجود بيانات كتابية تؤيد افتراض كهذا الا انه امر لا يمكن اغفاله بشكل نهائي.

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 13: 9؛ 24: 7؛ 28: 6.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 40: 1.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 1: 2-3.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 24: 6؛ 28: 3؛ 37: 5.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 25: 3.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 48: 2.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 53: 2-3.

[8]) ريگ-ڤيدا،9، 55: 4.

[9]) ريگ-ڤيدا،9، 4: 3.

[10]) ريگ-ڤيدا،9، 8: 7؛ 13: 8؛ 61: 26، 28.

[11]) ريگ-ڤيدا،9، 53: 1.

[12]) ريگ-ڤيدا،9، 3: 2.

على قوتهم، وخصوبتهم، وعافيتهم[1]، والشراب يجلب الموت لهم[2]، وهو كما يمنح الثراء والرخاء لاتباعه، انه كذلك من يحرم الاشرار من ثرائهم: "سوما انتزع من البانيس(Panis) بقراتهم الحلوب..."[3]. ولأنه مقاتل فهو لا يحصل على البقرات والجياد، وكل الكنوز الا عن طريق النصر[4]، لذا نجده ينطلق كالبطل الصنديد الى غزو كل الكنوز لأجل خدمه[5].وبعد انتصاره المبين على اعدائه فإنه يحمل اسلابهم: "احمل لنا اسلاب عدو فاسق دجال"[6]؛ و: "ضع اسلابهم(اي الاعداء) على عرباتنا"[7].

ان صفة سوما المقاتل تظهر بوضوح في النصوص الفيدية، غير اننا يمكن القول انها تصورات جدلية، فمن حق اي قارئ للنصوص ان يجادل بأن ما ورد هنا من مادة نصية لا تقدم دليلا قاطعا على صفة السوما المقاتل، فكل النصوص اعلاه يمكن ان تقدم تصورات اخرى، وهي ان السوما يحقق هذه الانتصارات عن طريق منحه القوة للأرباب او البشر، وان بعض الصفات التي وصف بها السوما مثل: المدجج بالسلاح، قد تشير الى وصف مجازي، لا اكثر. وان ذكر النصوص بأن السوما يهزم قوى الشر مثل الركشاسا لا تشير الى حرب واقعية، فكما رأينا سابقا ان مجرد سكب السوما في وعاء القرابين فأنه يشير الى

---

[1]) ريگ-ڤيدا،9، 19: 6-7.

[2]) ريگ-ڤيدا،9، 17: 1.

[3]) ريگ-ڤيدا،9، 22: 7.

[4]) ريگ-ڤيدا،9، 59: 1.

[5]) ريگ-ڤيدا،9، 3: 4.

[6]) ريگ-ڤيدا،9، 23: 3.

[7]) ريگ-ڤيدا،9، 53: 2

دحر الركشاسا. غير ان قضية مهمة تستحق المناقشة هنا وهي انتصار سوما على فريترا، التي لا يمكن ان نجزم بشكل قاطع انها تمثل حربا اسطورية بين الاله سوما، واحدى قوى الشر وهو فريترا، طالما اننا نقرأ في اسطورة ان الاله اندرا هو الذي دحر فريترا بعد ان تناول شراب السوما. ففي الاسطورة التي نحن بصددها نقرأ كيف ناشد آلهة الاديتياس (أي أبناء اديتي المعبودة الخيرة في الريگ فيدا وكان الاديتياس أو الاديتيات في حالة صراع مع الدانافات وكادوا يندحرون لذا فهم بحاجة إلى بطل) الإله اندرا أن يكون بطلاً، ولكنه على حداثة سنه اشترط قبل القبول أن يكون ملكهم، وكان عليهم أن يوافقوا. وعندئذ خرج ليدخل المعركة مع فريترا وصنع تفاشتري صانع الآلهة سلاحاً يسمى فاكرا تعدله المأثورات بالبرق، ولما قوى نفسه بثلاثة أباريق من شراب السوما، وزاد حجمه، وقوته هاجم فريترا الذي تصفه النصوص بثعبان راقد على الجبال، وكانت المعركة ضارية، وتحدثنا الأناشيد كيف إن اندرا قاتل وحده، و تقول أحيانا بان له أعوانا. ولم يكن فريترا شديد البأس فحسب، بل كان حاذقاً، وممتلئاً بالحيل السحرية. ومع ذلك لم ينفعه بأسه، ولا سحره فقد هوى عليه اندرا وقصم ظهره أوكما قيل فجر جوفه[1]. كما ان اسطورة الصراع مع فريترا لها رمزية اعمق من صراع بين قوتين اذا ما فهمنا انها تمثل محاكاة لفعل الخلق ، ففي الهند قبل ارساء حجر الاساس لأي بناء، يقوم المنجم بتعيين النقطة التي يحفرون فيها الاساسات، ويكون موقع هذه النقطة فوق الثعبان الذي يحمل

[1]) نورمان براون، "أساطير الهند"، بحث ضمن كتاب: أساطير العالم القديم، ترجمة: احمد عبد الحميد يوسف، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر،(القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1974)،ص250-251.واشار باحث على ان لهذه الاسطورة مؤثرات بابلية انظر: اسامة عدنان يحيى، الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم: دراسة في الاساطير،(عمان: دار امواج للطباعة والنشر والتوزيع،2015)،ص75.

العالم، ويعمد المعمار الى قطع وتد من خشب شجرة الخديرا، ويغرزه في الارض بواسطة جوزة هند، عند النقطة التي يُسحق فيها رأس الثعبان، ثم يجعلون حجر الاساس فوق الوتد، وبذلك يكون حجر الاساس في مركز العالم تماما. لكن عملية التأسيس هذه تكرر في الوقت نفسه عملية نشوء الكون، لان تثبيت الوتد وغرسه في رأس الثعبان، ما هو الا محاكاة للفعل البدئي الذي قام به سوما أو اندرا عندما عمد هذا الاخير الى ضرب الثعبان في جحره، أو عندما قطع رأسه بالبريق الصادر عنه، فالثعبان يرمز الى العماء، أي اللاشكل غير المتجلي. ان اندرا يتلاقى مع فريترا غير المنقسم، وغير المستيقظ، النائم، والسادر في سبات عميق، والمتمدد، وان الصعق والقطع يساويان فعل الخلق، عبورا من اللامتعين الى المتعين، ومن اللاشكل الى الشكل. ان فريترا كان قد استولى على المياه وحبسها في جوف الجبال، وهذا معناه: اما ان فريترا كان هو السيد المطلق على كل العماء السابق للخلق؛ واما انه كان الثعبان الاكبر الذي يحتكر المياه لنفسه فقط، وترك العالم كله يفتك به القحط. وان يكون هذا الاستيلاء قد حدث قبل فعل الخلق، أو بعد تأسيس العالم، لا يغير من الامر شيئا، اذ يبقى المعنى هو نفسه: فريترا يمنع العالم ان يصير أو ان يبقى، وان فريترا من حيث هو رمز لغير المتعين وللكامن غير المتشكل، يمثل العماء قبل ان يخلق العالم[1]. واخيرا لابد من القول ان مسألة الصراع هذا قد يشير الى اشتراك الهين سوية في القضاء على فريترا فالسوما كإله وشراب قد تمازج مع اندرا الذي شربه قبل صراعه مع فريترا وبالتالي من حقنا ان نقول ان السوما هو الذي قضى ايضا على فريترا، مما يمنح صفة المقاتل عن جدارة، فلولاه لما تمكن اندرا من التغلب

[1]) مرتشيا الياده، اسطورة العود الابدي، ترجمة: نهاد خياطة،(دمشق: دار طلاس،1987)،ص42-43.

على فريترا ابدا. وفي التقاليد الايرانية يظهر الهاوما وهو يُخاطب بان يوجه سلاحه نحو قوى الشر: "وجه سلاحك يا هاوما الاصفر نحو الافعى الصفراء القاتمة التي يسيل من فمها السم لتقتل جسد المؤمن. وجه سلاحك يا هاوما الاصفر نحو الانسان الشرير الظالم الذي يلبس على رأسه[...] لكي يقتل جسد المؤمن. وجه سلاحك ايها الاصفر نحو اشيموگ/ايشما(Aeshma)(شيطان الغضب) الملحد الذي يهدم عالم هذا الايمان بالكلمات والافكار، ولكنه لا يطبقها، لكي يحطم جسد المؤمن. وجه سلاحك يا هاوما الاصفر نحو الساحرة التائهة، المؤذية بشهوانيتها التي تقدم الكذب، (وجه سلاحك)نحو روحها المهتزة مثل سحابة تطاردها الرياح. وجه سلاحك يا هاوما الاصفر نحو كل الذين يخدمون القوى التي تسعى لتحطيم جسد المؤمن"[1]. وهناك مقطع ربما له جذور اسطورية لم تصل الينا يقول: "الهاوما...يقابل التنين الذي خلقه الشيطان، ويهزم، ويعادي ذلك المخادع بايريكا، ويجبره على الفرار، ويعادي الحقد المهيمن لـ ايشما الطاغية الاثم المليء بالموت"[2]. هل هذا صراع اسطوري قديم مع قوى شريرة في العالم حيث يمثل الهاوما هنا كقوة مجسمة؟ ام مجرد وصف رمزي للتعبير عن قهر الشر داخل الانسان عن طريق قهر الاحاسيس الاثمة؟ ان التساؤل الاخير يمكن ان يُحقق اذا ما اقتنعنا بأن بعض هذه القوى لم تكن بالنسبة للزرادشتي قوة مجسمة حسب كما هو الحال مع ايشما الذي يمثل شيطان الغضب، وبالتالي فان الهاوما سيمكن الشخص الذي يتناوله من التخلص من فورة الغضب الشريرة. غير ان مقترح كهذا يصعب افتراضه كلية،

---

[1]) ياسنا،9: 30-32.

[2]) ياسنا،16: 8.

فهناك قوى اخر في المقطع قد لا تشير الى احاسيس داخلية للإنسان، بقدر ما تشير الى قوة مجسمة كالتنين مثلا، اذ لا نستطيع ان نفترض ان صراعا مع تنين قد يمثل صراع داخلي، بل هو صراع مجسم بين قوتين، ونحن قرأنا سابقا كيف يخاطب الهاوما بأن يوجه سلاحه نحو الافعى الصفراء القاتمة. ان القناعة بهذا المقترح ربما تقابل برفض شديد اذا ما بنيت على المقطع اعلاه، ولكن الامر قد لا يقتصر على مقطع ملتبس الفهم، فهناك مقطع اخر يقدم مزيد من الادلة حول صورة الاله هاوما المقاتل. ففي المقطع الذي سيتم مناقشته الان يظهر الهاوما كإله وهو يقدم قربانه الى الربة درفاسبا، ويتوسل اليها لكي تمنحه هبة: "امنحيني هذه الهبة يا درفاسبا(Drvaspa) الطيبة الرحيمة، لعلي اقيد القاتل الطوراني فرانگهراسيان(Franghrasyan)، لعلي اسحبه مقيداً، لعلي اجلبه مقيدا للملك هوسرافا(Husravah)، عسى ان يقتله الملك هوسرافا خلف بحيرة جيجاستا(Chaechasta)، البحيرة العميقة ذات المياه المالحة، وليثأر لقتل ابيه سيافارشان(Syavarshana)، فمنحته درفاسبا القوية...تلك الهبة"[(1)].ما الذي نقرأه هنا تحديدا؟ هل نقرأ تفاصيل عن معركة جرت بين الهاوما واحد الاشرار فرانگهراسيان؟ ان الهاوما يطلب من الالهة درفاسبا ان تمنحه النجاح من اجل ان يحقق النصر على فرانگهراسيان، وهذا النصر الذي يرغب فيه هاوما كان من اجل احد ملوك ايران القدماء ويدعى هوسرافا، ويطلب هاوما من درفاسبا ان تساعده لكي يتمكن من اسر فرانگهراسيان. ان هاوما هنا يظهر كمقاتل ينوي الدخول في معركة يحقق فيها نصرا حاسما. هل هذا هو المقصود من هذا المقطع؟ الا يمكن ان نؤل النص ليظهر وكأنه يُقصد

[1]) ياشت،9: 18.

به ان الهاوما سيعمل على اسر فرانغهراسيان عند طريق تخديره لكونه شراب مسكر؟ هذا التأويل اعتقد انه سيحرف النص الاصلي، لان المقطع اعلاه واضح جدا في كون الهاوما الذي يتحدث هنا ليس النبات بل الاله المجسم. ان هاوما هنا يظهر بجدارة اله مجسم، مقاتل، يقهر الشر. ولعل ما يؤيد هذا الرأي الذي يشير صراحة الى ان هاوما يظهر كإله مقاتل، هو الصيغة المتأخرة لهذه الاسطورة كما رواها المؤرخون المتأخرون، فبعد الحرب التي دارت بين كيخسرة وافراسياب الطوراني(Afrâsiyab) التي افضت الى انتصار كيخسرة(وكان افراسياب قد قتل سابقا والد كيخسرة المدعو سياوش/Siyâwoush)، هرب افراسياب، وظل كيخسرة يلاحقه، فوجد اثره عند حدود اذربيجان، وصادف ان هناك رجلا صالحا يدهى هوم ظفر يوما بـ افراسياب وحيدا، شريدا، وذليلا، ومتنكرا، فقبض عليه، وارسل بهذا الخبر الى احد القادة الايرانيين ويدعى جوذرز(Djoûdharz)، لكونه اقرب القادة الى مكانه، ولكن افراسياب تمكن من الافلات من يد هوم عن طريق السحر، ودخل الى احد الغدران من اجل ان يختبأ بها، غير ان هوم تمكن من ان يدل جوذرز الى مكانه، وكان الاخير قد اسر شقيق افراسياب المدعو كرسيواز(Karsîwaz)، فأمر رجاله ان يضربوه بالسياط حتى تناثر لحمه، واخذ يصيح عاليا من جراء هذا العذاب، فلما سمع افراسياب صوت اخيه لم يتمالك نفسه، واخرج رأسه من الماء، فرماه جوذرز بالوهق[1] حتى صار كالقلادة في عنقه، وجذبه اليه، فأخذه، وكتّفه، وارسل خبر اسره الى الملك الفارسي كيكاوس وحفيده كيخسرة، الذي بادر الى قتله[2]. بلا

---

[1]) الوهق: حبل في احد طرفيه انشوطة يطرح في عنق الحيوان أو الانسان حتى يؤخذ.

[2]) ابو منصور الثعالبي، غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم، تحقيق: زوتنبرج،(باريس: المطبعة الاهلية،1900)،ص232-233. انظر النص الاصلي للأسطورة في ياشت،19: 77.

شك كان افراسياب هو فرانگهراسيان الطوراني في النسخة المبكرة من الاسطورة، في حين كان كيخسرة هو هوسرافا الذي كان يريد ان ينتقم من قاتل ابيه، وهوم هنا هو ذاته هاوما في النصوص المبكرة الذي يأسر فرانگهراسيان، الا ان من سرد النسخة المتأخرة من الاسطورة لم يكن يعرف ان هوم هو اله، فجعله رجلا صالحا.

بعد ذلك أ ليس من حقنا ان نتساءل، هل هذه النصوص تمثل اسطورة قديمة كان الهاوما فيها اله يصارع قوى الظلام، ويحقق النصر عليها؟ وان الهاوما في هذه الاسطورة القديمة كان قوة مجسمة، لاسيما واننا نعرف ان الهاوما كإله يشخص بشكل انسان؟ وهل يمكن ان نفترض وجود عبادة سحيقة جدا للهاوما لدى الشعوب الايرانية، كان الهاوما يمثل فيها قوة عليا، يتحكم في سير العالم؟ عبادة يظهر فيها الهاوما كإله هائل القوى يستطيع ان يجعل المياه تتحرك، والنباتات تنموا!، الها يعد ملكا للعالم، يقدم الشفاء لمريديه، ويقوم بقهر قوى الشر، والظلام، ويقوم الشامانات اتباعه بطقوس وجد، وغيبوبة من اجل تحقيق الشفاء، يتناولون اثناءها نبات يتحول الى شراب مسكر(مخدر) يساعد في طقس الوجد والانخطاف، هذا الشراب اطلق عليه بمرور الوقت اسم الاله ذاته اي هاوما. ومن بعد ذلك اندثرت عبادته، وتحولت بمرور الوقت الى مجرد طقس يحمل في طياته اساطير عتيقة؟ هل تستطيع بعض هذه التساؤلات تسليط الاضواء حول جوانب من المعتقدات الايرانية المبكرة؟ ربما، ولكن يبقى من الصعب الان الاجابة عن هذه التساؤلات بشكل اكيد.

ان تساؤل اخر لابد منه في ختام حديثنا عن السوما/الهاوما وهو: هل هذا المعتقد يمثل معتقداً هندياً-ايرانياً فقط، ام هو يمثل معتقد عام لكل

الشعوب الهندية-الاوروبية؟ ان الدافع من وراء هذا التساؤل يكمن في وجود ملامح اغريقية-اوروبية شبيهة لمعتقد الهاوما-السوما الهندي-الايراني، فبالنسبة للإغريق، فمن المعروف انه طعام الآلهة يدعى هناك الامبروزيا(Ambrosia) وهي كلمة تدل على كل ما له خلود ولا يطرأ عليه الفناء، وكان معروفاً في الميثولوجيا الاغريقية ان من يُطعم الامبروزيا يُكتب له الخلود، وكان الاغريق يصفونها بأنها احلى مذاقاً من عسل ذات رائحة عطرة نفاذة، وكذلك كانت الامبروزيا تُتخذ بلسماً للجروح، وحسب الميثولوجيا الاغريقية كان الحمام يجلب يومياً الامبروزيا من الغرب الى زووس والآلهة الاخرين، وتُطلق كلمة الامبروزيا ايضاً على الزيت الذي يُمسح به الجسد، وكان يُعتقد انه يحفظ جسد الميت من التعفن والبلى، اذ تمكن الاله ابوللو(Apolli) ان يحفظ جسد ساربيدون(Sarpedon) من ان يصيبه البلى حين دلكه بها؛ كما ان الامبروزيا يستخدم في الشفاء، اذ تمكنت الربة فينوس(Venus) ان تشفي جراح ابنها به؛ فضلاً عن ذلك يستخدم الامبروزيا للتجميل اذ كانت إلهات الإغريق يُضمخن به شعورهن، وهذا ما فعلته الإلهة جونو(هيرا) حين ارادت ان تُغري بجمالها وزينتها الإله جوبيتر(زووس) وتوقعه في شراكها، وكذلك ضمخت فينوس شعرها به حيت تجلت لـ اينياس، وكانت بعض الاعياد التي تُقام في بعض مدن بلاد الإغريق تكريماً للإله باخوس(Bacchus)(ديونيسوس) وكان يُطلق عليها اسم امبروزيا[1]. وهكذا نجد ان الامبروزيا تكشف تماثلاً واضحاً مع السوما-الهاوما من عدة جوانب، يمكن ايضاحها بالجدول ادناه:

---

[1]) حول الامبروزيا انظر: ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية،(بيروت: مكتبة لبنان،1990)،ص15؛ امام عبد الفتاح امام، معجم ديانات واساطير العالم،(القاهرة: مكتبة مدبولي،1995)،ص76.

الامبروزيا	السوما-الهاوما
شراب الآلهة	شراب الآلهة
يمنح الخلود	يمنح الخلود
طعمه احلى مذاقاً من عسل ذات رائحة عطرة نفاذة	يوصف بالعسل ولونه اصفر
يرتبط بالحمام	يرتبط بالطيور
يشفي الجروح	يستخدم للشفاء
شراب مسكر نظراً لارتباطه بالإله باخوس رب الخمر	شراب مسكر

من جانب اخر يشير الفولكلور الشعبي من اوروبا الى ملامح مشابهة لما هو موجود في التقاليد الهندية-الايرانية، ففي حكاية شعبية من تشيكيا نقرأ فيها ان لإحدى النسوة ابن صغير يدعى فيتازكو دأبت على ارضاعه مرتين يومياً لمدة سبع سنوات، ثم اصطحبته الى الغابة وطلبت منه قلع شجرة التنوب من جذورها، لكن الصبي عجز عن اقتلاع الشجرة، فقالت له امه: "عودك لم يشتد بعد بما فيه الكفاية"، وصارت ترضعه ثلاث مرات يومياً لمدة ثلاث سنوات، ثم عاودت اصطحابه الى الغابة، وطلبت منه اقتلاع شجرة الزان من جذورها، فقام ولدها بإمساك شجرة الزان بشدة واقتلعها دفعة واحدة، فصاحت الام فرحة: "لقد بت قوياً بما فيه الكفاية يا فيتازكو، وصار بإمكاني الاعتماد عليك"، فأجابها ابنها: "نعم بكل تأكيد يا امي، فقط اطلبي ما شئت". فقالت له امه: "عليك ان تحصل لي على بيت مناسب اولاً، ثم تأخذني اعيش فيه". ثم تركته وعادت الى منزلها. اما فيتازكو فقد حمل شجرة الزان بيد واحدة، وكأنها هراوة،

وبدأ يبحث عن منزل لوالدته، فسار على غير هدى، متبعاً اتجاه الريح، وسلك طرقـات وممـرات مهجـورة، حتى وصـل الى قلعـة تسـكنها مجموعـة مـن الگرفين(Griffin) وهو حيوان خرافي نصفه نسر، ونصفه اسد. وقد رفضت الگرافين السماح له بالدخول، لكنه لم ينتظر اذناً منهم، بل اقتحم بوابة القلعة ودخل إليها، فقتل كل الگرافين، وعلق جثثهم على جدران القلعة. وبعد ذلك اخذ يتجول بسرور في القلعة، فوجد فيها تسع غرف جميلة، اما الغرفة العاشرة فكانت موصدة، ففتح الباب ليجد فيها گرفين، وقد قُيد بسلاسل ثلاث الى احد الجدران، فسأله فيتازكو: "ماذا تفعل هنا؟"، فأجابه الگرفين: "انا قابع هنا كما ترى، فلقد قيدني اخوتي بالسلاسل، واذا ما فككت قيدي فسأمنحك مكافأة عظيمة"، لكن فيتازكو اجابه قائلاً: "يبدو انك شرير ووغد كبير، لأنه حتى اخوتك قيدوك في هذا المكان، لذا انا ايضاً لن افك قيدك". ثم انطلق فيتازكو لكي يُحضر امه الى القلعة، لكنه حذرها من ان تفتح باب الغرف العاشرة حيث الگرفين المقيد والا واجهت المتاعب، لكن ما ان غادر فيتازكو القلعة حتى اخذت امه تحوم حول باب الغرفة العاشرة، حتى فتحتها اخيراً، ووجدت الگرفين بالداخل، فسألته عن سبب وجوده، فأجابها قائلاً: "انا گرفين، ولكن اخوتي قيدوني بالسلاسل، وكانوا سيفكون قيدي لولا ان ابنك قتلهم جميعاً، فكي قيدي وسأتزوجك"، فأجابته الام: "لكن ماذا سيقول ولدى فيتازكو"، فأجابها الگرفين: "ماذا سيقول؟ سنطرده من هذا العالم، وستصبحين سيدة نفسك". اطرقت الام وهي تفكر بتردد لفترة طويلة، لكنها في نهاية المطاف وافقت فسألته: "كيف يمكنني فك قيودك؟"، فأجابها الگرفين: "كل ما عليك فعله هو النزول الى القبو وجلب كأس من النبيذ من البرميل

الخشبي الاخير". فنزلت الام الى القبو، وجلبت له كأساً من النبيذ، وما ان شربه حتى قام بتحطيم القيد الاول، ثم طلب منها كأساً ثانية، وما ان عادت بها وشربها حتى حطم القيد الثاني، فتوسل إليها طالباً كأساً ثالثة، وما ان عادت بكأس النبيذ الثالث وشربها حتى تمكن من تحطيم القيد الثالث وبات حراً[1]. وفي حكاية أخرى نجد شاباً يدخل الى غرفة فيها تنين ذا ثلاثة رؤوس، يتدلى كل واحد منها من خطاف منفصل، ووُضعت تحت التنين ثلاث كؤوس ماء، فارتعب الشاب وهم بالهرب حين ناداه التنين: "لا تفزع ولا تهرب، ارجع وناولني كأس الماء، وبهذا سيتم انقاذ حياتك...". فعاد الشاب وناوله كأس الماء، وما ان افرغ التنين الكأس في جوفه حتى تحرر احد رؤوسه الثلاثة من الخطاف، فتوسل التنين إليه مرة ثانية قائلاً: "ناولني كأساً أخرى، وسيتم انقاذ حياتك ثانية"، فقام الشاب وناوله الكأس، فأفرغه التنين بجرعة واحدة في جوفه، وبلحظة تحرر الرأس الثانية، فقال له التنين: "الان افعل ما يحلو لك، ولكن عليك ان تعطيني الكأس الثالثة شئت ام ابيت"، فقام الشاب مرعوباً واعطاه الكأس الثالثة، وما ان تجرعها الرأس الثالث حتى تحرر من الخطاف، وهكذا اصبح التنين حراً، وطار في التو الى البحر الاحمر[2]. من خلال ما تقدم يمكن لنا ان نلاحظ كيف ان الحليب والنبيذ والماء يمنح القوة، وهذا يتطابق مع مفهوم السوما-الهاوما في المعتقدات الهندية-الايرانية لاسيما ونحن نعرف جيداً ان هذا المشروب عادة ما يتم خلطه بالحليب والماء، وبالتالي ربما علينا ان نفترض انه

[1]) جوزيف بوديس، المفتاح الذهبي: حكايات شعبية من تشيكيا، ترجمة: سعدون الجنابي،(ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث،2010)،ص28-31.

[2]) بوديس، المفتاح الذهبي،ص83-84.

في التقاليد الاوروبية القديمة كان هناك شراباً مُسكراً يُخلط هو الاخر بالحليب أو الماء والذي يماثل شراب السوما-الهاوما.

2

المسيح الإله
قراءة في الادبيات المسيحية المبكرة

الله في المسيحية[1].

[1]) ان دراسة الديانة المسيحية تتطلب الرجوع الى بعض نصوص العهد القديم، فضلا عن النصوص المسيحية المتنوعة، وان أهم الترجمات للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية وتسمى بـ السبتوجنت(Septuagint) أو (الترجمة السبعينية) وقد تمت في سنه 250 قبل الميلاد. وحول النص الكامل للنص انظر:

The Septuagint,(London,1851)

اما الترجمة الثانية كانت باللاتينية وتسمى "لاتن فولجاتا"Latin Vulgate وقد كتبت بين (383-405م) وهي الترجمة التي المنسوبة الى القديس جيروم.حول النص الكامل للفولغاتا انظر:

The Holy Bible, Transated From the Latin Vulgate,(Rheims,1609);

وفي عام 1611 م ظهرت ترجمة أخرى معروفه باسم (ترجمة الملك جيمس). وللنص الكامل انظر:

The King James Version Of The Holy Bible,(Cambridge,1760);

ومن اجل الحصول على ترجمة عربية ممتازة انظر: الكتاب المقدس،(بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط،1995)؛ كما يمكن الرجوع الى النصوص مع تفسيراتها في: بروس بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،(لندن: شركة ماستر ميديا،1998). وفضلا عن الكتاب المقدس هناك عدد كبير من الكتابات اليهودية-المسيحية منها كتاب تعاليم الرسل الاثني عشر المعروف باسم الديداخي. انظر: احمد الحجازي السقا، انجيل الديداكي،(القاهرة: دار الروج للنشر والتوزيع،2005)؛ ومن النصوص المهمة ايضا الكتب المخفية أو المنحولة أو غير القانونية(ابوكريفا)، ويفضل البعض ان يطلق عليها اسم الكتابات اللانيقاوية، فضلا عن كتابات بعض المؤلفين اليهود من امثال يوسيفوس فلافيوس، ويعقوب الفورجاني وغيرهم، والتي تزودنا بتصورات مهمة عن الديانتين اليهودية-المسيحية. من اجل الحصول على ترجمة جيدة لهذه النصوص انظر:

لا يمكن لأي مؤرخ ان يفهم المسيحية بشكل واضح من غير ان يفهم المسألة الاهم فيها، وهي طبيعة الله، لأن الله يظهر في المسيحية وله ثلاث اقانيم(كائن/شخصية) ، وهو ما يعرف بالثالوث المقدس، أو التثليث: "ان هناك ثلاث شهود[في السماء الاب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحدا]، والذين يشهدون في الارض هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد"[1]؛ وهذا يعني ان الثالوث في الديانة المسيحية يمثلون إله واحد بثلاث شخصيات، أي انه لم يكن للمسيحيين ثلاثة الهة(الله-الابن/الكلمة-الروح القدس)، بل اله واحد في ثلاثة اقانيم، فمنذ بدايات الكنيسة الرسمية عرف المسيحيون الاله تحت ثلاث صور هي:

1. **الاب**: وهو الاله الخالق والذي ظهر في العهد القديم.

William Hone, The Apocryphal New Testament,(New York,1890); F. F. Beuce, "The Gospel of Thomas", In: Faith and Thought, Vol: 92, No.1, 1961; James M. Robinson, The Nag Hammadi Library,(New York,1996); Dan Cogliano, The King James Version of The Holy Bible with Apocrypha,(2004);

ابراهيم سالم الطرزي،ابوكريفا العهد الجديد:اناجيل الابوكريفا المخفية،(القاهرة:بلا.مط،2001)،ج1؛ ابراهيم سالم الطرزي،ابوكريفا العهد الجديد:اناجيل الخدمة والحكمة الغنوسية لمكتبة نجع حمادي،(القاهرة:بلا.مط،2005)،ج2؛ابراهيم سالم الطرزي،ابيجرافا وابوكريفا العهد القديم:اسفار جنة عدن المنسية واسفار قصة ادم وحواء،(القاهرة:بلا.مط،2006)،ج1؛ سهيل زكار، الاناجيل: النصوص الكاملة،(دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،2008).

[1]) يوحنا الاولى،5: 7. حول مناقشة مستفيضة لهذا النص واختلاف الباحثين حول صحته انظر: احمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،(القاهرة: مكتبة وهبة، بلا. ت)،ص39-41.

2. **الابن/الكلمة**: وهو الاله المتجسد يسوع المسيح، أو الكلمة، لذا يوصف المسيح بأنه: "الكلمة السماوية للأب"[1]. ويسوع كلمة عبرية معناها الله يخلص، وقد اطلق على هذا الاسم على ابن الله المتجسد نظرا للمهمة الخلاصية التي يقوم بها؛ اما المسيح فتعني الممسوح، وقد كان الانبياء والملوك والكهنة في العهد القديم يمسحون بزيت مقدس ينالون بواسطته نعمة لإتمام رسالتهم، لذلك كانوا يدعون مسحاء الرب؛ لكن هؤلاء لم يكونوا سوى صورة ورمز لـ يسوع الذي هو وحده مسيح الرب بالمعنى الكامل: الذي مُسح بزيت[2] لكن مُلء بمواهب الروح القدس.
3. الروح القدس: الذي كان له القدرة على تجديد الحياة واكمال الملكوت[3].

وهكذا نفهم ان يسوع يمثل الصورة الثانية من صور الله[4]. وحسب قانون الكنيسة الذي اورده ايرينايوس(اسقف ليون واحد اباء الكنيسة الكبار الذي عاش في القرن الثاني الميلادي) فإن الايمان المسيحي يستند الى الاعتراف

---

[1]) اعمال القديس توما: 80.

[2]) حول مسألة مسح يسوع بالزيت لا تظهر بشكل واضح في نصوص العهد الجديد، لكن نمتلك اشارة مهمة تقول: "لذلك مسحك الله الهك بزيت البهجة دون رفاقك". انظر: العبرانيين،1: 9؛ والحقيقة ان نص العبرانيين مستقى من نص المزامير الذي يقول: "لذلك مسحك الله ملكا بزيت الابتهاج دون رفاقك". انظر: مزامير،45: 8.

[3]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج2،ص444-445؛ علي زيعور، اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة،(بيروت: دار اقرأ،1983)،ص22.

[4]) ان هذا التصور كان من اشد المشاكل التي واجهت الفكر اليهودي بمعنى كيف يؤله الانسان ذاته!!!، لذا نجدهم يعدون هذه الفكرة تجديف وغير مقبولة تماما: "لا نرجمك لأي عمل صالح عملت بل لتجديفك، فما انت إلا انسان، لكنك جعلت نفسك الها". انظر: يوحنا،10: 33.

بالثـالوث: "إن الكنيسـة تـؤمن بإلـه واحـد، أب فـائق القـدرة، صـانع السـماء والارض والبحـر، وكل ما فيها؛ وبمسيح واحـد هـو يسـوع أبن الله، تجسـد لأجل خلاصنا؛ وبالروح القدس الذي نطق بالأنبياء، فأعلن التدبير، والمجيء، والولادة من العذراء، والآلام، والقيامة، وصعود سيدنا الحبيب يسوع بالجسد، ومجيئه الثاني بمجد الأب ليجمع كل شيء في نفسه، وليقيم اجساد جميع البشر الى الحياة، ولكي يسجد لربنا والهنا يسوع المسيح بمشيئة الله الأب، كل من في السموات، وعلى الارض، وتحت الارض، وليعترف كل لسان له، وليدين الجميع، فيطـرد ارواح الشـر، والملائكـة الـذين وقعـوا في الخطيئـة، فأصـبحوا مـن الجاحدين، والخطاة، والمتشردين الى النار الابدية، ويهب الحياة، وثواب عدم الفساد والمجد الدائم الى اولئك الذين حفظوا وصاياه، واستمروا في حبه، اما منذ بدء حياتهم، واما منذ التوبة"[1]. وقانون الايمان المسيحي المعترف به في الكنيسة يؤكد على الايمان بالثالوث، وهو يختلف قليلا عن ذلك الذي اورده ايرينايوس: "نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والارض، كل ما يرى وما لا يرى؛ وبرب واحد يسوع المسيح، أبن الله الوحيد، المولود من الاب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، ذات الجوهر من الأب، الذي به كان كل شيء، الذي من اجلنا نحن البشر، ومن اجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وصار انسانا، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي، تألم، ومات، وقبر، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد الى السماء، وجلس عن يمين الاب، وايضا يأتي بمجد عظيم ليدين الاحياء والاموات، الذي لا فناء لملكه؛

[1]) اسد رستم، آباء الكنيسة،(بيروت: منشورات النور،1962)،ج1،ص100-101.

وبالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الاب والابن، الذي مع الاب والابن يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء؛ وبكنيسة واحدة جامعة، مقدسة، رسولية؛ ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا؛ ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر الاتي"[1].

دأب اللاهوتيون وخلال القرون السبعة الاولى من تاريخ المسيحية يناقشون مسألة الثالوث والاقانيم، وقد اتجهوا في شرحهم اتجاهات مختلفة نابعة من خلال تفسيراتهم لنصوص العهد الجديد، ولكن قبل ذلك علينا ان نفهم مسألة وهي ان اللاهوت المسيحي يشير الى سر الثالوث المقدس بأنه سر فائق الطبيعة، لا يستطيع العقل البشري فهمه، اذ لابد من الايمان لاكتناه هذا السر[2]. ومن اجل ذلك سنحاول ان نستعرض ابرز اراء اللاهوتيين الخاصة بطبيعة الله والثالوث.

اول من ناقش مسألة الثالوث كان القديس يوستينوس الشهيد(الذي عاش في القرن الثاني الميلادي) الذي اكد إن: "اب الجميع الذي لم يولد، لم يُعط اسما، لأنه مهما كان الاسم الذي يدعى به يظل المسمى اكبر من الاسم، والالفاظ: أب، وإله، وخالق، وسيد، ليست اسماء وانما هي ألقاب مأخوذة من أعماله الخيرة ومهماته. واللقب الله ليس اسما بل رأيا غُرس في طبيعة البشر عن الشيء الذي لا يُفسر". ويرفض يوستينوس الشهيد القول البسيط: ان الله تجسد بشكل انسان ونزل الى الارض: "وأقل الناس ادراكا لا يُقدم على القول: ان الخالق، وأبا الجميع ترك ما فوق السموات وظهر في بقعة صغيرة من الارض".

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص36؛ يرد هذا القانون بشكل مختلف قليلا في مصادر اخرى. انظر: زكار، الاناجيل، ص12.

[2]) زيعور، اوغسطينوس، ص31.

كما يرفض يوستينوس القول المجرد ان الله المتجسد يعيش مثل الانسان: "ان أبا الجميع الذي لا يوصف لم يأت الى أي مكان فهو لا يمشي، ولا ينام، ولا يقوم، بل يبقى في مكانه حيث هو سريع الملاحظة، والسمع بدون أعين، أو آذان، ولكن بسطوة لا توصف، وهو عالم بكل شيء، ولا يفوته شيء، فكيف اذا يمكنه ان يكلم احدا، أو أن يراه أحدا، أو أن يظهر في أصغر بقاع الارض، فأهل سيناء لم يتمكنوا من النظر الى مجد من أُرسل". وبما إن الله يسمو فوق كل البشر فلابد من الوصل بينه وبين الانسان عبر الهوة السحيقة التي كانت تفصلهما، وهذا ما فعله الكلمة فهو: الوسيط بين الله الاب وبين العالم، والله يتصل بالعالم به فقط. وهكذا فإن الكلمة هو: طريق الحق الى الله، وهو معلم الانسان. وكان الكلمة في البدء قوة كامنة في الله، فانبثق عنه بإرادته قبيل خلق العالم، ثم خلق الكلمة العالم. ويشبه يوستينوس انبثاق الكلمة بامتداد لهيب النار: "هو كالنار التي لا تنقص عندما تُضرم، بل تبقى كما هي، وما يشتعل من جرائها يبقى مشتعلا لنفسه الى جانبها غير منتقص شيئا من لهيب ما اشعله". ويشبه يوستينوس ايضا الانبثاق بالعمل فيقول: كما يصدر العمل عن الانسان بدون أي انتقاص في جوهره، كذلك انبثاق الكلمة الذي يجب ان يعد عملا في داخل الله. ويضيف يوستينوس ان الكلمة اصبح بعد الانبثاق مستقلا في ظاهره لكي يخلق العالم ويدبره، وهذه الوظيفة الشخصية التي انبثق الكلمة لإتمامها اعطته كيانا شخصيا مستقلا[1]. ويشرح القديس اثيناغوراس في الفصل 10 من التماسه المرفوع للإمبراطور الروماني ماركوس اوريليوس وابنه كادموس عام 177م مسألة الثالوث اذ يقول: "اذا شئت ان تسأل بذكائك الفائق ما المقصود

[1]) رستم، آباء الكنيسة، ج1، ص68-69.

من الابن؟ فأني أقول باختصار: أنه من نتاج الأب، ولا أقصد ان الأب اوجده، فالله هو العقل الخالد حوى الكلمة في نفسه منذ البدء، أي أنه كان منذ البدء يحوي بطبيعته على الكلمة. والكلمة كان الفكر وراء المادة، ومنشط كل ما كان مادة...والروح القدس الناطق بالأنبياء هو فيض من الله يشع عنه ويعود اليه كشعاع الشمس"[1]. وكان ثيوفيلوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي والذي كان اول من استعمل اللفظ الاغريقي ترياس(Trias) للتعبير عن الثالوث المقدس فقد جعل الايام الثلاثة الاولى التي سبقت خلق الشمس والقمر تمثل الثالوث. واستند ثيوفيلوس الى مبدأ اللفظ في شرح كيفية ظهور المسيح، فمن المعروف إن ثيوفيلوس سبق غيره من اللاهوتيين الى التفريق بين الكلمة المستقر في الله، والكلمة الذي لفظه الله، وهو يشرح هذه المسألة عندما أكد: ان الله الذي حوى الكلمة داخله، ولده في أن لفظه مع الحكمة قبل جميع الاشياء، فكان الكلمة له عونا فيما خلق، وبه خلق كل الاشياء. والكلمة هو الذي خاطب آدم[2]: "إن الله ابا الكل لا يسعه مكان، ولا يوجد في مكان ما، لأنه ليس هناك أي مكان يستقر فيه، لكن كلمته الذي هو قوته وحكمته الذي به خلق الأب كل الاشياء، أخذ على عهدته شخصية الأب، سيد الكل، وخاطب آدم. فالأسفار الالهية نفسها تعلمنا ان آدم قال إنه سمع الصوت[3]، وماذا يمكن ان يكون هذا الصوت اذا لم يكن كلمة الله وأبنه؟ وهو ليس ابنا كأبناء الالهة التي ذكرهم الشعراء والكتاب نتيجة توالد، وانما هو الكلمة الكائن دائما في القلب كما يوضحه الكلام الحق. فإنه قبل ان يكون شيء اتخذ الله كلمته مستشارا لأنه هو

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص80-81.

[2]) انظر: تكوين،3: 9.

[3]) انظر: تكوين،3: 8.

عقله وفكره، ولكنه عندما شاء الله ان يصنع ما شاء ولد كلمته ولفظ بكر الخليقة. ولم يخلُ هو من الكلمة، ولكنه بعد ان ولد العقل خاطبه دائما"[1]. في حين أتجه ايرينايوس الى الربط بين الاله الواحد، وخالق العالم، وإله العهد القديم، وأبي الكلمة وذلك في سبيل الرد على الغنوصيين. ومع أنه لم يبحث علاقة الاقانيم الثلاثة الا انه كان واثقا من وجودهم قبل الدهور، ولاسيما قبل الخلق لأن العبارة: "نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا[2]، كانت قد وجهت من الأب الى الابن والروح القدس: "يدي الرب" على حد تعبير ايرينايوس. لكن ايرينايوس كان يعتقد انه ليس بمقدور الانسان ان يبين كيفية انبثاق الأبن عن الأب الا الأب الذي بثق، والابن الذي انبثق، ومن يحاول تفسير هذا الانبثاق لا يمكن ان يكون على حق-وهو ما قام به القديس يوستينوس الشهيد كما رأينا- لأنه يحاول وصف أمور لا توصف[3]. ويقدم لنا اقليمس الاسكندري(150-215م) تصوراته حول مفهوم الثالوث والعلاقة بين الأب والأبن، والذي جعل الابن وسيلة لمعرفة الأب، فالكلمة عند اقليمس هي قطب الدائرة، والكلمة خالق العالم، وكاشف سر الله في ناموس العهد القديم، وفي الفلسفة الاغريقية على حد سواء، وفي تجسده في ملء الزمان. وهو أحد الثالوث مع الأب والروح القدس، وبه نعرف الله لأن الاب لا يحده اسم ولا اسماء فهو: "ليس جنسا، ولا نوعا، ولا عددا، ولا عرضا، ولا كليا من الكليات، ولا يجوز التعبير عنه بالكل كما فعل الرواقيون، بل يجب القول انه ابو عموم الاشياء...واذا قلنا عنه انه لا متناه فليس معنى ذلك أنه كمية، بل أنه لا امتداد له، ولا شكل، ولا أسم

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ص84.

[2]) انظر: تكوين،1: 26.

[3]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص99.

مطلقا. وان دعوناه: الواحد، والخيّر، والروح، والكائن، والأب، والله، والخالق، والرب، فليست هذه الالفاظ اسماء له، ولكن لامتناع الاسم الحق نستعمل هذه التسميات الجميلة، لكي يستطيع عقلنا التفكير في الله دون خطأ...وليس قبل الموجود اللامخلوق شيء، وانما ينكشف المجهول الالهي لعقلنا بفضل نعمته، وبفضل كلمته"[1]. وان ما له اهمية قصوى للبرهنة عن هذه المسألة أي الثالوث هو الحوار الذي دار بين اشهر علماء الكنيسة المسيحية الذي عاش في القرن الثالث الميلادي وهو اوريجانس(185-253م) مع احد الاساقفة ويدعى هراقليدس وهذا هو نص الحوار:

اوريجانس: أ ليس الأب الله؟.

هراقليدس: نعم.

اوريجانس: أ ليس الأبن كائنا غير الأب؟.

هراقليدس: كيف يكون ابنا وأبا في وقت واحد؟

اوريجانس: أ ليس الأبن الذي هو غير الاب الله ذاته؟

هراقليدس: هو أيضا الله نفسه.

اوريجانس: الا يصبح الالهين واحد؟

قال هراقليدس: نعم.

اوريجانس: نعترف بالتالي بإلهين؟

هراقليدس: نعم ولكن القدرة واحدة.

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص112-113.

وهكذا يكون الطرفان قد اتفقا على القول بالهين وبقدرة واحدة أو بتعبير القرن الرابع الميلادي اقنومين وجوهر واحد[1]، وبشكل عام يظهر هذا الحوار التناقض مع مفهوم يوستينوس حول الله. واوريجانس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي له اراء مهمة في هذا الشأن، اذ يعتقد ان الله روح محض، لا يشبه في ذلك مخلوق، واذا كان الكتاب المقدس يضيف الى الله صفات فيدعوه أو يشبهه بالنار، أو النفس، أو النور، فلأن الكتاب يستخدم اللفظين نفس وروح للدلالة على ما هو ضد الثقل الجسماني. ولو كان الله جسما لكن متغيرا، ولو كانت روحانيته من جنس روحانيتنا لكان ناقصا، فهو اذن: عاقل، حر، غير منظور، اسطع من الشمس، وأكمل من عقلنا، وهو مستقل عن الزمان، والمكان، وكل حد مادي، وهو خالق منذ الازل[2]. وكان اوريجانس هو الاخر قد تحدث عن مبدأ الانبثاق فلم يعد الثالوث مظاهر مختلفة لإله واحد، فالأبن أنبثق من الاب انبثاق الارادة عن العقل، وبما ان كل شيء ازلي وابدي في الله الأب، فهذا الانبثاق ايضا ازلي وابدي؛ وهكذا فإنه لا بداية للأبن، وعلاقة الأب بالأبن هي الوحدة في الجوهر[3].اما ثيوغنوستس الذي تولى رئاسة مدرسة الاسكندرية بين(265-282م)، فإنه ناقش من جانبه علاقة الأب والأبن ايضا فـ: الاب عنده خالق الكون، وانه لابد للأب من أن يكون له أبن، ولما يقول أبن فإنه يوضح إنه مخلوق، وهو سيد المخلوقات العاقلة[4].وينفرد بولس السميساطي الذي عاش في القرن الثالث الميلادي عن اعتقاد يقول ان المسيح هو بشر صالح حمل في

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص127-128.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص129.

[3]) المصدر نفسه، ج2، ص131.

[4]) المصدر نفسه، ج2، ص137.

احشائه روح الله، كما انه امتنع عن القول بأن ابن الله نزل من السماء[1].لكن الاب ترتليانوس الذي عاش في القرن الثالث(وكان أول من استعمل المصطلح اللاتيني ترينيتاس/Trinitas/ أي الثالوث) قد حل مسألة الثالوث بشكل أوضح عندما قال: "الاب، والأبن، والروح القدس ثالوث، وربوبية واحدة، وإن الابن من جوهر الأب، والروح القدس من الأب من خلال الأبن، أي انهم جوهر واحد، لكن ثلاثة متحدين". ويعتقد ترتليانوس ان الاب هو الجوهر بكامله، اما الابن فإنه انبثاق من الكل وبعض الكل[2]. اما براكسياس الذي عاش هو الاخر في القرن الثالث الميلادي فقد حاول ان يحل هذه المعضلة عندما وحد الأب والأبن الى حد انه قال ان الله حل في مريم العذراء وتأنس[3]. لكن ترتليانوس رفض هذه الفكرة تماما ورد على براكسياس قائلا: "اذا كان الجمع في الثالوث لا يزال يزعجك لأنه ينفي الوحدة البسيطة، فإني اسألك: كيف يمكن لكائن واحد مفرد ان يتكلم بصيغة الجمع فيقول: لنصنع الانسان على صورتنا كمثلنا[4]؛ أو لم يكن الاجدر له ان يقول اذا كان هو واحد مفرد: لأصنع الانسان على صورتي كمثالي؟ وقوله: هو ذا آدم قد صار كواحد منا[5]، كيف يفسر اذا كان هو واحد فقط؟ هل اراد الله خداعنا، أو تسليتنا، أو انه كان يخاطب الملائكة كما يقول اليهود الذين لا يعترفون بالأبن، أو أنه تعمد استعمال الجمع لأنه في آن واحد

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص152-153.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص178-179.

[3]) المصدر نفسه، ج2، ص175.

[4]) انظر: تكوين،1: 26.

[5]) انظر: تكوين،3: 22.

الاب، والابن، والروح"[1]. اما اثناسيوس فقد اكد ان الابن كان مساويا للاب، ومن العنصر نفسه تماما ودونما خلاف في القدرة والمكانة[2]، ويتضح ذلك من خلال ما يعرف بقانون مار اثناسيوس(ت 373م) هو الذي عبر افضل تعبير عن مفهوم الثالوث عندما أكد: "الايمان الجامع هو ان نعبد الها واحدا في ثالوث، وثالوثا في وحدانية، لا نخلط الاقانيم، ولا نفصل الجوهر. فإن للاب اقنوما على حدة، وللابن اقنوما اخر، وللروح اقنوما اخر. ولكن لاهوت الاب والابن والروح القدس كله واحد، والمجد متساو، والجلال ابدي معا...الاب اله، والابن اله، والروح القدس اله، ولكن ليسوا ثلاثة الهة بل اله واحد...الاب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكن ليسوا ثلاث ارباب بل رب واحد...الدين الجامع ينهينا عن ان نقول بوجود ثلاثة الهة، أو ثلاثة ارباب"[3]. ويعد القديس اوغسطين(354-430م) ابرز اللاهوتيين الاوائل الذين درسوا مسألة الثالوث، ولكن قبل ان نطرح هذه المسألة للدراسة وفق نظرة اوغسطين علينا ان نفهم تصوره لله لأنه الاساس في فهم مسألة الثالوث. اذ يحتل الله المكانة الاولى في تفكير القديس اوغسطين، فالله عنده هو مدبر للكون، وراعٍ لشؤون البشرية، ويعتقد انه لا يستطيع انسان ما ان يجهل الله، أو على الاقل، لا يجوز لأحد ان يجهله، بيد انه من جهة اخرى لا يستطيع احد ان يفهمه أو يفهم كيف هو، وما على الانسان الا ان يسعى لمعرفته، واولئك الذين لا يعرفونه فاسدون، يعمهون في الحياة الضالة، اذ ان وجوده بديهي عند كل ذي قلب نقي، ولكنه من المستحيل اثبات وجوده للذين لا يقرون مسبقا بوجوده في قلوبهم. والله عند

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص179.

[2]) زكار، الاناجيل،ص89.

[3]) حبيب سعيد، اديان العالم،(القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية، بلا. ت)،ص280-281.

القديس اوغسطين هو الحقيقة المطلقة، والحقيقة عنده ضرورية، وثابتة، ومستقرة، وازلية، وخالدة. ومصدر الحقائق غير موجود في العقل، لكنه موجود في مصدر اخر ارفع، يكون بمثابة السبب لتلك الحقائق؛ فالحقيقة ليست من العقل الفردي، ولا هي من مفعوله، فهي مشتركة بين جميع العقول، وهي نوع من النور الذي ليس هو لنا، ولا للغير، ولا لأي انسان مفرد، أو لشخص معين، انه نور للعموم، يحوزه كل واحد منا، وهو نفسه لدى الجميع. فالحقيقة ارفع من كل عقل فردي، ولولا هذه الصفة الاخيرة لما استطعنا ان نحكم على ضوئها وبواسطتها. لذا فالحقيقة متعلقة تماما بالعقل، وهي تنظمه، أو تدبره، اذ هو منفعل، وناقص، وغير ثابت؛ بينما هي غير ذلك واسمى، وهي تتجاوزه، وتتصاعد الى الاسمى، وتتعالى. ويكشف العقل صفة التسامي تلك، اذ هو يدرك انه امام ما هو ارفع منه، ومن الانسان، وانه امام الخالد، والثابت، والمستقر، والضروري، أي امام حقيقة واقعية تمتلك جميع الصفات للإله نفسه. وبتعبير اخر: ان الحقائق ثابتة وضرورية، ولا تُفهم مثل هذه الصفات الا بشيء يكون مثلها ثابتا وضروريا وخالدا؛ وعندما يرى العقل الحقيقة، فإنه يرى امامه قانونا ارفع، وطبيعة ثابتة وخالدة هي الله؛ وبالتالي يمكن لكل حقيقة ان تكون نقطة انطلاق في برهان وجود الله، فالله هو العلة الكافية لكل حقيقة تحضر في الذهن. والقديس اوغسطين يعتقد ان من ينظر الى الكون، ويتدبر الكائنات والنظام الرائع الذي تسير عليه، يستطيع يعرف ان لها خالقا، فهي لا تستطيع ان تخلق نفسها؛ وبما ان السماء والارض والمخلوقات تتغير، فلابد اذن من علة لهذا التغيير وسببا ليحدث ذلك: انه الله، فتغير الكون يدل على انه عرضي، وغير مستقل، وانه مرتبط بكائن موجود وضروري هو الله. وهكذا نجد ان

الاشياء حسب فلسفة اوغسطين تتغير وتفنى، فهي اذن ليست علة وجودها، وانما العلة هي كائن اسمى لا يتغير، فالله اذن هو علة الحقائق الازلية الابدية، والفكرة الموجود في النفس البشرية عنه تقضي وجوده، لأنه علة هذه الفكرة الازلية، وعلة نظام الكون، وعلة التغير فيه، وفي المخلوقات[1]. فالله عند اوغسطين هو الكائن القائم بذاته وفي ذاته، وهو الكائن اللامادي البسيط والواحد، وهو الموجود الازلي الابدي، والدائم، واللامتغير، وهو موجود في كل مكان دون تموضع في مكان، لا اول له ولا اخر، ولا يخضع لزمان فلا زمن قبله ولا بعده، وهو الارادة الاسمى، والحياة التي تحيا بنفسها، ومصدر كل حياة؛ انه الخير الاسمى، ومصدر كل خير، والجمال الاجمل، والصورة الابدية لكل الجمالات، والحقيقة الاحق الاسمى التي تُشتق منها كل الحقائق. اما عن صفاته، فإن المعرفة البشرية قاصرة عن ادراكه ووصفه؛ لذا فأحسن وسيلة هي السكوت عن تشبيهه بالإنسان أو تعريفه؛ فلا تعريف ولا تحديد له. فصفات الانسان متميزة عن جوهره، ومتميزة عن بعضها البعض، فهو اما كامل، أو عاقل، أو قوي، أو عادل؛ اما الله فهو بالعكس، بحكم انه الكائن المطلق فهو ليس عاقلا، ولا قويا، ولا عادلا، بل ان هذا التعقل، وهذه القوة، وهذه العدالة، وهذا الكمال هم الله. فليس لله صفات، وانما هو هذه الصفات، وهذه لا تتميز عن كينونته ووجوده، انه كل واحدة منها، وهي له لأنه هو كل صفة من لهذه الصفات. ويرى اوغسطين ان الصمت أوجب لأن تأمل الله افضل من التعبير عنه، وتصوره خير من وصفه، الا انه يجوز ان نطلق على الله الفاظا بعد ان نجردها مما تتحملـه معانيها من نقص. وبشكل عام فالله هو القوة الاسمى،

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص145-149.

والعدالة الاسمى، والرحمة العليا اللامتناهية، والعلم المطلق، والحكمة الاحكم، والمحبة الاكمل. وقد صاغ اوغسطين عقيدة ما تزال باقية في الفلسفة واللاهوت المسيحيين وهي: ان الله هو ما عنده، والله هو ما لله، وما يملك، وما ننسبه اليه. والله لا مادي، وهو خالق العالم من لا شيء، ولا تجري عملية الخلق عنده كما لدى الفنان الذي يضع في فكره صورة ما، ثم يفرضها على المادة المتوفرة كالخشب، والفخار، والحجر، بل ان خلق الله يتم دون وجود أي مادة مسبقة، فهو اراد ان تكون الاشياء فكانت، وهو ما يسمى بالخلق من العدم، انه الخلق بمجرد التكلم[1]. وهذه المسألة ليست غريبة عن موروث الشرق القديم فالبابليين والمصريين على حد سواء تحدثوا عن امكانية الخلق بالكلمة، فالسومريين أول من صاغ مبدأ صار معتقد سائد في جميع الشرق الأدنى القديم وهو مبدأ القوة الخالقة للكلمة الإلهية، ووفق هذا المبدأ كان كل ما ينبغي للإله الخالق أن يفعله هو أن يصمم الخطط ويقول الكلمة وينطق بالاسم (أي اسم الشيء المراد خلقه)[2]. كما اعتقد البابليون بأن لكلمة كبير آلهتهم مردوك قدرة على فعل كل شيء سواء الخلق أو الفناء[3]: ونقرأ في اسطورة الخليقة البابلية:

"اظهروا بين مجموعاتهم مجموعة نجوم

و قالوا لمردوك بكرهم:

ليكن مصيرك أيها السيد، الاول بين الالهة

---

[1]) المصدر نفسه،ص155-156.

[2]) صموئيل نوح كريمر ،من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر،(بيروت: مؤسسة فرانكلين،1957)،ص156.

[3]) فاضل عبد الواحد علي، من ألواح سومر الى التوراة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،1989)،ص108.

للإبادة والخلق مر، وليكن هكذا
بأمرك لتبد هذه المجموعة
واصدر إليها أمرا معاكسا ولتعد المجموعة صحيحة سالمة
أمر مردوك وعلى صوته خربت المجموعة
واصدر أمرا معاكسا فوجدت المجموعة من جديد"[(1)].

في حين نسب المصريون هذه المبدأ الى الاله بتاح لذا نجدهم يكتبون:
"القلب هو الذي يُخرج كل نتيجة ناجحة الى حيز الوجود
اما اللسان فهو الذي يفسر ما يجول في القلب
اما المعبودات فقد اوجدها القلب في زمان كانت كل مملكة مقدسة يصدرها القلب عن طريق اللسان"[(2)].

لكن لماذا اراد الله خلق العالم؟ يرد اوغسطين عن هذا التساؤل بأنه بلا طائل، فالبحث عن ارادة الله وسببها في خلق العالم هو البحث عن شيء غير موجود. ومن صفات الله العلم المسبق، فالله علم مطلق، مستقل عن الحوادث المفردة والمعينة، وعن التحول من شيء الى شيء؛ انه علم بالماضي والحاضر والمستقبل في الوقت عينه، انه علم مباشرة ودفعة واحدة؛ اما ارادته فهي مطلقة، لا تتعلق هي ايضا بمكان ولا زمان. والله عند اوغسطين هو شمس معقولة، وانه شمس العقول، وقبل كل شيء، لإظهار ان الله هو المعلم الباطني يلجأ القديس اوغسطين لتشبيه صوري هو الاشراق. ويمكن توضيح مفهوم الاشراق الاوغسطيني بالشكل التالي: ان الفكر يعرف الحقيقة بطريقة تشبه

---

[1]) حول هذا النص ومناقشته انظر: يحيى، الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم،ص79-82.

[2]) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، مراجعة: محمد حسنين الغمراوي بك،(القاهرة: المطبعة الاميرية،1929)،ص236.

الطريق التي تبصر بها العين الاجسام، فكما ان الشمس هي مصدر النور الجسماني الذي يجعل الانسان يبصر الاشياء، فإن الله مصدر النور الروحاني الذي يجعل العلوم معقولة في الفكر: فالشمس مصدر النور، والله مصدر الحقيقة، فهو نور النفس أو هو النور اللامخلوق، وهكذا فإن اوغسطين يوحد بين الله والشمس. ان الله حاضر في النفس، بل هو حياة النفس، هو يحييها بأن ينفخ فيها الفضائل، لأنه الفضيلة الخالدة، والابدية، وهو الخير المطلق، واللذة الاسمى؛ وعنه تبحث الانفس كمصدر للسعادة[1]. اما مسألة الثالوث فقد لخصها القديس اوغسطين في عبارة مختصرة لكنها واضحة الى حد كبير: جوهر واحد وثلاثة اشخاص[2]،فمسألة الثالوث فكرة اعقد بالنسبة للقديس اوغسطين من فكرة وجود الله أو اثباته: "نحن نعتقد بوجود الله الذي يثبته العقل، ونحاول ان ندرك الثالوث الذي يعرفنا الايمان وحده فقط على وجوده". فمشكلة الثالوث اذن عند اوغسطين مشكلة ايمانية بحتة. وحسب اوغسطين ليس الثالوث في الله، انما هو الله؛ فالله ثالوث وليست هذه الخاصية بنظر اوغسطين مضافة عليه، بل هي طبيعته الالهية، ولكي يبرهن اوغسطين عن فكرته فأنه يلجأ الى صور ومصادر في العالم المادي تظهر وحدته وثالوثه في الوقت عينه، وبهذا يقيم اوغسطين بين العالم وخالقه مشابهة تثليثية. ونتيجة لذلك لجأ اوغسطين الى حاسة البصر للبرهنة على الثالوث التي وجد فيها الاقرب الى المعرفة العقلية؛ فحسب اوغسطين عندما يرى الانسان شيئا ما فإنه يميز بيسر بالغ ثلاث حدود: الشيء نفسه الذي رأيناه(حجر، نور،

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص156-157.

[2]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج2، ص445.

كتاب...الخ)؛ ورؤية هذا الشيء أي صورته التي طُبعت في عضو البصر؛ وانتباه العقل الذي يوقف البصر على هذا الشيء، وبالتالي فإن الانسان يجد نفسه امام ثلاثة اشياء متميزة: فهناك الجسم المادي اولا؛ والصورة التي طبعها ذلك الجسم على العضو البصري ثانيا؛ وانتباه العقل المتميز عن الاثنين الاولين ثالثا؛ ومن هنا يستنتج اوغسطين على وجود ثلاث حدود هي في الوقت ذاته متميزة ومتحدة معا. ولكي يقرب اوغسطين فكرته للذهن فإنه يطابق مثاله اعلاه على الثالوث، فالشيء المادي الذي يطبع شكله أو صورته على الحاسة مشابه للاب؛ والصورة المنطبعة على هذه الحاسة مشابهة للابن؛ اما الارادة التي تجمع الشيء بالحاسة فهي تشابه الروح القدس. وهكذا يخلص اوغسطين من هذا المثال وغيره ان الثالوث ليس في الله، وانما هو الله، فالأب هو الله؛ والابن هو الله، والروح القدس هو الله، أي ان الله هو جوهر واحد وثلاثة اقانيم، وبهذا يثبت بأن الاب ليس هو الابن؛ وبأن الابن ليس هو الاب؛ وبأن الروح القدس ليس هو الاب، ولا هو الابن. وهكذا يخرج اوغسطين باستنتاج ان الثالوث هم واحد، والواحد هو الثالوث، فالاقانيم الثلاثة لا تنفصل عن بعضها، وان تمايزت، وهي متساوية، وكاملة، وموجودة معا منذ الازل، وتقوم سويا بكل عمل[1]. اما بوئيثيوس(توفي عام 524م) فقد ناقش من جهته فهمه لله في المسيحية ويعتقد: ان الله هو الفكر المحض، وان الانسان يعرف الله معرفة فطرية تُظهره لنا على انه الخير الاسمى، أو حسبما سيأخذه عنه القديس انسليم، الكائن الذي لا نستطيع ان نتصور من هو اسمى منه؛ وهذا يعني ان بوئيثيوس يبرهن على وجود الله انطلاقا من مبدأ يقول بأن وجود اللاكامل يفترض وجود الكامل، وما

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص151-153.

هو ناقص يستلزم وجود اللاناقص، وبما ان هناك كائنات غير تامة بالتالي لا يستطيع الانسان ان يشك بوجود كائن تام، أي خير اسمى يكون مصدرا لكل خير؛ وان هذا التام والكامل هو الله، لأن الكامل هو الاحسن والاكمل من جميع ما يمكن تصوره، لأن الانسان لو تصور ان الله ليس هو الكامل فإن ذلك يدفعه لتصور وجود كائنا سابقا عليه، وبما هذا الكائن سابقا على الله فإن ذلك يعني انه مصدرا له، واذا كان بدوره هذا الكائن السابق على الله ومصدره ليس هو الكامل فإن ذلك يدفع المرء ان يتصور كائنا اخر سابقا عليه هو ايضا يكون اكمل منه ومصدره، وهلم جرا الى ما لا نهاية له. وبتعبير اخر: اذا كان الله ليس هو الكامل فإن ذلك يفترض وجود كائنا سابقا على الله، وبالتالي المصدر لوجود الله والمبدأ لله، لكن البشر يعرفون ان الله مبدأ كل شيء، فهو اذن الكامل، لأن الانسان لو اراد الا يرجع في السلسة الى ما لا نهاية له، وهو امر غير منطقي، فلابد من الوقوف عند القول بوجود كائن كامل هو الاسمى ويكون هو الله. ان الله عند بوئيثيوس هو علة العالم، ولا يستطيع الانسان ان يحده أو يحيط به، انه كامل، قائم بذاته، ولكنه مكون من ثلاثة اقانيم أي ان الاب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله[1]. ان اللاهوتيين الى الان اكدوا بشكل واضح ان الانسان لا يمكن ان يفهم أو يتصور الله ذهنيا ولعل ذلك تم توضيحه بشكل قاطع في كتابات ديونيسيوس المنحول(وهو لاهوتي سرياني عاش في القرن السادس الميلادي) الذي يؤكد انه: لا يمكن ان نفهم الله بعقلنا ولا بحواسنا، واذ اننا لا نستطيع معرفته فنحن لا نستطيع تسميته، وان نطلق على الله الاسماء الواردة في الاسفار فذاك هو اللاهوت الايجابي، الا انه لا غنى من

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص288-289.

بعد عن نفي هذه الصفات والاسماء، وهذا هو ما يدعى باللاهوت السلبي، كما ان هناك لاهوتا ثالثا يوفق بين هذين اللاهوتيين، ويقوم على القول بأنه يجوز اطلاق هذه الصفات على الله شرط ان نأخذها بمعنى مغاير للمعنى العقلي والبشري والشائع لها فيصير الله عندئذ الكائن الاعلى، والحياة الاعلى، والطيبة الاعلى، وذلك هو اللاهوت التوفيقي الذي يجعل الله فوق واعلى واسمى من كل نعت يوصف به. وهكذا فإن الاسماء الالهية هي المنهج الايجابي الذي يعطي الله كمالات موجودة في المخلوقات، أي كمالات متوافقة مع الطبيعة الروحية للإله، ولكن في الوقت ذاته ان هذه الكمالات غير موجودة فيه على غرار ما هي موجودة في المخلوقات، اذ هي في الله تامة. فالقول ان الله عقل، لا يعني ان يُعزى له عقلا انسانيا، بل يمكن القول ان الله هو اكثر من ذلك، اذ انه يجل عن هذا الوصف، وفوق ما نعرفه عن العقل، والافضل هو القول: الله فوق العقل، كما انه الماهية فوق الماهيات، والجمال فوق الجمالي وهكذا[1]. وهكذا نخلص من خلال كافة اراء اللاهوتيين المسيحيين ان الله روح محض، وعقل خالد، وهو الكامل، والتام منذ الازل، بمعنى انه لم يولد، ولم يعط اسما، ولا يمكن لأي انسان ان يتصوره أو يشاهده، ولا يمكن لأي قوة ان تحده، أو تحيطه، ولا يمكن لأحد ان يتصل به، ولكن الانسان يستطيع معرفة الله فطريا، وهنا يكمن التساؤل الحاسم: اذا كان الله كائن غير مرئي، ومن غير الممكن الاتصال به، فكيف يستطيع الله ان ينقذ البشرية؟. ان الاتصال بين الله والعالم لا يتم الا عن طريق الكلمة المتجسدة أي ابن الله وهو الصورة الثانية لله في الوقت ذاته؛ ومن الجدير بالذكر قبل الانتهاء من مسألة الثالوث، ان هذه

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص304-305.

العقيدة كان لها في بعض الاحيان انعكاسات سياسية، وكما يتضح عندما ثار الجيش البيزنطي مطالبا الامبراطور قسطنطين الرابع(668-695م) ان يشرك اخويه هرقل وتيباريوس في الحكم، ولما سألهم الامبراطور لم يريدون ذلك اجابوه قائلين: "لأننا نؤمن بالثالوث، فلنتوج اباطرة ثلاثة"[1].

لم يتقبل كافة اللاهوتيين التفسيرات الرسمية للكنيسة حول الله والثالوث وسرعان ما بدأت اراء اخرى تظهر للساحة ومنذ وقت مبكر، ففي بعض الاناجيل غير الرسمية يمكن ان نلاحظ وجود اراء قد تنم على ان الاب هو الوحيد الذي يجب ان يعبد وليس الابن فالقديس توما يقول على لسان يسوع: "عندما ترون واحدا لم يلد من رحم، عندها اسجدوا له واعبدوه، لأن هذا هو ابوكم"[2]، وهذا الكلام بلا ريب يشير ان الابن ليس محط عبادة. ونجده ايضا يذكر: "مبارك الواحد الذي كان موجودا قبل ان يوجد"[3]. الا ان نصا اخر ينسب الى القديس توما يشير الى ان الابن والاب هما واحد وليس اثنان، بتعبير ادق ان المسيح هو نفسه الاب!!! فهو يقول في صلاة موجهة للمسيح: "مولى الجميع والاب، الاب ليس فقط للنفوس التي ما تزال في الابدان، بل ايضا للنفوس التي غادرتهم"[4]؛ والشيطان يخاطب القديس توما يقول له: "لماذا تشبه نفسك بأبن الرب الذي اخطأ بحقنا؟ لأنك كليا مثله، وكأنك اتخذت منه اباً"[5].

---

[1]) نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد،(القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة والنشر،1950)،ص23.

[2]) انجيل توما(النسخة القبطية): 15.

[3]) انجيل توما(النسخة القبطية): 19.

[4]) اعمال القديس توما: 30.

[5]) اعمال القديس توما: 45.

ويقول توما على لسان ميغدونيا في صلاتها وهي تخاطب المسيح: "ايها المولى الرب، والاب الرحيم، والمسيح المخلص..."[1]؛ وفي رؤيا توما يخاطب المسيح هذا القديس قائلا: "انا الاب لجميع الارواح"[2]؛ فهل توما عند وصفه للمسيح بالأب يتحدث عن صورة مجازية أو حقيقية؟؛ وهل دمج توما الاب والابن سوية هنا؟. ان توما واضح جدا في وصفه فهو يصف المسيح بالأب وليس غيره. ليس هذا كل المشاكل التي يكشف عنها نص القديس توما بل هناك ما يمكن ان نفسره بأن الروح القدس ليس اقنوما ثالثا بل جزءً من الابن فهو يقول: "دع روحك القدس تسكن فيهم"[3]، في دعائه الموجه الى المسيح، وهنا علينا ان نتساءل ان كان توما قد رفض الثالوث وجعل من الاب والابن والروح القدس شخصا واحداً؟. كما خاطب القديس اندراوس المسيح واصفا اياه بالأب: "ايها الاب لا تسمح لعدوك ان يحل وثاقي"[4]. ويمكن ان نلاحظ ايضا عن استخدام بعض المسيحيين لمصطلح الاب للتعبير عن الابن واضحا، ففي نص يتحدث عن اعمال يوحنا الحبيب، نجده يخاطبه في صلاته الموجهة الى المسيح قائلا: "ايها الاب المليء بالرحمة...."[5].من جانب اخر نحن نقرأ في ترنيمة المسيح التي تنسب الى يوحنا الحبيب ان هناك اربع قوى يوجه اليها التمجيد وليس ثلاثة كما هو متوقع في النصوص المسيحية:

"المجد لك ايها الاب....امين

---

[1]) اعمال القديس توما: 97.

[2]) زكار، الاناجيل،ص789.

[3]) اعمال القديس توما: 156.

[4]) اعمال اندراوس: 63.

[5]) اعمال الرسول يوحنا: 77.

"المجد لك ايتها الكلمة

المجد لك ايتها النعمة، امين

المجد لك ايها الروح، المجد لك ايها الواحد المقدس، ليكن المجد للمجد، امين نحن نحمدك ايها الرب، ونحن نقدم الشكر ايها النور، الذي فيك لا يعيش الظلام، امين"[1]. وهذا النص مهم لأنه يشير الى اربع قوى كأشكال للواحد المقدس وهي: الاب، والابن، والنعمة، والروح القدس، وبذلك فإنه يختلف كليا عن المفهوم المسيحي السائد حول الثالوث، ولكن قبل الاسترسال في الاستنتاج علينا متابعة النص ذاته الذي يقول في موضع اخر منه: "المجد لك ايها الاب، المجد لك ايتها الكلمة، المجد لك ايها الروح القدس"[2]، فنلاحظ هنا انه يشير الى ثلاث قوى وليس اربعة، فهل النعمة التي ورد ذكرها في النص الاول لا تشير تماما الى قوة منفردة بحد ذاتها؟. وعلى غرار يوستينوس الذي اعتقد ان الالفاظ: أب، وإله، وخالق، وسيد، ليست اسماء وانما هي ألقاب مأخوذة من أعمال الله الخيرة ومهماته، وان اللقب الله ليس اسما بل رأيا غُرس في طبيعة البشر عن الشيء الذي لا يُفسر؛ فإن كاتب النص يشير الى حالة مشابهة ولكن تخص المسيح وليس الاب، وهنا يظهر المسيح وهو يخاطب تلميذه يوحنا بأنه يظهر بأسماء عدة ليست حقيقته بقدر ما كانت وسيلة يفهمها الانسان فهو: الكلمة، والعقل، ويسوع، والمسيح، والباب، والطريق، والخبز، والبذر، والقيامة، والابن، والاب، والروح، والحياة، والصدق، والايمان، والنعمة[3]. وهذا النص يكشف عن عدة مسائل اراد الكاتب المسيحي ايصالها، فمن جهة فإن المسيح

---

[1] اعمال الرسول يوحنا: 94.

[2] اعمال الرسول يوحنا: 96.

[3] اعمال الرسول يوحنا: 98.

هو النعمة ذاتها وهذا يفسر لنا التناقض الذي قرأناه في مسألة التمجيد اعلاه؛ ومن جهة اخرى فإن كاتب النص يجعل من الابن، والاب، والروح القدس ثلاث مسميات لشخص واحد، وهو بذلك يقترب نوعا ما من رأي القديس توما، ويبتعد كثيرا عن الكنيسة الرسمية التي رأت من الثالوث ثلاث اشخاص منفصلين يمثلون اله واحد.

اما هرماس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي يظهر في كتابه الراعي، ان له تصور أخر عن أبن الله يختلف عما هو سائد لدى الكنيسة. فـ هرماس في حواره مع ملاك التوبة في المثل التاسع يقول: "أني أريد أن أبين ما أظهره لك الروح القدس الذي كلمك باسم الكنيسة، لأن هذا الروح هو أبن الله". وهكذا يكون الروح القدس في نظر هرماس هو أبن الله، وتكون علاقة الله بالروح القدس علاقة الأب بالأبن، وما هو اهم من هذا ما جاء في المثل الخامس من كتاب الراعي: "إن الله جعل الروح القدس، الموجود قبل الدهور الذي خلق كل شيء، يسكن في جسد انتقاه هو نفسه، وهذا الجسد الذي سكن فيه الروح القدس خدم الروح القدس بطهارة وقداسة كاملتين دون ان يلوث الروح بشيء. وبعد ان سلك هذا الجسد بهذا المقدار من الصيانة والطهارة، وبعد ان عاون الروح، وعمل معه مظهرا قوة وشجاعة، جعله الله شريكا للروح القدس. فإن سلوكه أسر الله لأنه لم يتدنس وهو حامل الروح القدس على الارض. ثم شاور الله أبنه وملائكته الاماجد في أمر هذا الجسد الذي خدم الروح بلا عار ليفسح له مكانا للسكنى، ولكي لا يفقد جزاء خدماته. وهنالك جزاء لكل جسد يسكن فيه الروح القدس ويبقى بلا دنس". وهكذا يكون الثالوث في نظر هرماس مؤلفا من الله الأب وشخص الهي ثان هو الروح القدس الذي هو أبن الله، ومن

المخلص الذي جُعل شريكا للروح القدس جزاء المستحق[1].اما لكتنتيوس(توفي عام 330م) فيبدو انه اختلف عن اللاهوتيين حول مسألة الثالوث، اذ قال بالثنائية مكونة من أبن على مثال الله، كامل كل الكمال، وكائن ثانٍ لم يبق أمينا لأصله الالهي، فحسد الأبن، وأنتقل من الخير الى الشر، فأمسى شيطانا عدوا لله، وينبوع كل فساد. وهكذا فإن لكتنتيوس قال بمبدأين متعاكسين متعاديين هما النور في السموات، والظلام على الارض. كما يقال ان لكتنتيوس انكر وجود الاقنوم الثالث وربطه تارة بالأب وتارة بالابن[2]. لكن اريوس(256-336م) كاهن الاسكندرية طرح تفسيرا اكثر تماسكا واكثر فلسفة لمفهوم التثليث، اذ لم يرفض اريوس التثليث، ولكنه انكر المشاركة في الجوهر للأشخاص الالهية الثلاثة، فـ اريوس يرى ان العقل والمنطق يحتمان وجود الاب قبل الابن، والله هو الواحد، القائم وحده، وهو الوحيد الذي لم يولد، وغير مخلوق، وهو ليس له بداية أو نهاية، ولا يمكن ادراكه أو التعبير عنه، وليس له معادل، او مكافئ على الاطلاق، وهو اله عظيم وحيد متفرد بطاقاته وصفاته، وان الله لا يخرج شيئا من جوهره، ولا يتصل جوهره بما خلق، لان جوهره غير مخلوق. اما الابن وروح القدس فانهما خلقا فيما بعد من قبل الاب، وبالتالي هما ادنى منه منزلة ولا يمكن ان يعادلاه بالمكانة والمقدرة. وبالنسبة لجوهر الابن، فإنه تبعا لذلك لا يمت بصلة بجوهر الاب، انما هو كائن مستقل، ومنفصل تماما، ومختلف عن الجوهر أو الطبيعة الالهية، اذ لو كان الجوهر نفسه، لكان هناك الهان. والابن مثله مثل كل المخلوقات العاقلة له مشيئة حرة، ومعرض للتغيير. وبما ان الابن

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص45-46.

[2]) المصدر نفسه،ج2،ص191-192.

لا يُعزى جوهره الى الاب، فهو ليس الها حقيقيا، وبالتالي ليس له السجايا الالهية، اي انه ليس ازليا، وليست معرفته بالله مطلقة، ولكنها فقط معرفة نسبية، وبالتالي فانه لا يمكن ان يدعي المساواة في المجد مع الاب. ومع ذلك فإن الابن ليس مخلوقا مثل بقية المخلوقات، بل انه المخلوق الكامل، وبين القوى المخلوقة، فإن الروح القدس يقف بجانب الابن كجوهر ثان مستقل[1].وفي عام 357م عقد الاريوسيون مجمعا في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا برئاسة الاسقفين اورزاس وفالانس، وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة انكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر. وفي عام 361 قام الاريوسيون بعقد مجمع انطاكية ووضعوا فيه: صيغة ايمان جديدة تعلم ان الابن غريب عن ابيه، مختلف عنه في الجوهر والمشيئة. وقد تثبتت هذه العقيدة في مجمع انعقد بالقسطنطينية في العام نفسه[2]. وهكذا نلاحظ جيدا كيف اختلف اريوس كثيرا عن اللاهوتيين المسيحيين في تفسير العلاقة بين الأب والأبن. وفي القرن الخامس الميلادي ناقش نسطوريوس مسألة الاقانيم، وقال ان في المسيح اقنومين احدهما الهي، والثاني انساني غير ملازمين بالضرورة احدهما للآخر، بمعنى ان المسيح عندما ولد كان انسانا محضا، ثم سكنت فيه الالوهية ولازمته الى حين صلبه وحينئذ فارقته، فلم يكن اذاً على الصليب سوى انسان متألم، ولذلك كان اتباع نسطوريوس يسمون العذراء والدة المسيح وليس والدة الاله[3].لكن الكنيسة رفضت اراء نسطوريوس وعدتها بدعة بسبب مخالفتها

---

[1]) عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،ص106-107؛ زكار،الاناجيل،ص89.

[2]) عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،ص109-110.

[3]) زيعور،اوغسطينوس،ص22.

بعض النصوص المسيحية، كما هو الحال في قول اليصابات حيت مريم الحبلى قائلة لها: "فمن أين لي هذا أن تأتي ام ربي إلي"[1]، وهذا الكلام يعني ان مريم مزمعة ان تلد ليس مجرد انسان بل الرب الاله نفسه[2]. ومن جهة اخرى فإن المسيح المتألم والمهان على الصليب لم يزل حتى تلك اللحظة ايضا الها كما يتضح من قول القديس بولس: "لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"[3]. وفي القرن نفسه نادى اوطيخي برأي يخالف ما نادى به نسطوريوس عندما قال: ان الطبيعة الالهية قد ابتلعت الطبيعة الانسانية، لذا فالمسيح ليس فقط شخصا واحدا كما تقول الارثوذكسية، بل طبيعة واحدة ايضا هي الطبيعة الالهية التي ذابت فيها الطبيعة الانسانية. وقد رفضت الكنيسة اراء اوطيخي واطلقت على بدعته اسم: "بدعة الطبيعة الواحدة"، وحكم عليها المجمع الرابع المسكوني في خلقيدون عام 451م، مثبتا ان يسوع ليس فقط الها تاما، ولكنه ايضا انسان تام، أي انه انسان بالحقيقة لا بالمظهر والخيال، اذ يتضح الناسوت الحقيقي في المسيح جليا في الاناجيل كلها، اذ نرى فيه يسوع قد ولد كإنسان، ثم نما وترعرع، وكان يجوع ويعطش، ويفرح ويبكي؛ وكذلك فإنه مات ودفن كإنسان[4]. ومع تزايد الخلاف بين المسيحيين الارثوذكس واتباع الطبيعة الواحدة حاول البعض ان يوفق بين وجهتي النظر فاستعاضوا عن عبارة: "طبيعة واحدة"، بعبارة: "مشيئة واحدة"، قائلين ان في المسيح طبيعتين، بيد ان المشيئة الانسانية فيه ذابت في المشيئة الالهية. الا ان المجمع المسكوني السادس المنعقد

---

[1]) لوقا،1: 41-43.

[2]) زيعور، اوغسطينوس، ص23.

[3]) كورنثوس الثانية،2: 8.

[4]) زيعور، اوغسطينوس، ص23.

عام 680م في القسطنطينية دحض هذه البدعة الجديدة، مقررا ان للمسيح ارادة انسانية تتميز عن الارادة الالهية[1].

ان كل ما قيل اعلاه يقودنا الى تساؤل حاسم: هل هناك من ادلة في الوثائق المسيحية المبكرة تشير ان المسيح هو الله؟ سؤال يجب الاجابة عنه.

نحن نمتلك عدة روايات تستطيع ان تبرهن تطابق الله مع المسيح، ففي رواية ترد عند كل من مرقس ولوقا حول شفاء رجلا من المرض قد توحي الى هذه المسألة، فوفقا لرواية مرقس ان يسوع شفى رجلا في ناحية الجراسيين، فطلب ذلك الرجل من يسوع ان يذهب معه، لكن الاخير رفض وقال له: "ارجع الى بيتك والى اهلك واخبرهم بما عمل الرب لك، وكيف رحمك". فذهب الرجل واخذ ينادي في المدن العشر، بما عمل يسوع له[2]. ورواية مرقس مفهومة لنا بشكل جيد، لأن لقب الرب بالنسبة لـ يسوع يظهر بشكل واضح في النصوص المسيحية، ولكن عند قراءة الرواية عند لوقا يتضح منها الفرق الكبير في التوصيف، فالرجل حسب لوقا التمس من يسوع ان يأخذه معه، الا ان يسوع صرفه وقال له: "ارجع الى بيتك واخبر بما عمل الله لك". فراح الرجل ينادي في المدينة كلها بما عمل يسوع له[3]. وهنا يكمن الفرق بين الروايتين، اذ ان نظرة فاحصة لرواية لوقا يتضح منها ان يسوع يقول للرجل ان يخبر الناس بمعجزة حققها الله له، ولكن الرجل الذي يشعر بالامتنان الكثير ليسوع اخذ يبلغ الناس بما حققه يسوع له من معجزة!!!، بمعنى أدق: ان يسوع حسب رواية لوقا هو

---

[1]) المصدر نفسه، ص23-24.

[2]) مرقس،5: 18-20.

[3]) لوقا،8: 38-39.

الله فعليا، وليس شيء اخر!!! ولعل أهم النصوص الانجيلية التي تبرهن على تماثل الله والمسيح هو في اول انجيل يوحنا:

"في البدء كان الكلمة

والكلمة كان عند الله

وكان الكلمة الله

هو في البدء كان عند الله

به كان كل شيء

وبغيره ما كان شيء مما كان"[1].

ان عبارة: "كان الكلمة الله"، حاسمة أي ان: الكلمة وهو المسيح هو الله ذاته، هذا الكلمة التي هي الله تجسدت بشكل بشري واصبحت يسوع الذي عُد الابن للاب: "الكلمة صار بشرا وعاش بيننا، فرأينا مجده، مجدا يفيض بالنعمة[2]، والحق، ناله من الاب، كأبن له أوحد"[3]. ولعلنا نستطيع ان نقدم تصورا اوضح اذا ما تبعنا بولس في قوله لشيوخ افسس وكيف ان الروح القدس عينهم اساقفة لرعاية الكنيسة، ولكن أي كنيسة يقصدها: "كنيسة الله التي اكتسبها بدمه"!!![4]، وهذا القول يشير الى المسيح وليس الى الاب طبعا، وهذا يؤكد التطابق بين الله والمسيح. الا ان بولس لا يكتفي بذلك بل يعلن صراحة ان الله

---

[1]) يوحنا،1: 1-3.

[2]) يشغل مفهوم النعمة حيزا مهما في الديانة المسيحية ويقصد بالنعمة عموما كل هبة داخلية أو خارجية يمنحها الله للإنسان من سخائه، فهي مساعدة الهية فائقة الطبيعة، وهذه المساعدة هي ما تسمى نعمة فعلية، واول نعمة نحصل عليها تكون بالمعمودية. انظر: زيعور،اوغسطينوس،ص32.

[3]) يوحنا،1: 14.

[4]) اعمال الرسل،20: 28.

والمسيح هما شيء واحد: "فما من احد ان يضع اساسا غير الاساس الذي وضعه الله أي يسوع المسيح"[1]، وهذه العبارة حاسمة وكافية في اعطاء توصيف ثابت ومحدد للمسيح وهو الله. كما إن بولس استخدم بذكاء نصوص العهد القديم من اجل البرهنة على تماثل المسيح والله، وليجعل المسيح هو إله العهد القديم ذاته باعتباره الله!! لذا نجده يقول: "ولا نجرب المسيح مثلما جربه بعضهم فأهلكتهم الحيات"[2]، وهو بذلك يتحدث عن الاسرائيليين تحديدا عندما تذمروا على الله وموسى وقائلين له: "لماذا أصعدتنا من مصر لنموت في البرية؟ فلا خبز لنا ولا ماء ونفوسنا قضت من هذا الطعام القليل"، لذا لم يحتمل الرب فأرسل: "على الشعب حيات نارية، فلدغت الشعب ومات قوم كثيرون من بني اسرائيل"[3]. وبالتالي يمكن ان نفهم جيدا كيف ان بولس يقول ان الرب/المسيح هو الذي غضب على الاسرائيليين الذين جربوه عند جبل هور على طريق البحر الاحمر، بمعنى انه استخدم حوادث العهد القديم بذكاء من اجل البرهنة ألوهية المسيح.

ولكن كيف يمكن ذلك؟ بمعنى ادق: كيف يمكن ان يكون الله هو المسيح ذاته؟. لقد عرفنا اعلاه ان الله مكون من ثلاثة اقانيم، وبالتالي علينا ان نفهم هذه المسألة جيدا، لأن ذلك يعرف في المسيحية بسر التجسد، فبسبب الخطيئة الاصلية سقط الانسان ولم يكن بإمكانه ان يرتفع الى الله[4]، لذا شاء الله في محبته ان ينحدر بنفسه الى الانسان ليعيد الشراكة معه، أي بالتجسد

[1]) كورنثوس الاولى،3: 11.

[2]) كورنثوس الاولى،10: 9.

[3]) انظر هذه الحادثة في: عدد،21: 5-6.

[4]) سيتم شرح هذه المسألة لاحقا وبالتفصيل.

اخذ الله على نفسه الطبيعة البشرية، وضمها الى لاهوته، لتسري فيها الحياة الالهية فتجددها[1]. وهذا التصور يجعلنا نفهم جيدا ما قاله القديس توما: "المجد لربوبيتك التي من اجلنا ظهرت في شكل انسان"[2]. وبالتجسد اتحد الله ذاته بالإنسان لتسري في الانسان حياة الله، وهكذا يتأله الانسان على حد تعبير اباء الكنيسة الذين اكدوا منذ القديس ايرينايوس: "لقد صار الاله انسانا ليستطيع الانسان ان يصير الها". وباختصار يشرح اللاهوتيين المسيحيين هذه المسألة بالشكل التالي: سقط الانسان لكونه اراد ان يجعل نفسه إلها بالاستغناء عن الله أو بغير الله، اذ كان يتوق الى ان يتأله، ولاشك انه كان في تصميم الله ان يتأله الانسان، فهذا لم يُخلق ليكون عبدا لله، بل شريكا في حياته الالهية، ولكن هذا التأله لم يكن ممكنا بمعزل عن الله، بل كان مشروطا باتحاد الانسان بالله، لأن من الله يستمد الانسان كل موهبة وقوة وحياة، وخارج الله ليس سوى العدم والفراغ والموت. ولكن ماذا يعني ان الانسان تأله بالتجسد؟. يشرح القديس غريغوريوس بالاماس(1296-1359) هذه المسألة بالشكل التالي: "لا يعني اننا اصبحنا الهة بالطبيعة، فإننا لا زلنا مخلوقات، لكن التأله يعني ان حياة الله قد اعطيت لنا فصرنا مشاركين له في محبته، وفي مجده، في قوته، وفي فرحه، في حكمته، وفي قداسته، وفي خلوده. لم نبلغ جوهر الله، لأن الله متعال دائما، ولا يمكن الوصول اليه، ولكن القوى الالهية اعطيت لنا، واصبحت في متناولنا"[3]، وبهذا المعنى يجب ان نفهم عبارة القديس بطرس:

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص18.

[2]) اعمال القديس توما: 80.

[3]) زيعور، اوغسطينوس، ص18.

"صرتم شركاء الطبيعة الالهية"[1]. اذن كان التجسد مبادرة محبة مجانية من الله نحو الانسان الذي ابتعد عن الله ورفضه باختياره. ومحبة الله لا تُفرض فرضا، لذلك كان على الانسان تقبل مبادرة الحب الالهي هذه، ومن اجل هذا اهتم الله، بمحبة ابوية، بأن يهيئ البشر تدريجيا الى اقتبال التجسد. وقد ظهرت هذه التربية الالهية لحرية الانسان خاصة في الشعب الاسرائيلي الذي بقي وحده-كما يؤكد العهد القديم-بين الشعوب امينا لله رغم خطاياه الكثيرة، ففيه خاصة هيأ الله البشر الى قبول التجسد، وقد اتخذت هذه التهيئة وجوها مختلفة[2] وهي:

1.**الناموس**: وهو مجموعة من شرائع اعطيت الى الشعب الاسرائيلي بوحي من الله، والناموس هو: "مؤدبنا يرشدنا الى المسيح"[3]. بمعنى تلك هي وظيفة الناموس بالنسبة الى اليهود، وهي ان تتهذب اخلاق الناس كي يُعدوا للدخول في ملكوت المحبة؛ وتلك هي غاية الوصايا العشر[4]؛ اما الذبائح التي يفرضها الناموس للتكفير عن الخطايا فقد كانت رمزا يشير الى الذبيحة الحقيقية الواحدة وهي موت يسوع على الصليب.

2.**الحوادث التاريخية**: كانت حوادث الشعب اليهودي ترمز الى حوادث الخلاص، وتُعِد الشعب لقبول التجسد، فيوسف الذي باعه اخوته حسدا[5]، صار

---

1) بطرس الثانية،1: 4.

2) حول الطرق الثلاث التي اعدها الله للبشر لكي يقبلوا التجسد انظر: زيعور،اوغسطينوس،ص19-20.

3) غلاطية،3: 24.

4) انظر الوصايا العشر في: خروج،20: 3-17.

5) حول حادثة بيع يوسف انظر: تكوين،37: 26-28.

مخلص العالم اثناء المجاعة التي حصلت[1]، كان رمزا للمسيح الذي أُسلم حسدا من اليهود(اخوته بالجسد) الى الرومانيين لكي يميتوه فصار بالمعنى الكامل: "مخلص العالم" مُطعما الناس ليس خبزا ماديا كما فعل يوسف بل الخبز السماوي الذي في جسده. كذلك كان خلاص الشعب الاسرائيلي من عبودية فرعون على يد موسى[2]، ثم دخوله الى ارض الميعاد على يد يشوع(ويشوع هو يسوع بالذات ومعناه الله يخلص) [3]، هو رمز لخلاص المؤمنين من عبودية الشيطان بتجسد المسيح وموته ودخولهم الى ملكوت الله.

3.**الانبياء**: اذ ارسل الله انبياء الى شعبه على مر الاجيال لتهيئته لقبول التجسد، فالنبي كما يدل اسمه، ينبأ بإرادة الله أي انه يعلنها بقوة داعيا البشر الى تقويم ما اعوج من سيرتهم، والى الرجوع الى الله. هؤلاء الانبياء اعدوا الشعب اليهودي لقبول التجسد وذلك لأنهم، أولا: كانوا يحركون الضمائر المتحجرة، ويقولون جهرا للناس ان تتميم الشريعة في الظاهر لا يهم؛ لكن المهم تغيير القلب واعطاؤه لله، وهكذا كانوا يمهدون طريق الله الاتي الى العالم. وثانيا: لأنهم كانوا يشيرون بالهام إلهي الى تجسد ابن الله، والى اعمال الخلاص التي سوف يقوم بها على الارض، وعلى هذا تحدث النبي اشعياء الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد عن البيت الذي يولد منه المسيح فقال انه سيكون من نسل داود: "يخرج قضيب من جذع يسي، وينبت غصن من اصوله[4]، وهذا المسيح يولد من

---

[1]) حول المجاعة واجراءات يوسف الاقتصادية انظر: تكوين،41: 54-57؛ 47: 13-26.

[2]) حول الخروج من مصر الى ارض كنعان كما تشير الاساطير اليهودية والطرق الذي سلكه الاسرائيليون انظر: خروج،12: 37-42؛ 13: 17-22؛ 14، 1-31.

[3]) حول دخول يشوع المفترض لأرض كنعان انظر: سفر يشوع.

[4]) اشعياء،1: 1.

عذراء: "العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل. زبدا وعسلا يأكل متى عرف ان يرفض الشر ويختار الخير"[1]. والنبي ميخا يؤكد ان هذا المسيح يولد في بيت لحم:

"لكن يا بيت لحم افراتة

صغرى مدن يهوذا

منك يخرج لي

سيد على بني اسرائيل

يكون منذ القديم

منذ ايام الازل

لذلك يترك الرب شعبه

الى حين تلد الوالدة

فيرجع الباقون من بني قومه

الى ارض بني اسرائيل

يقف ويرعى شعبه

بعزة الرب الهه

وبجاه اسم الرب

لان عظمته ستمتد

الى اقاصي الارض

ويكون سلامه سلاما"[2] .

---

[1]) اشعياء،7: 14.

[2]) ميخا،5: 2-5. ولاحقا اكد التقليد المسيحي ولادة يسوع في بيت لحم. انظر:2: 1-6. وهنا من حقنا ان نتساءل ان كان التقليد المسيحي اقتبس التصور اليهودي حول ولادة المنقذ في بيت لحم؟ ام ان العكس

والمسيح القادم يخاف الرب ويحكم بالعدل: "يحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. لذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع اذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الارض، ويضرب الارض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطق متنيه، والامانة منطق حقويه"[1]. وحسب تصورات اشعياء يظهر المسيح هو محتقر، ومنبوذ بين الناس، ومهمل، لا يعرف الناس قيمته، واهميته في العالم: "نما كبرعم امامه(امام الرب)، وكجذر في ارض يابسة، لا صورة له، ولا جمال يسترعيان النظر، ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومنبوذ بين الناس، رجل الآلام، ومختبر الحزن، مخذول كمن حجب الناس عنه وجوههم فلم نأبه له"[2]. وان مهمة المسيح في انقاذ البشرية مهمة طوعية، فالمسيح قتل بإرادته، رغم انه: "لم يرتكب جورا، ولم يكن في فمه غش"[3]؛ مع ذلك لم يكره على الموت بل ذهب اليه بمليء ارادته: "حين يقدم نفسه ذبيحة اثم"[4]؛ فهو من: "سكب للموت نفسه"[5].رغم انه تعرض للإذلال: "ظُلم وأُذل، ولكنه لم يفتح فاه، بل كشاة سيق الى الذبح، وكنعجة صامتة امام جازيها لم يفتح فاه، بالضيق والقضاء

هو الصحيح أي ان التقليد المسيحي جعل بيت لحم ولادة المنقذ ومن اجل ان يبرهن على صحته اقحم نصا داخل سفر ميخا يقول ان المنقذ سيولد في المستقبل في بيت لحم!!!؟.

[1]) اشعياء،11: 2-5.

[2]) اشعياء،53: 2-3.

[3]) اشعياء،53: 9.

[4]) اشعياء،53: 10.

[5]) اشعياء،53: 12.

قُبض عليه، وفي جيله من كان يظن انه استؤصل من ارض الاحياء، وضرب من اجل اثم شعبي"[1]. ومقتل المسيح الذي عُد بين البشر اذلال، كان بالنسبة لله مسرة: "سُر الله ان يسحقه الحزن"[2]وبعد مقتل المسيح يتم دفنه مع الاشرار للإمعان في اذلاله: "جعلوا قبره مع الاشرار"[3]. والمسيح بقتله افتدى البشرية اجمعها وانقذها من آثامها، لأنه يمثل ذبيحة اثم،: "لكنه حمل احزاننا، وتحمل اوجاعنا....انه كان مجروحا من اجل آثامنا، ومسحوقا من اجل معاصينا، حل به تأديب سلامنا، وبجراحه برئنا...اثقل الرب كاهله بإثم جميعنا..."[4]، وهو من : "حمل خطيئة كثيرين، وشفع في المذنبين"[5].هكذا كان المسيح المنبوذ، والمحتقر السبب الرئيس لتخليص البشرية من آثامها التي لا تغتفر الا بالتضحية، تلك المهمة التي لم تفهم البشرية حقيقتها فحسبتها اذلال من الله للمسيح: "نحن حسبنا ان الرب عاقبه، واذله"[6]. وبالتالي تخلى البشر جميعهم عنه: "كلنا كغنم شردنا، ومال كل واحد الى سبيله"[7]. وفي النصوص المسيحية يظهر جليا ما ذكره الانبياء اليهود، فحسب ما رأينا في التقاليد اليهودية كان المسيح المنقذ ابن عذراء، وهو امر اكدته النصوص المسيحية[8]؛ وهذا المنقذ يولد في بيت لحم:

---

[1]) اشعياء،53: 7-8.

[2]) اشعياء،53: 10.

[3]) اشعياء،53: 9.

[4]) اشعياء،53: 4-6.

[5]) اشعياء،53: 12.

[6]) اشعياء،53: 4.

[7]) اشعياء،53: 6.

[8]) سيتم مناقشة هذه المسألة لاحقا.

"لما ولد يسوع في بيت لحم..."[1]، كما يقول ميخا. والمسيح عند اشعياء يتعرض للإذلال والظلم والضرب، وهذا ما يحدث ليسوع، فعندما القي القبض على يسوع وأحضر الى رئيس الكهنة قيافا، أتهم بالتجديف، فبصقوا في وجه يسوع، وغطوا وجهه، ولطموه، ولكموه، ثم قالوا له بسخرية: "تنبأ لنا ايها المسيح من ضربك". ثم تناولوه الحرس بالضرب[2]. وبعد ان تم تسليم يسوع الى السلطات الرومانية قام بيلاطس بتحريض من اليهود بجلده، وأسلمه ليُصلب[3]. وعندما اخذ الجنود الرومان يسوع الى قصر الحاكم وجمعوا الكتيبة كلها، فنزعوا عنه ثيابه، والبسوه ثوبا قرمزيا، وظفروا إكليلا من شوك، ووضعوه على رأسه، وجعلوا في يمينه قصبة، ثم ركعوا أمامه واستهزأوا به وقالوا: "السلام عليك يا ملك اليهود!". ثم أمسكوا القصبة وأخذوا يضربونه بها على رأسه وهم يبصقون عليه. وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الثوب القرمزي، وألبسوه ثيابه وساقوه ليصلب[4]. وهذا الوصف في اقل تقدير يذكرنا جيدا بما فعل شياطين الگالا بالإله دوموزي في سومر القديمة، ففي نص سومري نقرأ كيف ان الشياطين يقبضون على دوموزي ويقيدونه وينهالون عليه بالضرب:

"احاط به الشياطين وطوقوه وحصروه في حفرة(مليئة بالماء)

ثم ضفروا حبلا من اجله ونسجوا(؟) له رباطاً

صنعوا مشد نزف من اجله

واعدوا له عوائق حركة

---

1) متى،2: 1.

2) متى،26: 67-68؛ مرقس،14: 65.

3) متى،27: 26.

4) متى،27: 27-31؛ مرقس،15: 16-20.

من الامام لم يتوقفوا عن كيل الضربات له

ومن الخلف كانوا يمسكون به لتجميد حركته

اوثقوا يديه

وكبلوا رجليه"[1].

وهناك نص اخر يصف حالة مماثلة لما تعرض له دوموزي من تعذيب على يد الشياطين رغم الخروم الكثيرة فيه:

"الفتى وُضعت قدماه في القيود(؟)

الفتى أُلقيت عليه الحبال(؟)،(و) وُضعت رقبته في طوق(؟)

شُهرت في وجهه الصنارات(؟)، والمخارز(؟)،والابر(؟) الطويلة(؟)

وانهالوا عليه بالفؤوس الكبيرة

الفتى اقاموه واقعدوه

...على...سنجعله يقوم

الفتى ربطوا يديه و....

وغطوا وجهه بثوب الرعب"[2].

وبعد هروبه منهم وامساكه ثانيا نقرأ:

"القوا القبض على دوموزي في(؟) الحظيرة المقدسة للأغنام

لقد احاطوا بع، وقبضوا عليه، و...وراحوا يحدقون فيه

وشهروا ضد الفتى الـ...والفأس

وجرحوا حجره بالسكاكين(؟)، لقد احاطوا به"[1].

---

[1] قاسم الشواف، ديوان الاساطير: سومر واكد واشور،(بيروت: دار الساقي،2001)،ج4،ص45، 46-47.

[2] وداد الجوراني، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،1998)،ص211؛الشواف، ديوان الاساطير،ج4،ص82.

بعد تلك التهيئات الثلاث يأتي دور العذراء في التجسد، فحسب اللاهوت المسيح: كان الله قد صمم في محبته ان ينحدر الى الانسان ليخلصه، وحيث انه، وهو يحترم حرية الانسان، كان منتظرا ان يريد الانسان خلاصه، وان يشاء قبول الاله المنحدر اليه، فقد هيأ الله الانسانية تدريجيا الى قبول الخلاص، وقد أدت هذه التهيئة الى العذراء مريم؛ فمريم هي زهرة العهد القديم، وثمرة عناية الله بشعبه، وتربيته له على مر الاجيال، وفي شخص مريم استطاعت البشرية ان تقول نعم لله، وان تتقبله مخلصا[2]، وهذا ما تم عندما اجابت مريم الملاك قائلة: "انا خادمة الرب، فليكن لي كما تقول"[3].

ان وجود الله المكون من ثلاث اقانيم ليس دليلا على ان المسيحيين عبدوا ثلاثة الهة، فالنصوص المسيحية وهي تتحدث عن وجود الاب والابن تؤكد في الوقت ذاته على الوحدانية، فـ يسوع الذي يجيب عن تساؤل لاحد معلمي الشريعة يقول: "الرب الهنا هو الرب الاحد"[4]. وبالتالي فإن يسوع يجيب ضمنا بوحدانية الله، هذه الوحدانية التي ارتكز عليها كل اللاهوت المسيحي والتي اكد عليها يوحنا بشكل واضح: "ما من احد رأى الله الاله الاوحد، الذي في حضن الاب هو الذي اخبر عنه"[5]. وبولس من جانبه أكد على وحدانية الله: "ان لا اله الا الله الاحد"[6]؛ والقديس يعقوب يؤكد على الوحدانية المسيحية:

---

[1]) الجوراني، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم،ص213.

[2]) زيعور، اوغسطينوس، ص20.

[3]) لوقا،1: 38.

[4]) مرقس،12: 29.

[5]) يوحنا،1: 18.

[6]) كورنثوس الاولى،8: 4.

"أنت تؤمن ان الله واحد؟ حسنا تفعل"[1]. ويبدو ان فكرة الوحدانية المسيحية ظلت محل نقاش بين المسيحيين ومعارضيهم مما دفع احد اباء الكنيسة وهو اثيناغوراس الاثيني ان يناقشها بإسهاب في التماسه الذي رفعه للإمبراطور الروماني ماركوس اوريليوس وابنه كودموس عام 177م، ومما يهمنا من الموضوع دفاع اثيناغوراس على فكرة الوحدانية. واول ما يلفت النظر هو استعانة اثيناغوراس بحجة المكان لأثبات وحدانية الله، فيقول في الفصل 8 من التماسه: "لو كان هناك الهان أو أكثر منذ البدء لكانوا اما في مكان واحد، واما في امكنة متعددة. ولا يعقل ان يكونوا في مكان واحد لأنهم اذا كانوا الهة غير مخلوقين لوجب الا يتشابهوا، فالخلق وحدهم يشبهون المثال. واما من لا يخلقون خلقا فأنهم لا يصنعون على مثال احد، وبالتالي فإنهم يختلفون. واذا كانوا في أمكنة متعددة فالذي صنع العالم منهم يكون فوق ما صنع وحواليه، فأين يكون الاخرون؟"[2].

الوهية المسيح: قراءة في النصوص المسيحية.

ليس هناك من وصف واضح وصريح للمسيح في الادبيات المسيحية افضل واجمل مما قاله ميلتون البتول الذي توفي عام 180م، ففي مصنفه: عظة في الآم السيد"، اذ يتمسك ميلتون البتول بألوهية المسيح ووجوده قبل الدهور: "فهو الذي ولد ابناً، وجر حملاً، وذُبح كبشاً، وقُبر انساناً، وقام من الموت إلهاً لأنه بطبيعته إله وأنسان. وهو الناموس لأنه يحكم، وهو الكلمة لأنه يعلم، وهو النعمة لأنه يُخلّص، وهو الأب لأنه يلد، وهو الأبن لأنه المولود، وهو

---

[1]) يعقوب،2: 19.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ص80.

كبش المحرقة لأنه يتألم، وهو انسان لأنه يُدفن، وهو الإله لأنه يقوم، هذا هو يسوع المسيح له المجد الى أبد الابدين"[1]. والحقيقة ان مليتون البتول لخص في هذه الاسطر القليلة كل ما ورد في النصوص المسيحية لاسيما العهد الجديد من تفاصيل حول المسيح والتي سنناقشها الان بالتفصيل.

وفق التقاليد المسيحية المختلفة ان مريم كانت مخطوبة لرجل من بيت داود يدعى يوسف، وعمرها 16 سنة[2]، وتسكن بلدة في الجليل اسمها الناصرة، وذات يوم اخذت مريم الابريق وذهبت لتنضح ماء، وفجأة قال لها صوت: "حييت ايتها العظيمة الحظوة، الرب معك، انت مباركة بين النساء". فنظرت مريم من حولها الى اليمين والى اليسار، لترى من اين جاء هذا الصوت، لكنها لم تعرف، ثم ذهبت الى بيتها وهي ترتجف، ووضعت الابريق، واخذت الارجوان، وجلست على كرسيها، وجذبت الخيط. وفجأة وقف ملاك الرب امامها وقال لها: "السلام عليك يا من انعم الله عليها، الرب معك". فاضطربت مريم من كلام الملاك وقالت في نفسها: "ما معنى هذه التحية؟". فأجابها ملاك الرب فورا: "لا تخافي يا مريم، نلت حظوة عند الله، فستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع، فيكون عظيما وأبن الله العلي يُدعى، ويعطيه الرب الاله عرش أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب الى الابد، ولا يكون لملكه نهاية"، وهناك صيغة اخرى للرواية تشير ان ملاك الرب قال لمريم: "لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة امام الله في جميع الاشياء، ولسوف تحملين بوساطة كلمته". فأجابت مريم الملاك: "كيف يكون هذا وانا عذراء لا أعرف رجلا؟". وحسب رواية اخرى ان مريم عندما

---

[1]) المصدر نفسه،ص86.

[2]) حول تحديد عمر مريم انظر: انجيل البداية ليعقوب،12: 3.

سمعت هذا الكلام من ملاك الرب فكرت به قائلة: "سوف احمل بوساطة الله، الرب الحي، واحمل مثلما تحمل اية امرأة؟". فأجابها ملاك الرب: "ليس كذلك يا مريم"، واستمر قائلا: "الروح القدس يحل عليك، وقدرة من العلي تظللك، لذلك فالقدوس الذي يولد منك يدعى أبن الله..."؛ ونمتلك صيغة ثانية لكلام الملاك، اذ نجده يقول: "ان قدرة الله سوف تضللك، لذلك فإن الواحد المقدس الذي سيولد منك، سوف يدعى ابن الاكثر علوا، وانت سوف تسمينه يسوع...". ويقال ان مريم اجابت ملاك الرب قائلة: "انا امة الله امامه، ليكن لي وفقا لكلمتك"[1]. لذا عادة ما يوصف يسوع بأنه ابن مريم[2]، وهذا يذكرنا جيدا بالوصف الذي يطلق على إله الخصب دوموزي(Dumuzi) بأنه ابن سيرتور(Sirtur)[3].وتُظهر رواية جهل مريم تماما بمسألة حملها، فعندما وجدها يوسف وهي حاملا في شهرها السادس قال لها وهو شاكاً في سبب حملها: "انت التي اعتنيت بالله ربك، لماذا فعلت هذا ونسيت الرب الهك؟ لماذا اذللت نفسك، انت التي نشأت في قدس الاقداس وتسلمت الطعام من يد ملاك؟"؛ لكن مريم وكانت تبكي بمرارة اجابت: "انني طاهرة، ولم اعرف انسانا". فقال لها يوسف: "من أين لك هذا الذي في رحمك؟"، فقالت: "بحق حياة الرب الهي، انا لا اعرف من اين جاء الي"[4]. كما يرد ذكر هذه الحادثة في رسالة منسوبة الى بولس يقول

---

[1]) لقد تم تشكيل هذه الحادثة من اكثر من مصدر مسيحي مبكر ومتأخر، اذ ترد في: متى،1: 18؛ لوقا،1: 26-35؛ انجيل البداية ليعقوب،11: 1-3. وحسب التقويم المسيحي الرسمي فإن هذه الحادثة وقعت يوم 25 اذار.

[2]) مرقس،6: 3.

[3]) الشواف، ديوان الاساطير،ج4،ص90.

[4]) انجيل البداية ليعقوب،13: 1-3.

فيها: "ان مولانا يسوع المسيح قد ولد من مريم التي هي من ذرية داود، فقد ارسل الاب الروح من السماء اليها، حتى يأتي الى هذا العالم"[1].هذه المسألة التي علق عليها القديس اغناطيوس(توفي عام 107م) عندما وصف يسوع قائلا: "مولود وغير مولود، من مريم ومن الله"[2]؛ اما دستور الايمان فيقول: "لقد تجسد(المسيح) من الروح القدس ومن مريم العذراء"[3]؛ ويقول كاتب مسيحي اخر ان مريم انجبت ولدها الوحيد مع الاب والروح القدس[4]؛ في حين يؤكد القديس توما ان المسيح مولود من الاب: "المجد للواحد الوحيد المنجب من الاب، والمجد للمولود الاول بين كثير من الاخوة"[5]؛ ويبدو ان توما قد دمج بين مفهوم الاب والاعماق!! عندما اشار ان المسيح: "هو الابن المنجب الوحيد للأعماق"[6]، والحقيقة لا نعرف ماذا يقصد توما تحديدا بمفهوم الاعماق. ويرد في نص مسيحي منحول على لسان يسوع طبيعة العلاقة التي تربطه بكل من مريم ويوسف: "عشت انا [يسوع] معهم، وقد دعوت مريم باسم امي، ويوسف باسم ابي، واطعتهما في كل ما قالاه، كما انني لم اقاومهما، بل تواءمت مع اوامرهما، تماما مثلما اعتاد الناس الاخرون الذين انتجتهم الارض، ان يفعلوا، كما انني لم اثر غضبهما في أي وقت من الاوقات، أو اعطيهما اية كلمة أو جواب

---

[1]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 5-6.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص26.

[3]) زيعور،اوغسطينوس،ص20.

[4]) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 50.

[5]) اعمال القديس توما: 60، 122.

[6]) اعمال القديس توما: 143.

مضاد لهما، بل على العكس، اعتنيت بهما مع حب عظيم مثل بؤبؤ عيني"[1]؛ كما ان كاتب النص يقول ايضا على لسان يسوع ما قاله ليوسف النجار: "والدي من جهة الجسد"[2]. والحقيقة ان وجود الثالوث الالهي كعائلة المكونة من: الاب(الله)، والام(مريم)، والابن(يسوع) عادة شرقية قديمة، وظلت سائدة حتى عصور متأخرة، فالعراقيين القدماء عبدوا العائلة الالهية المكونة من الاب اينليل، والام نينليل، والابن نينورتا؛ والحيثيون عبدوا العائلة الالهية المكونة من الاب تيشوب(Tešub)، والام خيبات(Ḫebat)، والابن شارروما(Šarruma)[3]؛ وفي مصر القديمة عبد الناس في كل انحاء البلاد ثالوث الهي يتكون من: اوزيريس، وزوجته ايزيس، وابنهما حورس[4]؛ وهناك ايضا ثالوث طيبة الالهي المكون من: الاب امون، والام موت، والابن خونسو[5]؛ وفي الحضر عبد السكان هناك ثالوث يتألف من مرن(سيدنا/الاله الشمس)، ومرتن(سيدتنا/ربما تمثل الزهرة أو نجمة الصباح)، وبر مرين(ابن سيدنا/الاله القمر)[6].

ان المسيح حسب الكنيسة له طبيعتين إلهية وانسانية متحدتين في شخص واحد، شخص ابن الله المتجسد، وهذا الاتحاد قائم بدون انقسام، أو انفصال، أو تحول، أو اختلاط؛ وان كلا من هاتين الطبيعتين تحتفظ بصفاتها

---

[1]) قصة يوسف النجار،11: 4-7.

[2]) قصة يوسف النجار،17: 13.

[3]) تقي الدباغ، "الهة فوق الارض: دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الادنى واليونان"، مجلة سومر، المجلد:23، ج1-2، لسنة:1967، ص104.

[4]) احمد امين سليم، مصر والعراق: دراسة حضارية، (بيروت: دار النهضة العربية، 2002)، ص165.

[5]) المصدر نفسه، ص196.

[6]) عزت زكي حامد قادوس، اثار العالم العربي اليوناني والروماني: القسم الاسيوي، (الاسكندرية: مطبعة المعارف، 2000)، ص176.

الخاصة، بمعنى: ان يسوع المسيح اله تام، وحقيقي؛ وفي الوقت ذاته انسان تام وحقيقي مركب من نفس ناطقة، وجسد مساو لجسد البشر، وشبيه بالبشر ما عدا الخطيئة، وبالتالي فإن جسد المسيح لم يهبط من الاعلى، وليس مركبا من عناصر سماوية، لقد كان جسدا بشريا اخذه من امه مريم العذراء عن طريق ولادة حقيقية، لأنه لو كان الها فقط وكانت انسانيته مجرد وهم وخيال فكيف يكون دخول اللاهوت الى صميم البشرية ليقدسها؟ ولو كان المسيح انسانا فقط فكيف يكون جسرا به تُنقل الى الانسانية الحياة الالهية نفسها؟ ولو كان اللاهوت والناسوت في المسيح منفصلين فكيف يتم بين الله والانسان ذلك الاتحاد الذي به تتجدد الانسانية وتتأله؟، وبالتالي ان هذا الاعتقاد في شخص المسيح شرط اساسي ليدرك البشر الخلاص الذي منحه الرب بهم[1]. ويعتقد توما ان المسيح كإله ظهر مثل: "بشريتنا المسكينة"[2]؛ ويفرق ترتليانوس الذي عاش في القرن الثالث الميلادي بين الطبيعتين في المسيح دون تحول أو اختلاط أو امتزاج، ويجعل من الطبيعتين جوهرا واحدا، فالمسيح كان إلها وانساناً، وكإله قام بالعجائب والاعمال الباهرة، وكإنسان جاع، وعطشن وبكى، وتألم[3].ويشرح القديس اوغسطين بشكل رائع مسألة الطبيعتين فالمسيح بالنسبة اليه هو الرب المنبثق عن الاب منذ الازل، والمخلوق كالإنسان؛ فهو الكلمة في اقنوم مساو للرب، وهو الرب في الوقت نفسه، تجسد وولدته العذراء، وبذلك فهو انسان كامل له جسم ونفس ذات ملكات ثلاث: عقل وذاكرة وارادة، الا ان القديس اوغسطين ينبه الى ان طبيعة المسيح وان كانت

[1]) زيعور،اوغسطينوس،ص22؛ 31.

[2]) اعمال القديس توما: 153.

[3]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص179.

مادية شبيهة بطبيعة البشر أي انها تموت، فهو من وجهة اخلاقية مختلف، أي ان طبيعته كانت بلا خطيئة، وبالتالي ففي المسيح طبيعة الهية، وطبيعة انسانية، الا ان له اقنوما واحدا فقط. وبما المسيح وسيط بين الخاطئين والعادل الخالد، لذا توجب على الوسيط طبيعتين الهية وانسانية، فلو كان له الاولى فقط لابتعد كثيرا عن الانسان، ولو كانت له الطبيعة الانسانية فقط لابتعد كثيرا عن الله، وفي الحالتين فإنه يكف عن ان يكون وسيطا[1]. والحقيقة ان مسألة الطبيعتين التي شُرحت اعلاه هي الاخرى تكشف عن مؤثرات خارجية واضحة كما هو الحال في مسألة الوهية المسيح وسر الفداء كما سيتضح لاحقا. فمن المعروف ان بوذا عند البوذيين كان انسانا والها معا، وهو قد تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم، ويبين لهم طريق الايمان[2]. وينكر بعض المسيحيين مسألة الطبيعتين ويتضح ذلك من خلال رسالة مسيحية مرسلة الى القديس بولس يرد فيها ان هناك رجلان اسمهما شمعون وكليوبيوس كانا يبشران بكلام يخالف ما كان يبشر به بولس من ضمنه: "ان المسيح لم يأت بالجسد، ولم يولد من مريم"[3].

ان الله في النصوص المسيحية يعترف صراحة بأبوته ليسوع في صيغة الغائب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به رضيت"[4]؛ أو في صيغة المخاطب: "انت ابني الحبيب بك رضيت"[5]؛ أو يقول الله: "هذا هو أبني الحبيب الذي اخترته فله

---

[1] زيعور، اوغسطينوس، ص154.

[2] زكار، الاناجيل، ص93.

[3] رسالة اهل كورنثوس الى الرسول بولس، 1: 14.

[4] متى، 3: 17؛ 17: 5. انظر ايضا: بطرس الثانية، 1: 17.

[5] مرقس، 1: 11؛ لوقا، 3: 22.

اسمعوا"[1]. لكن علينا ان نلاحظ ان يسوع لم يستخدم صفة ابن الله لوصف نفسه بل استخدمها الاخرون واطلقوه عليه[2]، باستثناء اشارتين وردتا عند يوحنا يصف المسيح بها نفسه بأبن الله، الاولى جاءت بمعرض الرد على اليهود: "فكيف تقولون لي انا الذي قدسه الاب وارسله الى العالم: انت تجدف، لأني قلت: أنا ابن الله"[3]؛ والاشارة الثانية تظهر في حادثة مرض لعازار التي علق عليها قائلا: "ما هذا المرض للموت، بل لمجد الله، فيه سيتمجد أبن الله"[4]. ولكن بشكل عام لم يفضل المسيح ان ينتشر لقب ابن الله بين الناس، فعندما كان الناس يقولون له بأنه أبن الله كان يأمرهم بشدة الا يعلنوا امره[5]. وقيل ان امرأة مريضة شفاها يسوع اعلنت انه ابن الله، الا ان يسوع انتهرها ومنعها من الكلام، لأنها عرفت انه المسيح[6].ورغم رفض يسوع لصفة ابن الله نجده يؤكد على علاقة البنوة مع الله عندما يتحدث عن علاقته بالله قائلا: "أبي الذي في السموات"[7]؛ أو: "أبي رب السماء والارض"[8]؛ أو: "أبي السماوي"[9]؛ أو: "أبي"

---

[1]) مرقس،9: 7؛ لوقا،9: 35.

[2]) انظر: متى،4: 3، 5؛ 8: 28-29؛14: 33؛ 26: 63-64؛ 27: 40؛ 27: 43؛ 27: 51-54؛ مرقس،3: 11؛ 5: 1-7؛ 14: 61-62؛ 15: 38-39؛ لوقا،4: 3، 9، 41؛8: 26-28؛ 22: 70؛ يوحنا،1: 34، 49؛ 11: 27.

[3]) يوحنا،10: 36.

[4]) يوحنا،11: 4.

[5]) مرقس،3: 12.

[6]) لوقا،4: 41.

[7]) متى،7: 21؛ 10: 32-33؛ 12: 50؛ 16: 17؛ 18: 10؛ 18: 19.

[8]) متى،11: 25.

[9]) متى،15: 13؛ 18: 34.

فقـط[1]؛ أو: "الاب"[2]؛ أو: "الاب القـدوس"[3]؛ وتشـير بعـض الادلـة ان يســوع استخدم لقب: "ابن الواحد الحي"[4]، ولذا نجده يقول: "أبي اعطاني كل شيء، ما من احد يعرف الابن الا الاب، ولا احد يعرف الاب الا الابن، ومن شاء الابن ان يُظهره له"[5]؛ ونجد المسيح يخاطب النخلة قائلا: "كوني رفيقة لأشجاري التي هي في الجنة مع ابي"[6]؛ وفي مرة ثانية نجده يخاطب النخلة قائلا: "ان واحدا من اغصانك سوف يجري حملها من قبل واحد من ملائكتي ويزرعه في جنة ابي"[7].وعندما ذهب يسوع مع مريم ويوسف الى اورشليم من اجل عيد الفصح وكان عمره 12 عاما، جلس يسوع في هيكل الرب يحاور معلمي الشريعة فأفتقده والداه واخذا يبحثان عنه، فلما وجداه سألته امه: "يا أبني لماذا فعلت بنا هكذا؟ فأبوك وانا تعذبنا كثيرا ونحن نبحث عنك". فأجابهما: "لماذا بحثتما عني؟ اما تعرفان انه يجب ان اكون في بيت ابي؟"[8]. وعندما ذهب يسوع الى اورشليم وطرد الباعة والصيارفة من الهيكل قال لباعة الحمام: "ارفعوا هذا

---

[1]) متــى،11: 26-27؛ 20: 23؛ 25: 34؛ 26: 29، 39، 42؛ مــــرقس،14: 36؛ لوقـــا،23: 34؛ 24: 48؛ يوحنـــــا،5: 43؛ 6: 32، 40؛ 8: 19، 38، 49، 54؛ 10: 18، 25، 37؛ 11: 41؛ 12: 27-28؛ 14: 8، 26؛ 15: 8؛ 16: 1؛ انجيل توما(النسخة القبطية): 99. وحسب رؤيا توما فإن المسيح يصف الاب بصيغة: "ابي". انظر: زكار، الاناجيل،ص791، 792.

[2]) لوقـا،10: 21؛ يوحنـا،6: 40، 46، 65؛ 8: 27، 29؛ 10: 29؛ 12: 26، 49-50؛ 15: 16؛ 16: 15، 17، 25-26، 32؛ اعمال الرسل،1: 4، 7.

[3]) يوحنا،17: 11.

[4]) انجيل توما(النسخة القبطية): 37.

[5]) متى،11: 27؛ لوقا،10: 22.

[6]) انجيل متى المزيف،20: 7.

[7]) انجيل متى المزيف،21: 1.

[8]) لوقا،2: 42-49.

من هنا، ولا تجعلوا من بيت أبي بيتا للتجارة"[1]. وعندما اعترض اليهود على شفاء يسوع للمرضى يوم السبت اجابهم: "أبي يعمل في كل حين، وأنا اعمل مثله"[2]. وقبل صلبه قال يسوع لتلاميذه: "في بيت أبي منازل كثيرة...أنا ذاهب لأهيئ لكم مكانا"[3]. وان وصف يسوع لله بأبيه اغضب اليهود كثيرا لأنه عُد تجديفا على الله: "ازداد سعي اليهود الى قتله لأنه مع مخالفته الشريعة في السبت، قال ان الله ابوه، فساوى نفسه بالله"[4]، لذا عندما تم استجواب يسوع في مجلس اليهود سُئل من قبل رئيس الكهنة قيافا: ان كان هو المسيح أبن الله المبارك؟، فأجابه يسوع: ان رئيس الكهنة هو الذي قال ذلك، وحسب مرقس اعترف يسوع بذلك بقوله: "أنا هو"، واخبرهم انهم سيرون أبن الانسان جالسا عن يمين الله القدير، وآتيا مع سحاب السماء، فشق رئيس الكهنة ثيابه وقال: "أ نحتاج بعد الى شهود؟ ونحن بأنفسنا سمعنا كلامه من فمه"، ثم قال قيافا لباقي الكهنة: "سمعتم تجديفه، فما رأيكم؟"، فحكموا عليه كلهم بأنه يستوجب الموت[5]. ولهذا نجد اليهود يردون على الحاكم الروماني بيلاطس: "لنا شريعة، وهذه الشريعة تقضي عليه بالموت لأنه زعم انه أبن الله"[6]. في حين نجد المسيحيين يستخدمون صفة بأنه ابن الله بشكل اعتيادي في مدوناتهم

---

[1]) يوحنا،2: 16.

[2]) يوحنا،5: 17.

[3]) يوحنا،14: 2.

[4]) يوحنا،5: 18.

[5]) متى،26: 63-66؛مرقس،14: 61-64؛ لوقا،22: 67-71.

[6]) يوحنا،19: 7. انظر ايضا: انجيل نيقاديموس،4: 5.

لتوضيح العلاقة بين الله ويسوع[1]؛ ويرد في رسالة لينتولوس(Lentulus) المسيحية: "ظهر في هذه الايام هناك وما زال موجودا، رجل صاحب قوة كبيرة، اسمه يسوع المسيح، وهو الذي دعي من قبل الاميين باسم نبي الصدق، وهو الذي يدعوه تلاميذه باسم ابن الله"[2]؛ ويكشف نص مسيحي ان تسمية ابن الله اطلقت على يسوع حتى من قبل اعدائه، وهو امر لا يمكن تصديقه، الا في حالة السخرية طبعا، ولكن النص لا يظهر فيه أي سمات السخرية، ففي الوقت الذي اخذ فيه الجنود الرومان يسوع لصلبه، قال احدهم: "دعونا نجر ابن الله، ونسحبه، ما دمنا نمتلك الان السلطة عليه"[3].ويستخدم المسيحيون توصيفات مختلفة لتوضيح العلاقة بين الاب والابن هي: الله أبو ربنا يسوع المسيح[4]؛ أو: ابن الأب[5]؛ اب المسيح، ووالد ابنك المحبوب يسوع المسيح، ووالد مولانا يسوع المسيح[6]؛ وابن العلي الاعلى[7]؛ يسوع المسيح ابن الرب[8]؛ أو يوصف بصيغة

[1]) متى،16: 16؛ مرقس،1: 1؛يوحنا،3: 18؛ 20: 31؛ رومة،1: 3؛ كورنثوس الثانية،1: 19؛ افسس،4: 13؛ العبرانيين،3: 6؛ 4: 14؛ 10: 29. ويرد في نص يدعى عظات بطرس اشارة الى ان عبارة: "أبن الله لقب أختص به يسوع وحده". انظر: رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص21. في حين نقرأ في كتب التعارف العشرة ان المسيح هو أبن الله الوحيد. انظر: المصدر نفسه،ج1،ص21.

[2]) انظر النص في:

The Literary Digest, Issues: 38, January 5, 1901,P.19;

زكار، الاناجيل،ص639.

[3]) انجيل شمعون الصفا(بطرس)،3: 6.

[4]) كورنثوس الثانية،1، 3؛ 11: 31؛ افسس،1: 3؛ كولوسي،1: 3؛ بطرس الاولى،1: 3؛ رؤيا يوحنا،2: 18.

[5]) يوحنا الثانية: 3.

[6]) اعمال القديس بولس وتكلا: 24؛ ابدياس المزيف: 8.

[7]) اعمال القديس بولس وتكلا: 29.

[8]) اعمال القديس بولس وتكلا: 42.

الغائب، مثل: "ابنه"[1]؛و: "أبنه الحبيب"[2]؛ أو: " ابنه يسوع المسيح ربنا"[3]؛ ويستخدم القديس اقليمس(الذي عاش في اواخر القرن الاول واوائل القرن الثاني الميلاديين) مصطلح: "أبن الله الحبيب"[4]؛ أو يقال: "ابن ربنا" كما يرد في انجيل يهوذا الإسخريوطي[5].وقد ناقش بعض اللاهوتيين المسيحيين طبيعة علاقة الابوة بين الله والمسيح منهم ارتمون الذي درّس في روما عام 235م وقال بمبدأ التبني، فعد المسيح بشراً تبناه الله الأب[6].

كان الايمان بأن المسيح ابن الله هو الركن الرئيس في المسيحية: "من الذي يغلب العالم...الذي آمن بأن يسوع أبن الله"[7]. وان هذا ما كان يبشر به الرسل، بمعنى: الاقرار بأبوة الله لـ يسوع[8]،فوزير ملك الحبشة أعلن ايمانه بهذا بعد ان التقى بالرسول فيلبس: "أؤمن بأن يسوع المسيح هو أبن الله"[9]؛ وكان بولص يبشر في المجامع بأن: "يسوع هو أبن الله"[10]. ومما يجدر ذكره هنا ان احد آباء الكنيسة وهو ارسطون البلاوي الذي عاش في النصف الاول من القرن الثاني الميلادي الف مصنفا حوالي عام 140م دفاعا عن المسيحية ضد تهجمات

---

[1]) العبرانيين،1: 2.

[2]) افسس،1: 6؛ كولوسي،1: 13.

[3]) كورنثوس الاولى،1: 9.

[4]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص15.

[5]) زكار، الاناجيل،ص565.

[6]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص153.

[7]) يوحنا الاولى،5: 5.

[8]) انظر: رومة،1: 9.

[9]) اعمال الرسل،8: 37.

[10]) اعمال الرسل،9: 20.

اليهود وانتقاداتهم، وجاءت رسالته في شكل حوار بين ياسون المسيحي المتهود وبين بابيسكون اليهودي الاسكندري حول المسيح ومكانته في تاريخ اليهود. وان ارسطون في مصنفه جعل ياسون يعود الى نبوءات العهد القديم التي تشير الى المسيح المنتظر، ويبين كيف تمت جمعها بظهور يسوع المسيح، وكيف ان بابيسكون اقتنع في النهاية فاعترف ان المسيح هو أبن الله وطلب المعمودية[1]. كما اكد القديس يوستينوس الشهيد(100-165م) ان نبوءات العهد القديم تثبت ان يسوع المسيح هو أبن الله[2]. ويقال ان رجلا يدعى ليسيماخوس هداه اندراوس الى المسيحية اعترف قائلا: "حقا ان المسيح الذي يبشر به اندراوس هو ابن الرب"[3]. وربما كانت صفة أبن الانسان[4] التي أطلقت على يسوع تترادف احيانا مع صفة أبن الله، وهذا ما يمكننا ان نستنتجه فقط من رواية ذات أهمية خاصة، فعندما وصل يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه: "من هو أبن الانسان في رأي الناس"، فأجابوا: "بعضهم يقول: يوحنا

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص63-64.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص66.

[3]) خلاصة غريغوري اوف تور: 12.

[4]) انظر: متى،8: 20؛ 9: 6؛ 10: 23، 35؛ 11: 19؛ 12: 8، 32، 40؛ 13: 37، 41؛ 16: 27-28؛ 17: 9، 12، 22؛ 18: 11؛ 19: 28؛ 20: 18، 28؛ 24: 27، 30، 37، 39، 44؛ 25: 13، 31؛ 26: 2، 24، 45، 64؛ مرقس،2: 10، 28؛ 8: 31، 38؛ 9: 9، 31، 33؛ 10: 45؛ 13: 26؛ 14: 21، 62؛ 15: 39؛ لوقا،5: 24؛ 6: 5، 22؛ 7: 34؛ 9: 22، 44، 56، 58؛ 11: 30؛ 12: 8، 40؛ 17: 22، 24، 26، 30؛ 18: 8، 31؛ 19: 10؛ 21: 27، 36؛ 22: 22، 48، 69؛ 24: 7؛ يوحنا،1: 51؛ 3: 13-14؛ 5: 27؛ 6: 27، 53، 62؛ 8: 28؛ 12: 23، 34؛ 13: 31؛ اعمال الرسل،7: 56؛ العبرانيين،2: 6؛ توما: 86.

المعمدان[1]، وبعضهم يقول: ايليا، وغيرهم يقول: أرميا أو احد الانبياء". فقال لهم يسوع: "ومن انا في رأيكم انتم؟"، فأجابه سمعان بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي"[2]. وهذا النص مهم جدا يحتاج الى وقفة قصيرة، فسؤال يسوع حول من هو أبن الانسان يشير ضمنا الى نفسه، ولكن تلاميذه لم يدركوا هذا الحقيقة فنقلوا الآراء السائدة التي توزعت حول ثلاث شخصيات وهي: يوحنا المعمدان، وايليا، وأرميا، وبالتالي فهم يفهمون لقب أبن الانسان كأحد البشر باستثناء بطرس الذي وصف السيد المسيح بكونه أبن الله، وبالتالي فأن ناقل هذه الرواية يفهم بشكل واضح ان لقبي أبن الانسان وأبن الله مترادفين!!.

لكن على الرغم من تأكيد التقاليد المسيحية على أبوة الله للمسيح الا ان هذا المعتقد قد عارضه خصوم المسيحية بشدة الى درجة التناقض معه، فالعديد من المعارضين للمسيحية كانوا لا يعترفون بما دافع عنه المسيحيون، أي كون المسيح ابن الله، ففي القرن الثاني الميلادي كتب فيلسوف اغريقي اسمه سيلسيوس(Celscus) كتابا ضد المسيحية قال فيه بأن مريم ام يسوع: "غدت حاملا من قبل جندي روماني اسمه بانتيرا(Panthera)"[3]؛ وهذا الاتهام يظهر على لسان اليهود في وثيقة مسيحية عندما خاطبوا يسوع قائلين: "انك

---

[1]) ان العلاقة بين يوحنا المعمدان والمسيحية الاولى ما زالت تحتاج الى دراسة عميقة لأن لهذه الشخصية مكانة كبيرة لدى المسيحيين الاول ولنا ان نستشهد فقط في قول المسيح: "الحق اقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان". انظر: متى،11: 11. ويرد هذا القول بشكل مغاير لدى لوقا انظر: 7: 28. لكن القول هذا يورده توما بشكل اكثر وقعا: "من ادم الى يوحنا المعمدان ما من احد ولد من امرأة اعلى من يوحنا المعمدان". انظر: توما: 46.

[2]) متى،16: 13-16. انظر ايضا رواية مشابهة ترد في مرقس،8: 27-29.

[3]) زكار،الاناجيل،ص9.

ولدت من زنى"[1]؛ كما يرد ذلك الامر لاحقا في التلمود[2]. وهذا يعني من غير لبس ان خصوم المسيحية كانوا يرون من المسيح انسانا مخادعا ادعى الالوهية.

أن المسيح كما قرأنا اعلاه وحسب النصوص المسيحية كان ابنا لله، لذا اطلق عليه ايضا لقب الرب[3].ويمكن ان نلاحظ انه في الوقت الذي لم يستخدم يسوع لقب أبن الله نجده يستخدم تسمية الرب صراحة: "انا ربكم"[4]، وفي موعظة الجبل يقول: "ما كل من يقول لي: يا رب، يا رب يدخل ملكوت السموات....سيقول لي كثير من الناس يوم الحساب: يا رب، يا رب، اما باسمك نطقنا بالنبوءات؟ وباسمك طردنا الشياطين؟ وباسمك عملنا العجائب الكثيرة"[5]. وفي مرة ثانية ينتقد يسوع كل من يناديه بالرب ولا يعمل بما يقول: "كيف تدعونني: يا رب، يا رب، ولا تعملون بما اقول؟"[6]. وهو يخاطب تلاميذه قائلا: "اسهروا لأنكم لا تعرفون أي يوم يجيء ربكم"[7]. ولما اقترب يسوع وتلاميذه من اورشليم ووصلوا الى بيت فاجي وبيت عنيا ارسل يسوع اثنان من تلاميذه وقال لهما: "اذهبا الى القرية التي امامكما، وحالما تدخلانها تجدان جحشا مربوطا ما ركب عليه احد فحلا رباطه وجيئا به. وان سألكما احد: لماذا تفعلان

---

[1]) انجيل نيقاديموس،2: 3.

[2]) زكار،الاناجيل،ص9.

[3]) انظر: متى،7: 21-22؛ 24: 42؛ 25: 35-45؛ مرقس،11: 1-3؛ لوقا،1: 43، 76؛ 2: 11؛ 5: 17؛ 7: 13، 19؛ 10: 17، 39، 40، 40؛ 11: 1، 39؛ 12: 41-42؛ 13: 15؛ 17: 5، 6، 36؛ 19: 8؛ 22: 33، 38، 49، 61؛ 24: 34؛ يوحنا،6: 24؛ 11: 2؛ 20: 2، 13، 18، 20، 25، 28؛ 21: 7، 12، 15-17.

[4]) اعمال الرسول يوحنا: 96.

[5]) متى،7: 21-22؛ يعقوب،1: 1.

[6]) لوقا،6: 46.

[7]) متى،24: 42.

هذا، فقولا: الرب محتاج اليه، وسيعيده الى هنا في الحال"[1]. فضلا عن ذلك فإن يسوع يستند الى احدى نصوص العهد القديم من اجل ان يخلص ان داود قد اطلق عليه ربا، ففي حوار دار بين يسوع والفريسيين ومعلمي الشريعة نجده يقول: "كيف يقول معلمو الشريعة ان المسيح هو أبن داود؟"، وذلك عندما سألهم: "ما قولكم في المسيح؟ ابن من هو؟"، فقالوا له: "ابن داود"، فقال لهم: "اذا كيف يدعوه داود ربا"، ويستند يسوع في قوله هذا على قول ينسب الى داود: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع اعدائك موطئا لقدميك"[2].ثم يخلص الى حقيقة: "اذا كان داود يدعو المسيح ربا، فكيف يكون المسيح ابنه"[3]. وهذه الفقرة التي استند اليها يسوع من المزامير يعود بطرس ليستشهد بها ثانية ويخلص الى النتيجة ذاتها: "ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه انتم ربا ومسيحا"[4]. وبعد قيامة المسيح اطلق المسيحيون عدة مصطلحات كمرداف لاسم يسوع وهي: الرب[5]؛ وربنا[1]؛ والرب يسوع[2]؛ والرب

---

[1]) مرقس،11: 1-3؛

[2]) مزامير،110: 1.

[3]) متى،22: 41-45؛ مرقس،12: 35-37؛ لوقا،20: 41-44.

[4]) اعمال الرسل،2: 36.

[5]) اعمال الرسل،1: 6؛ 2: 47؛ 3: 19؛ 8: 24-25؛ 9: 5-6، 10-11، 15، 27، 31، 35، 42؛ 10: 48؛ 11: 16، 21، 23-24؛ 12: 17،11؛ 13: 2، 11-12، 47-49؛ 14: 3؛ 15: 35-36، 40؛ 16: 15، 32؛ 18: 8-9، 25؛ 19: 9-10، 20، 23؛ 20: 19؛ 21: 14؛ 22: 7، 10، 18-19، 21؛ 23: 11؛ 24: 22؛ 26: 15؛ رومة،12: 11، 14: 4، 8؛ 16: 2، 8، 11، 12-13، 22؛ كورنثوس الاولى،6: 13-14؛ 9: 1-2، 5؛ 11: 20، 23؛ 14: 37؛ 15: 58؛ 16: 10، 19؛ كورنثوس الثانية،2: 12؛ 3: 16-18؛ 5: 6، 8-9؛ 8: 21؛ غلاطية،5: 10؛ افسس،4: 1، 17؛ 5: 17، 22؛ 6: 1، 4، 7، 10، 21؛ فيلبي،1: 14؛ 2: 24، 29؛ 3: 1؛ 4: 1، 2، 4، 5، 10؛ كولوسي،1: 10؛ 3: 18، 20، 22-24؛ 4: 7؛ تسالونيكي الاولى،1: 6، 8؛ 3: 8، 12؛ 4: 6، 15-18؛

يسـوع المسـيح[3]؛ ورب السـلام[4]؛ والـرب الهنـا[5]؛وربنـا يسـوع أو يسـوع ربنـا[6]؛ وربنا يسوع المسيح، أو يسوع المسيح ربنا، أو المسيح يسوع ربنا[7]؛ وسيدنا وربنا الواحـد يسـوع المسيح[8]؛كما ينـادي المؤمن في صلاته يسـوع طالبا اليـه المجيء بقولـه: "مـاران اثـا أي ربنـا تعـال"[9]؛ في حـين يطلـق عليـه القـديس اغنـاطيوس: "يسوع المسيح سيدنا"[10].وعلى المستوى الفردي فالمسيحي يؤكد: "المسيح يسوع

تسـالونيكي الثانيـة،3: 1، 4-6، 16؛ تيموثـاوس الثانيـة،1: 18؛ 2: 7، 22، 24؛ 3: 11؛ 4: 17-18، 22؛ فيلمون: 20؛ العبرانيين،2: 3.

1) تيموثاوس الثانية،1: 8؛ بطرس الثانية،2: 20؛ 3: 2، 15، 18.

2) اعمال الرسل،1: 21؛ 4: 33؛ 7: 59؛ 8: 16؛ 9: 17، 28؛ 11:20؛ 16: 31؛ 19: 13، 17؛ 20: 24، 35؛ 21: 13؛ كورنثـوس الاولـى،11: 23؛ 16: 23؛ افسـس،1: 15؛ فيلبـي،2: 19؛ كولوسـي،3: 17؛ 4: 17؛ تسـالونيكي الاولـى،2: 15؛ 4: 1، 2؛ 5: 12، 27؛ تسـالونيكي الثانيـة،1: 7؛ 3: 12؛ فيلمـون: 5؛ رؤيـا يوحنا،22: 20-21.

3) اعمـال الرسـل،11: 17؛ 15: 11؛ 28: 31؛ رومـة،14: 14؛ كورنثـوس الاولـى،6: 11؛ فيلبـي،3: 20؛ تسالونيكي الثانية،2: 8؛ فيلمون: 25.

4) تسالونيكي الثانية،3: 16.

5) اعمال الرسل،2: 39.

6) اعمال الرسل،20: 21؛ رومة،16: 20؛ كورنثوس الاولى،5: 4؛ 9: 1؛ 15: 57؛ كورنثوس الثانيـة،1: 14؛ تسالونيكي الثانية،1: 12.

7) اعمال الرسل،15: 26؛ رومة،1: 4؛ 7: 25؛ 15: 6، 30؛ 16: 18، 24؛ كورنثوس الاولى،1: 2، 9-10؛ 7-8؛ 15: 31؛ كورنثـوس الثانيـة،8: 8؛ 13: 13؛ غلاطيـة،6: 14، 18؛ افسـس،3: 11؛ 6: 24؛ تسـالونيكي الاولى،2: 19؛ 5: 23، 28؛ تسالونيكي الثانيـة،2: 1، 14؛ تيموثـاوس الاولى،1: 12؛ يعقـوب،2: 1؛ بطـرس الثانية،1: 8، 14، 16؛ يهوذا: 17، 21، 25.

8) يهوذا: 4.

9) كورنثوس الاولى،16: 22.

10) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص26.

ربي"[1].كما ان مصطلحات اخرى غامضة ترد في الادبيات المسيحية المبكرة على الارجح انها كانت تصف المسيح وليس الله، مثل: روح الرب[2]؛ وملاك الرب[3]. في حين كان يطلق على الرسل اتباع يسوع مصطلح: تلاميذ الرب[4]؛ أو رسل المسيح[5]؛ ويطلق على المسيحيين المؤمنين مصطلح: "أحباء الرب"[6]؛ أو: "عبيد يسوع المسيح"[7]؛ أو عبيد الرب[8]؛ في حين يطلق الشخص المؤمن بالمسيح على

---

[1]) فيلبي،3: 8؛ تيموثاوس الاولى،6: 3، 14.

[2]) اعمال الرسل،5: 9. يقدم بولس شرحا مفصلا لمفهوم روح الرب الذي هو بالنسبة له المسيح لا غير: "فالرب هو الروح، وحيث يكون روح الرب، تكون الحرية. ونحن جميعا نعكس صورة مجد الرب بوجوه مكشوفة، فنتحول الى تلك الصورة ذاتها، وهي تزداد مجدا على مجد، بفضل الرب الذي هو روح". انظر: كورنثوس الثانية،3: 17-18. وهناك ايضا مصطلح روح يسوع وربما كان مرادفا لمصطلح روح الرب. ولروح يسوع قدرة على توجيه البشر فعندما ذهب بولس ومرافقوه الى ميسية منعهم روح يسوع من دخول بثينية: "فلما أقتربوا من ميسية حاولوا ان يدخلوا بثينية فما سمح لهم روح يسوع". انظر: اعمال الرسل،16: 7. وعادة ما تظهر هذه الروح وهي تقدم العون للمؤمنين فـ بولس يقول: "لأني أعرف انه يعمل(أي التبشير) على خلاصي بفضل صلواتكم ومعونة روح يسوع المسيح". انظر: فيلبي،1: 19.

[3]) ان مصطلح ملاك الرب في العهد القديم يخص الله، في حين يبدو ان هذا المصطلح قد اصبح يخص المسيح في نصوص العهد الجديد. انظر: اعمال الرسل،5: 19؛ 8: 26؛ 12: 7، 23. وربما كان مصطلح ملاك الرب مردافا لمصطلح روح الرب. انظر: اعمال الرسل،8: 39.

[4]) اعمال الرسل،9: 1.

[5]) تسالونيكي الاولى،2: 7. ويطلق بولس على نفسه في افتتاح رسائله لقب رسول المسيح أو رسول يسوع. انظر: رومة،1: 1؛ كورنثوس الاولى،1: 1؛ 9: 1؛ كورنثوس الثانية،1: 1؛ غلاطية،1: 1؛ افسس،1: 1؛ كولوسي،1: 1؛ تيموثاوس الاولى،1: 1؛ 2: 7؛ تيموثاوس الثانية،1: 1؛ تيموثاوس الثانية،1: 11؛ تيطس،1: 1. كذلك فعل بطرس الذي يصف نفسه رسول المسيح. انظر: بطرس الاولى،1: 1؛ بطرس الثانية،1: 1.

[6]) تسالونيكي الثانية،2: 13.

[7]) مجموعة برلين، 4/8502.

[8]) اعمال الرسول يوحنا: 60.

نفسه صفة: عبد المسيح يسوع[1]؛ ويصف يعقوب اخ المسيح نفسه: "عبد الله، والرب يسوع المسيح"[2]؛ كما يصف يهوذا وهو اخو يسوع ايضا نفسه: "عبد يسوع المسيح"[3]؛ ويوصف يوحنا الحبيب بعبد المسيح[4]؛وعندما سأل الملك الهندي ميسدايوس القديس توما ان كان عبدا ام حر اجاب الاخير قائلا: "انا رجل عبد لواحد فقط"[5]، ويقصد به يسوع؛ كما توصف المسيحية المؤمنة بكونها امة الرب[6]. ونظرا لألوهية السيد المسيح فإنه قد وصف بالملك ويقصد بذلك اللقب ليس الملك الارضي الحاكم بل السماوي في يوم الدينونة عندما يحاسب البشر الصالحين منهم والاشرار: "يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي هيأه لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين عن شماله: ابتعدوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المهيأة لإبليس واعوانه..."[7]. لذا عندما دخل يسوع الى اورشليم اخذ جماعة التلاميذ يسبحون بأعلى صوتهم قائلين: "تبارك الملك الاتي باسم الرب، السلام في السماء والمجد في العلى"[8]. ويوحنا يقدم تصورا اكثر دقة حول ملوكية يسوع اثناء استقبال اهل اورشليم للمسيح: "المجد لله، تبارك الآتي باسم الرب، تبارك ملك اسرائيل"[9]؛ ويصف

---

[1]) رومة،1: 1؛ كولوسي،4: 12؛ بطرس الثانية،1: 1.

[2]) يعقوب،1: 1.

[3]) يهوذا: 1.

[4]) اعمال الرسول يوحنا: 82.

[5]) اعمال القديس توما: 163.

[6]) اعمال القديس بولس وتكلا: 37، 38؛ اعمال الرسول يوحنا: 82.

[7]) متى،25: 34-41.

[8]) لوقا،19: 37-38.

[9]) يوحنا،12: 13.

القديس توما المسيح بالملك[1]، والملك الابدي، والملك الحي[2]؛ ويوصف من كاتب مسيحي اخر بأنه: "الملك العظيم"[3].ولقب الملك الذي اطلقته الادبيات المسيحية يختلف جوهريا عن لقب ملك اليهود/ملك اسرائيل الذي كان يطلق عليه من قبل الاخرين من اليهود والرومان ويقصدون به الملك الارضي[4].ومن الجدير بالذكر ان المسيحيين برهنوا بشكل عملي على ملوكية المسيح ويتضح ذلك ما تضمنته قاعة العرش البيزنطي في القسطنطينية التي كانت تحتوي على عرشين: واحد للإمبراطور، وآخر للمسيح توضع عليه نسخة من الاناجيل[5]. ويوصف المسيح ايضا بالراعي ، وهي صفة مرتبطة بالملوك والهة الخصب على حد سواء في الشرق القديم[6]، فإله الخصب دوموزي(Dumuzi) يوصف بأنه: "الراعي"،و: "مربي النعاج"[7]، ومن الجدير بالذكر هناك ارتباط وثيق بين لقبي الملك والراعي في الشرق القديم فـ دوموزي كما يوصف بالراعي، فإنه يوصف بالملك[8]. لذا

[1]) اعمال القديس توما: 136.

[2]) اعمال القديس توما: 139.

[3]) انجيل جيمس،20: 4.

[4]) متى،2: 2؛ 27: 11، 29، 37؛ مرقس،15: 2، 9-12؛ لوقا،23: 3، 38؛ يوحنا،18: 33-37، 39؛ 19: 3، 12-15، 19، 21؛ انجيل جيمس،21: 1، 2؛ انجيل شمعون الصفا(بطرس)،3: 7؛ 4: 11؛ انجيل نيقاديموس،3: 2. وان ادعاء المسيح بأنه ملك كان بنظر اليهود سببا يستوجب الموت. انظر: انجيل نيقاديموس،4: 5.

[5]) زكار،الاناجيل،ص84.

[6]) حول استخدام الملوك للقب الراعي انظر: هيفاء احمد عبد الحاج محمد، القاب حكام وملوك العراق القديم،(رسالة ماجستير غير منشورة في الآثار القديمة، كلية الآداب، جامعة الموصل،2007)،ص190-196.

[7]) الشواف، ديوان الاساطير،ج4،ص93، 96، 112.

[8]) الشواف، ديوان الاساطير،ج4،ص111.

نجد يسوع يقول: "انا الراعي الصالح، والراعي الصالح يضحي بحياته في سبيل الخراف"[1]؛ ولأنه راع فإنه يعرف خرافه ويضحي في سبيلها: "أنا الراعي الصالح، أعرف خرافي، وخرافي تعرفني، مثلما يعرفني الاب، واعرف انا الاب، وأضحي بحياتي في سبيل خرافي"[2]. والمسيح ليس راعٍ لأتباعه فقط بل لكل البشرية: "لي خراف اخرى من غير هذه الحظيرة، فيجب علي أن اقودها هي أيضا. ستسمع صوتي، فتكون الرعية واحدة، والراعي واحد"[3]. والقديسين عادة ما يصفون المسيح بالراعي، فـ توما يقول عن المسيح انه: "الراعي الصالح حقا"[4]، وكاتب اخر يصف المسيح براعٍ عظيم: "إله السلام الذي اقام من بين الاموات، بدم العهد الابدي، راعي الخراف العظيم ربنا يسوع"[5]؛ وبهذا الوصف يقترب المسيح كثيراً من الآلهة الشرقية، فإحدى القاب الإله آنو في بلاد الرافدين اوتولگاللو(utulgallu) أي عظيم الرعاة[6]. والمسيح عند بطرس راعي الرعاة: "متى ظهر راعي الرعاة تنالون اكليلا من المجد لا يذبل"[7]؛ كما يطلق عليه ايضا: "الراعي الجيد لبني اسرائيل"[8].ومثلما كان المسيح راعٍ كان المسيحيين خرافا

---

[1]) يوحنا،10: 11.

[2]) يوحنا،10: 14-14.

[3]) مرقس،15: 12.

[4]) اعمال القديس توما: 25.

[5]) العبرانيين،13: 20.

[6]) CDA,P.480;

علي ياسين الجبوري، قاموس اللغة الاكدية-العربية،(ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث،2009)،ص708.

[7]) بطرس الاولى،5: 4.

[8]) انجيل الطفولة العربي،40: 5.

ضالة عادوا الى راعيهم: "كنتم خرافا ضالة فاهتديتم الان الى راعي نفوسكم وحارسها"[1]. والملك الهندي غوندافوروس واخيه جاد يطلبان من القديس توما ان يعطيهما ختم المسيح، لأن الاخير لا يميز اتباعه الشياه الا به: "اعطنا الختم، لأننا سمعناك تقول بأن الرب الذي تدعو اليه يعرف شياهه من خلال ختمه"[2]؛ وتوما يصلي للمسيح حتى يصبح هو والمسيحيين الذين هداهم قطيعا له: "نحن نصلي لأن نصبح اعضاء في قطيعك وان نعد من شياهك"[3]؛ والقائد سيفور يطلب من توما ان يمنحه هو وعائلته ختم المسيح من اجل ان يتمكنوا من ان يصبحوا عبيدا للرب الحقيقي: "ولكي نعد بين شياهه وحملانه"[4]؛ ويصلي توما ويدعو المسيح قائلا: "جمعت كل الذين التجأوا اليك، واعددت الطريق، وعلى خطاك يسير جميع من انقذتهم، والذين جلبتهم الى قطيعك ووحدتهم مع شياهك"[5]. وان وصف الناس بالماشية تقليد شرقي قديم يظهر في الادبيات بشكل واضح، ففي مرثية اور مثلا نقرأ:

"يا مدينتي، مثل نعجة امينة ثم تمزيقك مع حملانك

يا أور يا ماعز امينة تمت ابادتك مع جديانك"[6].

ويمكن لنا ان نتساءل مرة أخرى: كيف تظهر ألوهية المسيح في الادبيات المسيحية؟.

---

[1]) بطرس الاولى،2: 25.

[2]) اعمال القديس توما: 26.

[3]) اعمال القديس توما: 59.

[4]) اعمال القديس توما: 131.

[5]) اعمال القديس توما: 156.

[6]) قاسم الشواف، ديوان الاساطير: سومر واكد واشور،(بيروت: دار الساقي،1997)،ج2،ص393.

تظهر ألوهية المسيح في عدد كبير من النصوص المسيحية فهو: "بهاء مجد الله وصورة جوهره"[1]، وهذا يعني انه ليس من هذا العالم مثل البشر بل من السماء: "انتم من أسفل، أما انا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، وما أنا من هذا العالم"[2]؛ اذ خرج من الله واليه يعود لاحقا: "خرجت من عند الله، نعم خرجت من عند الاب، وجئت الى العالم، وأذهب الى الاب"[3]؛ أي من ارض الاب الكاملة في الاعالي[4]؛ لذا فالمسيح يقول لليهود: "لقد جئت من الاعلى..."[5].وعندما سألته سالومي من اين قدم اجاب: "انا قدمت من الواحد الذي لا يتغير"[6]. ويرد في انجيل يهوذا الإسخريوطي قول منسوب اليه انه قال للمسيح: "انا اعرف من انت، ومن اين قدمت، انك من المملكة السرمدية لـ باربيلو(Barbelo)(هي الام الالهية للجميع)، وانا لست جديرا ان اتفوه باسم الواحد الذي ارسلك"[7]، وهذا النص يكشف عن افكار غنوصية واضحة؛ والمسيح ارسل من قبل الاب الى البشر: "انا ارسل اليكم بمثابة الكلمة بوساطة الاب"[8].

ان المسيح هو القوة الفعالة التي أوجدت العالم، فـ بولس الذي يمجد يسوع يقول:

---

[1]) العبرانيين،1: 3.

[2]) يوحنا،8: 23.

[3]) يوحنا،16: 27-28.

[4]) اعمال القديس توما: 156.

[5]) انجيل الطفولة لتوما،8: 1.

[6]) انجيل توما(النسخة القبطية): 61.

[7]) زكار، الاناجيل،ص566.

[8]) اعمال الرسول يوحنا: 96.

"هو صورة الله الذي لا يُرى

وبكر الخلائق كلها

به خلق الله كل شيء

في السموات وفي الارض

ما يُرى وما لا يُرى

به وله خلق الله كل شيء

كان قبل كل شيء

وفيه يتكون كل شيء"[1].

ان بولس يقدم لنا مفاهيم جديدة حول الوهية يسوع: فهو لم يكتف بالقول انه صورة الله، وهي مسألة سيركز عليها اكثر من مرة، كما لم يكتف بجعل يسوع اول الخلائق، لكنه قدم لنا يسوع: القوة الفعالة التي خلق الله منها العالم، فبه خلق الله كل شيء في السموات والارض، او كما يقول كاتب مسيحي اخر: "به خلق(الله) العالم"[2]، ولأنه القوة الفعالة التي نُفذ من خلالها فعل الخُلق، فهو قبل كل شيء، وفيه يتكون كل شيء. وكان اغلب اللاهوتيين الكبار ومنهم: يوستينوس، وثيوفيلوس، وايريناوس، ونواتيانوس، وهيبوليتوس، قد اكدوا بأن الكلمة كان دائما مع الاب، ولكنه أُرسل لخلق العالم[3]؛ومليتون البتول يقول ان المسيح هو: "الذي أشرق النور، وأضاء النهار، وأبعد الظلمة، وأعلن بدء الخليقة، وعلق الارض في مكانها، وجفف الغمر، وبسط

---

1) كولوسي،1: 15-17.

2) العبرانيين،1: 2.

3) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص170.

السموات"[1]؛لذا يقال: "الذي بكلمته تأسست السموات"[2]. ويوحد اوغسطين بين الحكمة والكلمة، فالحكمة عنده ابدية أي انها المبدأ الذي أستُخرج منه كل شيء، وهي بذلك متوحدة مع الكلمة أو انها هي الكلمة[3].ويبدو ان توما يؤكد ان المسيح نظم العالم من العماء الاولي عندما نجده يتحدث قائلا: "انت يا من ربطت هذه الطبيعة ووحدتها في مكان واحد، وارسلتها الى بلاد مختلفة، ويا من جلبت النظام من الفوضى"[4]. وكاتب مسيحي ثانٍ يؤكد فعل الخلق بقوله: "اكملت عمل الاب وانجزته"[5]. ويروي كاتب مسيحي قصة تؤكد قدرة المسيح على الخلق، التي تقول: عندما كان الطفل يسوع في الخامسة من عمره عمل عجينة طين ناعمة صاغ منها اثني عشر عصفورا، وكان ذلك في نهار السبت. وعندما شاهد احد اليهود ذلك ذهب على الفور واخبر اباه يوسف قائلا: "اعلم ان ابنك عند الجدول، وقد اخذ طينا، وصاغ منه اثني عشر طيرا، وقد دنس السبت"؛ وعندما وصل يوسف الى المكان ونظر صرخ قائلا: "لماذا تفعل في السبت الاشياء التي لا يجوز شرعا ان تفعلها؟"، لكن يسوع بدلا من ان يجيب صفق بيديه، وصرخ الى العصافير قائلا: "اذهبوا"، فقامت العصافير، وذهبت بعيدا وهي فرحة"[6].

---

[1]) المصدر نفسه،ج1،ص87.

[2]) ابدياس المزيف: 8.

[3]) زيعور،اوغسطينوس،ص217.

[4]) اعمال القديس توما: 141.

[5]) اسئلة بارثلميو: 9.

[6]) انجيل الطفولة لتوما،2: 1-4.

إن المسيح بصفته اله فهو كائن منذ الازل، لذا عندما استغرب اليهود من قول يسوع بأنه التقى ابراهيم قال لهم: "قبل ان يكون ابراهيم انا كائن"[1]؛ وأحد المعلمين اليهود ويدعى زكريا قال ليوسف متكلما عن المسيح: "لربما قد ولد قبل خلق الدنيا"[2]؛ ولذلك يقال عنه: " الذي كان مولودا قبل الكل، ولد مجددا. هو الذي كان مرة ممسوحا مُسح مجددا"[3]؛ ونقرأ في رسالة برنابا ان المسيح: "مولود من الأب قبل الدهور، وهو الذي خاطبه الاب عندما قال: لنصنع الانسان على صورتنا كشبهنا[4]، ولو لم يصر انسانا لما تمكنا من مشاهدته لأجل خلاصنا"[5]. ومليتون البتول يؤكد ان المسيح مولود قبل الدهور: "هذا هو بكر الله المولود قبل نجمة الصباح"[6].ويذكر ديونيسيوس الاسكندري(الملقب بالكبير) الذي تولى ادارة مدرسة الاسكندرية واسقفيتها في منتصف القرن الثالث الميلادي(248-265م) انه لم يكن هناك زمن لم يكن الله فيه أباً، وبالتالي فإنه لم يكن هناك زمن لم يكن فيه الأبن ابناً، لأن الابن لم يوجد من تلقاء نفسه، بل من الاب. وبما إن الابن هو لمعان النور الابدي، فإنه ابدي كالنور نفسه؛ وبما إن النور كان ابديا، ولا يزال، فإن وجوده معروف

---

[1]) يوحنا،8: 58.

[2]) انجيل الطفولة لتوما،7: 2.

[3]) انجيل فيلبس،67: 2-3.

[4]) انظر: تكوين،1: 26.

[5]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص37.

[6]) المصدر نفسه،ج1،ص87.

بإشراقه، ويستحيل وجود نور لا يشرق؛ وبما ان الاب ابدي، فإن الابن ابدي ايضا، فهما نور من نور[1].

حسب النصوص المسيحية يظهر الأب والابن متمازجان: "ان الاب فيّ، وانا في الأب"[2]؛ والمسيح يخاطب يوحنا قائلا: "اعلم انني كليا مع الاب، والاب معي"[3]؛ فهما واحد[4]؛ ويقول ايرينايوس: "إن الله عُرف بالأبن الذي هو في الأب، والأب فيه"، وهذا يعني الوجود المتبادل بين الاقانيم أي بيريخوريسيس(Perichoresis)[5]. وبالتالي كل فعل موجه الى الابن هو موجه في الوقت ذاته الى الاب، فمن قبّل الابن كأنه قبّل الاب[6]؛كما ان رؤية الابن كفيلة برؤية الاب[7]؛وإن من أحب الابن فإن الاب يحبه[8]؛ والعكس كذلك هو صحيح: "من أحب الوالد أحب المولود منه"[9].ومن أعترف بالأبن يثبت الله فيه: "من اعترف بأن يسوع أبن الله ثبت الله فيه، وثبت هو في الله"[10].ومن ابغض الابن فإنه يبغض الاب[11]؛ ومن أنكر الابن فلا يكون له الاب، ومن أعترف بالأبن يكون

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص136.

[2]) يوحنا،10: 38، 14: 10-11، 20؛ 17: 21.

[3]) اعمال الرسول يوحنا: 100.

[4]) يوحنا،10: 30؛ 17: 11، 22.

[5]) رستم، آباء الكنيسة، ج1، ص99.

[6]) متى،10: 40؛ 18: 5؛ مرقس،9: 37؛ لوقا،9: 48؛ يوحنا،13: 20.

[7]) يوحنا،14: 9.

[8]) يوحنا،14: 21، 23؛ 16: 27.

[9]) يوحنا الاولى،5: 1.

[10]) يوحنا الاولى،4: 15.

[11]) يوحنا،15: 23.

له الأب[1]. ومن تطاول على تعليم المسيح فلا يكون الله له، ومن ثبت على تعليم المسيح فله الأب والأبن معا[2].ولا يمكن لأحد ان يعرف الأب الا عن طريق الابن[3]؛وان تمجيد الابن يمثل تمجيداً للأب[4]؛ واي انسان طلب شيء من الاب باسم الابن سيناله[5]. وان كل شيء يمتلكه الابن هو ملك للاب ايضا والعكس صحيح: "كل ما هو لي هو لك، كل ما هو لك فهو لي"[6]. والمسيح بعد صلبه لا يموت بل ينتقل من هذا العالم الى جوار الاب كما في البدء عندما جاء من الأب[7]، فبعد قيامته من بين الاموات رفعه الله بيمينه الى السماء[8]، ثم جلس هناك على يمين الله[9]: "لما طهرنا(المسيح) من خطايانا جلس عن يمين اله المجد في العلى"[10]؛ و: "جلس على يمين عرش الجلال في السموات"[11]؛ لذا يقال عنه: "الذي هو في السماء"[12]؛ واستيفانوس قبل قتله نظر الى السماء فرأى مجد الله ويسوع واقفا عن يمين الله[13]؛ ونجد ميلتون البتول في مصنفه: عظة في الآم

---

[1]) يوحنا الاولى،2: 23.

[2]) يوحنا الثانية: 9.

[3]) يوحنا،14: 6-7.

[4]) يوحنا،5: 23؛ 14: 13.

[5]) يوحنا،16: 23.

[6]) يوحنا،17: 10.

[7]) يوحنا،13: 1؛ 14: 28؛ 16: 5، 10؛ 17: 11، 13؛ 20: 17.

[8]) اعمال الرسل،2: 33؛ 5: 31.

[9]) مرقس،16: 19؛ لوقا،22: 69؛ رؤيا بولس: 29.

[10]) العبرانيين،1: 3.

[11]) العبرانيين،8: 1.

[12]) اعمال القديس بولس وتكلا: 29، 43.

[13]) اعمال الرسل،7: 55-56.

السيد، يقول: "هذا هو الذي صار جسدا في عذراء، الذي لم تُكسر عظامه على العود، ولم يتحول الى تراب في قبر، والذي قام من الموت، فرفع الانسان من القبر السفلي الى سمو السموات"[1]؛ وصعود المسيح للسماء سيصير دليلا لصعود الرسل الى هناك: "المجد والحمد لصعودك الى السماء لأنك بوساطتها اريتنا الطريق الى الاعلى"[2].والمسيح بعد ان جلس على يمين الله فإنه: "تخضع له الملائكة والقوات واصحاب السلطان"[3]. كما إن المسيح الجالس على يمين الله يشفع للبشر[4]؛ وسيجيئ ثانية الى الارض، وبولس الذي يمدح ايمان مسيحي تسالونيكي يقول لهم بأنهم: "منتظرين مجيء ابنه من السماوات"[5]. ولكن المسيح بعد ان ذهب للسماء ترك الروح القدس أي الاقنوم الثالث وهو يدافع عن المؤمنين ويرشدهم ويساعدهم[6].

ان يسوع هو الرب الوحيد في العالم[7]؛ وهو سيد السبت[8]، مثل الله في العهد القديم؛ وهو سيد هذا العالم[9]؛ ورب العصور[10]؛ ومولى/رب السماء

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص86.

[2]) اعمال القديس توما: 80.

[3]) بطرس الاولى،3: 22.

[4]) رومة،8: 34.

[5]) تسالونيكي الاولى،1: 10.

[6]) زيعور،اوغسطينوس،ص31.

[7]) اعمال الرسول يوحنا: 79.

[8]) متى،12: 8؛ مرقس،2: 28؛ لوقا،6: 5.

[9]) يوحنا،16: 11.

[10]) اعمال الرسول يوحنا: 82.

والارض[1]؛ ورب العالمين[2]؛ والمولى القدير[3]؛ والذي جميع الاشياء والقوى خاضعة له، وجميع المخلوقات تخدمه، وكل القوى تطيعه[4]؛ وهو لا يحتاج الى شيء[5]؛وابو الاعالي، ورب الطبيعة وقاضيها، واصبح الاعلى من العظمة[6]؛ ذو الوجه المتعدد الاشكال[7]؛ورب الصدق والحقيقة[1]؛ ويسوع كإله فهو الواحد[2]،

---

[1]) اعمال القديس توما: 163؛ انقاذ ڤينديكتا: 34.

[2]) اعمال الرسل،10: 36.

[3]) انقاذ ڤينديكتا: 35.

[4]) ابدياس المزيف: 8؛ اعمال الرسول يوحنا: 79.

[5]) اعمال القديس بولس وتكلا: 17

[6]) اعمال القديس توما: 143.

[7]) اعمال القديس توما: 153؛ اعمال الرسول يوحنا: 82. ومن الجدير بالذكر يتحدث نص مسيحي عن اشكال المسيح المتعددة، فذات مرة ظهر بشكل طفل؛ ومرة اخرى ظهر بشكل رجل اشقر وسيم، وصاحب ملامح مشرقة؛ ومرة ثالثة ظهر بشكل رجل: "اصلع الرأس لكن مع لحية منسابة؛ وفي مرة رابعة ظهر بمثابة: "شاب بدأت لحيته بالظهور للتو"؛ وظهر في بعض الاحيان: "بمثابة رجل صغير غير جذاب"؛ ومن ثم مرة اخرى كان بمثابة: "واحد وصل الى السماء"؛ كما يظهر في بعض الاوقات ليس مثل الانسان على الاطلاق، فقد كانت قدماه اكثر بياضا من الثلج، ووصل رأسه الى السماء؛ واحيانا كان الشخص الذي يلمسه يجد جسدا ماديا قويا؛ واحيانا يظهر بشكل غير مادي ومن دون جسد: "وكأنه لم يكن موجودا على الاطلاق". انظر: اعمال الرسول يوحنا: 88-93. ويذكرنا وصف المسيح بأنه يشبه رجل وصل الى السماء بوصف الالهة الشرقية القديمة، كما هو الحال على سبيل المثال وصف گوديا(Gudea) للإله نينگرسو(Ningirsu): "رأيت في حلمي رجلا كبر السماء و الارض". انظر: يحيى، الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم،ص162. ويقال عن الإله نينورتا(Ninurta): "واقفاً لامس نينورتا السماء". انظر: قاسم الشواف، ديوان الاساطير: سومر واكد واشور،(بيروت:دار الساقي،1999)،ج3،ص60. والإله اينينين(Ininn) يقال عنها: "يا ملكتي عندما تتمطين كما تتمطى السماء؛ وعندما تتسعين عرضاً كالأرض". انظر: الشواف،ج3،ص245-246. وتصف الربة اينانا(Inanna) ذاتها بقولها: "لئن رفعت يدي فإنها تمس السماء....وخطوة واحدة من خطواتي الواسعة تغطي كامل الارض". انظر: الشواف، ديوان

والواحـد الحي[3]؛ والقـديس انـدراوس يقـول ان بعـد موتـه سيصـبح متحـدا: "بالواحد الذي جاء الى الوجود من اجل الجميع، والموجود من بعد الجميع"[4]؛ والمسـيح هـو الـرب الحي[5]؛ وهـو الاول والاخـر[6]؛والكامـل[7]؛الـذي لا ينـام[8]؛ والـرحيم، والهـادئ[9]؛وهـو من: "يحفـظ الكـون بقـوة كلمتـه"[10]؛ والله يجمـع فيـه: "كل شيء في السموات، وفي الارض"[11]، وهـذه المسألة اوضحها الرسـول بطرس بالشكل التالي: "انت الجميع، والجميع فيك، انت كينونة، وليس هناك شيء الا انت"[12].كما ناقش ايرينايوس هذه الفكرة عندما أكد ان هناك: "إلـه واحـد هـو الأب، ومسيح واحد هو سيدنا أتي بمشيئة كلية ليعيد جميع الامور بنفسه. وبما إن جميـع الامـور تشـمل الانسـان الـذي خلقـه الله، فـإن المسـيح أعـاد الانسـان

الاسـاطير،ج3،ص278-279. وبيتـو(Pêtû) بـواب العـالم الاسـفل بصـف ايناننـا بقوله:"عاليـة كالسـماء، و[ممتلئة] كالارض". انظر: الشواف،ديوان الاساطير،ج4،ص63.

[1]) اعمال القديس توما: 25؛ اعمال الرسول يوحنا: 82.

[2]) يوحنـا،5: 44؛ رومـة،5: 15، 17، 19؛ كورنثـوس الاولى،10: 17؛ اعمـال انـدراوس: 62؛ وهنـاك ذكـر للواحد لدى توما ربما كان يقصد به المسيح. انظر: اعمال القديس توما: 95.

[3]) انجيل توما(النسخة القبطية): 52؛ اعمال القديس توما: 169.

[4]) اعمال اندراوس: 61.

[5]) انجيل جيمس،20: 1؛ اعمال القديس بولس وتكلا: 17، 37.

[6]) رؤيا يوحنا،1: 17؛ 2: 8.

[7]) انجيل متى المزيف،18: 8.

[8]) اعمال القديس توما: 60.

[9]) اعمال القديس توما: 80.

[10]) العبرانيين،1: 3.

[11]) افسس،1: 10.

[12]) اعمال الرسول شمعون الصفا(بطرس): 39.

ايضا في نفسه، فصار غير المنظور منظوراً، والذي لا يُدرك معلوماً، والذي لا يتأثر متأثراً، وصار الكلمة انسانا معيدا كل شيء في نفسه. وكما انه الاول في الامور السماوية الروحية غير المنظورة، فإنه الاول ايضا في الامور المنظورة المتجسدة، يتخذ الاولية لنفسه، ويجعل نفسه رأس الكنيسة ليجمع الكل في نفسه في الوقت المحدد"[1]. ولأن الله يجمع في المسيح كل شيء نجده قد توحد مع العالم وهو موجود في كل مكان: "انا الجميع، والجميع صدروا عني، والجميع قد دخلوا فيّ، شقوا الخشب، فأنا هناك، اقلبوا الحجر فهناك سوف تجدونني"[2]، والقديس توما يدعو المسيح قائلا: "انت في الجميع، وتأتي خلال الجميع، وموجود في جميع اعمالك، وجعلت ذاتك متجلية خلال اعمالهم جميعا"[3]. كما انه رب الاحياء والاموات[4]؛ ملك الملوك[5]، أو ملك ملوك الارض[6]، ورب الارباب[7]؛وسيد الاسياد والعبيد[8]؛ فهو سيد الاسياد الذي في السماء[9]؛ وهو من يكافئ العبيد المخلصين بأن يمنحهم ميراثه أي ملكوته[10].

---

1) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص100.

2) انجيل توما(النسخة القبطية): 77. انظر صيغة مشابهة لقول يسوع في انجيل توما(النسخة الاغريقية): 12.

3) اعمال القديس توما: 10.

4) رومة،14: 9.

5) تيموثاوس الاولى،6: 15؛ رؤيا يوحنا،17: 14؛ 19 :16؛ اعمال القديس توما: 170.

6) رؤيا يوحنا،1: 5.

7) تيموثاوس،6: 15؛ رؤيا يوحنا،17: 14؛ 19: 16؛ اعمال القديس توما: 170.

8) افسس،6: 9.

9) كولوسي،4: 1.

10) كولوسي،3: 24.

والمسيح الرفيق، والصديق للبشر[1]، لذا نجد احد المسيحيين المؤمنين ويدعى ستراتوكليس يقول: "لعل يسوع ان يكون صديقي، وان اكون صديقه"[2]. والمسيح سند المعذبين، وامل الفقراء والضعفاء، وثقة المساكين، ومأوى المنهكين، ومحرر الاسرى، والمواسي المقيم بين البشر، والذي اشبع المخلوقات بثروته، والملاذ للذين يسافرون خلال البلدان المظلمة، ومنقذ كل مخلوق[3]؛ والمسيح هو الحامي يشابه بذلك الالهة الحامية في الشرق القديم، لذا نجد يوسف النجار يخاطبه في صلاته قائلا: "يسوع يا حاميّ"[4]؛ وهو من يفيض بنعمته على البشر: "ففاضت علينا نعمة ربنا"[5]، لذا نجد كاتب مسيحي يقول عن ثقة: "فلنتقدم بثقة الى عرش واهب النعمة لننال رحمة ونجد نعمة تعيننا عند الحاجة"[6]؛ وبارثلميو يقول: "الذي اعطى الى الذين يحبونك النعمة التي تُجّمل الجميع"[7]. ويظهر ان النعمة التي ستفيض على المسيحي تجعل منه يمتلك القوة الالهية داخله، لذا يقول اندراوس: "انا امتلك الواحد(المسيح) الذي سوف اكون دوما معه، انا امتلك الواحد الذي سوف اظل مقارنا به لأجيال لا تحصى"[8].

[1]) اعمال القديس توما: 156.

[2]) اعمال اندراوس: 64.

[3]) اعمال القديس توما: 10، 156.

[4]) قصة يوسف النجار،17: 6.

[5]) تيموثاوس الاولى،1: 14.

[6]) العبرانيين،4: 16.

[7]) اسئلة بارثلميو: 9.

[8]) اعمال اندراوس: 62.

ان المسيح هو القوة التي لا تقهر التي هزمت العدو، والصوت الذي سُمع من قبل الحكام، والذي هزم جميع قواهم[1]، ولأنه القوة المطلقة في العالم فقد منح المؤمنين به القوة: "أحمد المسيح يسوع ربنا الذي قواني"[2]؛ و: "الرب وقف معي وقواني"[3]؛ وتوما يقدم شكره ليسوع قائلا: "الحمد لك يا من اعطيتنا: شجاعة، وقوة، وبهجة، وراحة، وساعدتنا في جميع المخاطر، وقويت ضعفنا"[4]. كما انه رب الانتقام، وهو رب غيور[5]، أي هو ذاته اله العهد القديم الذي يحمل الصفة نفسها[6]. والمسيح هو الذي يعرف كل شيء، وليس هناك شيء مخفي عنه[7]؛أي انه وحده الذي يعرف جميع الاشياء"[8]؛ لأنه وحده الحكيم، والكلمة الحكيمة[9]، فهو سر الله الذي: "تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة"[10]؛ لذا يصفه توما: "ايها السر الخفي الذي كشف لنا، انت الذي جعلت كثيرا من الاسرار معروفة لدينا"[11]، ولأنه كذلك فهو النور الذي يشع

---

[1]) اعمال القديس توما: 10.

[2]) تيموثاوس الاولى،1: 12.

[3]) تيموثاوس الثانية،4: 17.

[4]) اعمال القديس توما: 153.

[5]) اعمال القديس بولس وتكلا: 17.

[6]) يقال عن يهوه/جاهوفة عادة في العهد القديم بأنه اله غيور. انظر: خروج،20: 5؛ 34: 14؛ تثنية،4: 24؛ 5: 15؛ يشوع،24: 19؛ ناحوم،1: 2.

[7]) يوحنا،16: 30؛ انجيل الطفولة العربي،40: 6.

[8]) اعمال القديس توما: 25.

[9]) اعمال القديس توما: 80.

[10]) كولوسي،2: 2-3.

[11]) اعمال القديس توما: 47.

على العالم: "انا النور الذي يشع على كل واحد"[1]؛ وهو ايضا: "النور المخبأ في الذهن"[2]؛ لذا يصفه بارثلميو بأنه: "صانع النور الابدي....اعطيتنا النور الابدي بقدومك الى العالم"[3].والمسيح يعرف ما في قلوب الناس[4]، وبولس يقول مؤمنا انه: "الرب الذي ينير ما خفي في الظلام، ويكشف نيات القلوب"[5]؛ كما انه من يكشف الاسرار الخفية، ويعلن الكلمات السرية[6]،لذا نودي عليه في الصلوات باسم: "الرب العارف"[7]؛ والكلمة عند اقليمس الاسكندري هي العقل الالهي، ومعلم العالم، ومعطي الشرائع[8]؛ وهو الذي يعرف المستقبل[9]، فأنبأ بطرس بموته: "أنا أعرف أني سأفارق هذا المسكن(الجسد) عما قريب، كما أظهر لي ربنا يسوع المسيح"[10].والمسيح هو الذي يغفر الخطايا[11]، وهو امر مرتبط بالله وفق التصور اليهودي[12]؛ كما انه ينجي البشر من: "غضب الله الاتي"[13]؛ وهذه

---

[1]) انجيل توما(النسخة القبطية): 77.

[2]) اعمال القديس توما: 80.

[3]) اسئلة بارثلميو: 9.

[4]) يوحنا،2: 25؛ اعمال القديس توما: 80.

[5]) كورنثوس الاولى،4: 5.

[6]) اعمال القديس توما: 10.

[7]) اعمال الرسل،1: 24.

[8]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص113.

[9]) اعمال القديس توما: 10.

[10]) بطرس الثانية،1: 14.

[11]) متى،9: 6؛ مرقس،2: 10؛ لوقا،5: 24؛ يوحنا الاولى،1: 9.

[12]) عُد تصريح يسوع بأنه يغفر الخطايا تجديف من قبل اليهود، لأن ما من احد يقدر ان يغفر الخطايا الا الله. انظر: متى،9: 3؛ مرقس،2: 7؛ لوقا،5: 21.

[13]) تسالونيكي الاولى،1: 10.

النجاة لن تتم الا عن طريق الخلاص الذي يمنحه يسوع للبشر: "لأن الله جعلنا لا لغضبه، بل للخلاص بربنا يسوع المسيح"[1]؛ ومن اجل ذلك كله على البشر ان يقدسوا المسيح: "قدسوا المسيح في قلوبكم وكرموه رباً"[2]؛ وعلى العالم كله ان ينحني له كما تتحدث عن ذلك الصلوات المسيحية، اولها اهمية تلك الصلاة التي قدمها لنا بولس

"رفعه الله

اعطاه اسما فوق كل اسم

لتنحني لاسم يسوع

كل ركبة في السماء

وفي الارض وتحت الارض

ويشهد كل لسان

ان يسوع المسيح هو الرب

تمجيدا لله الاب"[3].

ونقرأ في صلاة يوسف النجار الموجهة الى يسوع مقدار التبجيل الذي حضي به المسيح: "انا عبدك، في هذا انا ابجلك بكل تواضع، وامام وجهك انا اصب دموعي، انت مولاي....لا تكن غاضبا مني...فأنا عبدك، وابن امتك، لكنك انت مولاي، وربي، ومخلصي، ومن المؤكد تماما ابن الرب"[4]؛ كما يظهر تبجيل المسيح جليا في صلاة يوحنا: "ايها المولى يسوع المسيح، انا لا اعرف قوتك ما هي،

---

[1]) تسالونيكي الاولى،5: 9.

[2]) بطرس الاولى،3: 15.

[3]) فيلبي،2: 9-11.

[4]) قصة يوسف النجار،17: 6-7، 14-15.

انا مندهش تجاه رحمتك العظيمة، وعفوك لا نهاية له، آه، أية عظمة انحدرت الى العبودية...يا ايها المجد الذي لا يمكن تصوره، الذي نزل علينا...ايها الاب المليء بالرحمة، والرأفة نحو الذي يعبأ بك، اننا نحمدك، ونمجدك، ونشرفك، ونشكرك لجودك العظيم، ولآلامك الطويلة يا يسوع المقدس، لأنك وحدك رب، ومن من رب واحد اخر، فأنت ضد الذي قوته كلها بدع، ولن يستطيع ان يفعل شيئا الان، ولا في جميع الابدية"[1]. وهناك صلاة ثانية منسوبة الى يوحنا الحبيب يقول فيها: "انت وحدك رب، انني ادعوك، انت الذي كل شيء هائل، ولا يمكن وصفه، ولا يمكن تصوره، وكل قوى الدنيا خاضعة لك، والذي امامه كل سلطة تنحني، والذي امامه كل شموخ يسقط ارضا، ويصمت، والذي امام صوته الشياطين كلها مرتبكة، والذي امامه جميع المخلوقات تستسلم بتأمل هادئ، اسمك سوف يكون مقدسا من قبلنا"[2].

ان المسيح لا يُعبد فقط من قبل البشر بل من كل الكائنات في العالم، ويقال ان اللص الذي صُلب على يمين المسيح قال له: "انني ارى فيك المسيح المعبود من قبل عدد لا حصر له من الملائكة"[3]؛ ويقال ان مسيحي يدعى بارثلميو اخبر المسيح بعد قيامته قائلا: "عندما ذهبت حتى تعلق فوق الصليب، انا تبعتك، ورأيتك تعلق على الصليب، فنزل ملائكة من السماء، وتعبدوك وعند ذلك جاء الظلام"[4]. فضلا عن الملائكة فإن المسيح قد تلقى العبادة ايضا من الحيوانات: "عبدته الاسود والنمور، ورافقوهم في الصحراء، وكان حيثما

---

[1]) اعمال الرسول يوحنا: 77.

[2]) اعمال الرسول يوحنا: 79.

[3]) رواية يوسف الرامي: 3.

[4]) اسئلة بارثلميو: 6.

ذهب يوسف ومريم ساروا امامهم يرياهما الطريق، ويحنون رؤوسهم، وقد اظهروا طاعتهم وعبروا عنها بتحريك اذنابهم، وقد تعبدوه باحترام كبير"[1]؛ ويقال ان احد الاسود تعمد على يد القديس بولس كما يرد في وثيقة قبطية!!![2]. ويبدو ان هذه المسألة ايضا ليست من نتاج المسيحية بقدر ما يمكن العثور على جذورها في أدبيات الشرق القديم، فبابلي مشكك بالعدالة الالهية يتساءل باستغراب ومرارة:

"والاسد المفترس الذي لا يأكل الا اجود اللحم

هل يقوم بتقديم قربان طحين لتهدئة غضب الآلهة؟"[3].

وبالتالي نفهم جيدا ان هذه الحالة التي وصفتها الاناجيل غير الرسمية لها اصولها العريقة في الشرق.

ان المسيح هو الذي يتقبل الارواح بعد الموت، فبيده: "مفاتيح الموت، ومثوى الاموات"[4]؛والانسان قبل موته يقول: "ايها الرب يسوع تقبل روحي"[5]؛ وهو من يحيي الموتى: "فكما يقيم الاب الموتى ويحييهم كذلك الابن يحيي من يشاء"[6]؛ فهو من يحيي ويجلب الحياة الى المتمددين على فراش الموت[1]، وتقول

---

[1]) انجيل متى المزيف،19: 1.

[2]) زكار، الاناجيل،ص728.

[3]) الشواف، ديوان الاساطير،ج2،ص454.

[4]) رؤيا يوحنا،1: 18.

[5]) اعمال الرسل،7: 59.

[6]) يوحنا،5: 21. لعل حادثة احياء لِعازار خير دليل يقدمه كتبة العهد الجديد حول قدرة يسوع على احياء الموتى. أنظر: يوحنا،11:1-44؛ انظر ايضا اشارة حول احياء يسوع لـ لعازار في: انجيل نيقاديموس،8: 1. انظر كذلك حادثة مشابهة مع شاب توفي واحياه المسيح في: انجيل مرقس السري: 1. ومن المهم هنا التنويه الى حوار من المفترض قد جرى بين الشيطان وهادس(عالم الاموات) يرد عند

رسـالة لينتولـوس عنـه بأنـه: "يقـيم المـوتى"[2]؛ لأنـه مصـدر الحيـاة مثـل الاب تمامـا[3]، ولأنـه كـذلك، فـإن المسـيح هـو الـذي اعطـى الحيـاة الى العـالم[4]، ويستطيع ان يحيى الموتى في الدنيا والعالم الاخر، لذا تقول دروسينا بعد ان احياها المسيح: "نفخت من روحك"[5]؛ ولأنه مصدر الحياة فقد لُقب بملك الخلود[6]، فهو من يمنح الحياة الابدية: "من يكون له الأبن فله الحياة(الابدية)، ومن لا يكون له أبن الله، فلا تكون له الحياة(الابدية)"[7]؛ بل ان سماع كلمات يسوع كفيلة بمنح الحياة الابدية: "قال يسوع كل من يجد ترجمة هذه الاقوال لن يذوق الموت ابدا"[8]؛ وتقول القديسة تكلا ان المسيح هو القاعدة للحياة السرمدية[9]؛لذا نجد يسوع يقول: "انا الحي كنت ميتا، وها انا حي الى ابد

نيقاديموس يشير الى حادثة لعازار ولكن من وجهة نظر هادس: "منذ وقت قليل مضى انا(هادس) التهمت واحدا ميتا اسمه لعازار، وبعد هذا وعلى الفور سحبه واحد من الاحياء بقوة من امعائي بكلمة واحدة فقط، واعتقد انه الواحد الذي تحدثت عنه". انظر: انجيل نيقاديموس،4: 20.

[1]) اعمال القديس توما: 60.

[2]) انظر النص في:

The Literary Digest, Issues: 38, January 5, 1901,P.19;

زكار، الاناجيل،ص639.

[3]) يوحنا،5: 26.

[4]) اعمال القديس توما: 10.

[5]) اعمال الرسول يوحنا: 82. ان نفخ الله الروح في الاجساد يظهر جليا في نصوص العهد القديم كما في الامثلة التالية: تكوين،2: 7؛ ايوب،27: 3.

[6]) رؤيا بولس: 24.

[7]) يوحنا الاولى،5: 12.

[8]) انجيل توما(النسخة القبطية): 1.

[9]) اعمال القديس بولس وتكلا: 37.

الدهور"؛ والمسيح بيده الحياة الابدية: "أنا هو القيامة والحياة، من يؤمن بي يحيا وإن مات. وكل من يحيا مؤمنا بي لا يموت ابدا"[1]؛ في حين يقول بولس: "الحياة التي هي في المسيح يسوع"[2]؛ فالمسيح: "هو الاله الحق والحياة الابدية"[3]؛ وهو من يمنح المؤمن: "أكليل الحياة"[4]؛ ولا يمحو اسمه من: "كتاب الحياة"[5]؛ ويهديهم الى ينابيع ماء الحياة[6]؛ ووفقا لرواية انه بعد مقتل القديس بولس في روما ظهر الى الامبراطور الروماني نيرون وابلغه انه حي: "ها هو بولس جندي الرب، انا لست ميتا بل حيا في ربي"[7].

ان الايمان بالمسيح يضمن للإنسان الخلاص من العقاب يوم الدينونة: "من يؤمن بالأبن لا يدان"[8]؛ لأن الايمان بالمسيح يضمن للإنسان الحياة الابدية[9]؛ فالإنسان الذي يشهد بلسانه ان يسوع رب،، ويؤمن بقلبه ان الله اقامه من بين الاموات نال الخلاص: "فالإيمان بالقلب يقود الى البر، والشهادة باللسان تقود الى الخلاص"[10].لذا نجد بولس يقول لسجانه في مدينة فيلبي في

---

[1]) يوحنا،11: 25-26.

[2]) تيموثاوس الثانية،1: 1؛ رسالة الى اللاودكيين: 8.

[3]) يوحنا الاولى،5: 20.

[4]) رؤيا يوحنا،2: 10.

[5]) رؤيا يوحنا،3: 5.

[6]) رؤيا يوحنا،7: 16.

[7]) اعمال القديس بولس: 6.

[8]) يوحنا،3: 18.

[9]) يوحنا،3: 36؛ 5: 24؛ 6: 40، 47؛ 8: 51؛ 10: 27-28.

[10]) رومة،10: 9-10.

مقدونيا: "آمن بالرب يسوع تخلص انت واهل بيتك"[1]؛ ثم نجده يقول عن ثقة مفرطة: "اما هبة الله فهي الحياة الابدية في المسيح يسوع ربنا"[2]؛ وهو يرسل ملائكته ليجمعوا اتباعه من كل انحاء العالم: "فيرسل(أبن الانسان) ملائكته ببوق عظيم الصوت الى جهات الرياح الاربع ليجمعوا مختاريه من اقصى السموات الى اقصاها"[3]. والمسيح عند اقليمس الاسكندري هو مخلص البشر، وفاتحة حياة جديدة، تبدأ بالأيمان وتنتقل الى المعرفة والتأمل فتقود بالمحبة والخير الى الخلود والتأليه، والمسيح الكلمة المتجسد هو إله وانسان وبه يسمو المسيحيون الى الحياة الالهية[4].

ان المسيح هو الديان، ويطلق عليه عادة اسم: "الرب الديان العادل"[5]؛ لذا يقول بولس: "انما دياني الرب"[6]؛ وهو شمس العدل كما يصفه اقليمس الاسكندري[7]؛ وقاضي الجميع كما يقول توما[8][9]، وبهذه الصفة التي يمتلكها المسيح فإنه يتطابق مع اله العدالة البابلي شمش(الشمس) الذي يصفه الملك الاشوري ادد-ناراري الثاني(Adad-narari)(911-891 قبل الميلاد): "الإله شمش

---

[1] اعمال الرسل،16: 31.

[2] رومة،6: 23.

[3] متى24: 31؛ مرقس،13: 27.

[4] رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص112-113.

[5] تيموثاوس الثانية،4: 8.

[6] كورنثوس الاولى،4: 4.

[7] رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص112-113.

[8] اعمال القديس توما: 139.

[9] اعمال القديس توما: 139.

ديّان(Dayānu) السماوات والارض"[1]. وحسب النصوص المسيحية ان الأب لا يدين أحد لأنه: "جعل الدينونة كلها للأبن حتى يمجد جميع الناس الأبن كما يمجدون الأب"[2]؛ بينما المسيح هو من سيدين الموتى والاحياء: "المسيح يسوع الذي سيدين الاحياء والاموات عند ظهوره ومجيء ملكوته"[3]؛ ويقول القديس اقليمس: "نعتبر المسيح الها يدين الاحياء والاموات"[4]؛ وهذا لأن المسيح هو حاكم الاحياء والاموات[5]، فيقال ان الابن يدين ويحكم على العالم[6]، في: "يوم الرب"[7]؛ فالمسيح يحاسب البشر كحاكم عادل[1]، فيجازي كل شخص حسب

---

[1]) نائل حنون، نصوص مسمارية تاريخية وادبية،(بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر،2015)،ص130.

[2]) يوحنا،5: 22-23، 27.

[3]) تيموثاوس الثانية،4: 1.

[4]) رستم، آباء الكنيسة،ص18.

[5]) اعمال القديس توما: 30.

[6]) يوحنا،16: 11.

[7]) ان مصطلح يوم الرب، بشكل عام، غامض في المدونات المسيحية المبكرة، وان الافتراض اعلاه القائل ان يوم الرب يوازي يوم الدينونة هو افتراض قائم على نصوص مسيحية غامضة نوعا ما ترد في رسائل القديسين بشكل رئيس، ففي حادثة الزنى التي تحدث عنها بولس في رسالته التي بعثها الى كنيسة كورنثوس نجده يقول ان خلاص الشخص المذنب سيحدث في يوم الرب: "سلموا هذا الرجل(الزاني) الى الشيطان، حتى يهلك جسده فتخلص روحه في يوم الرب". انظر: كورنثوس الاولى،5: 5. وفي رسالة ثانية يقول بولس ان يوم الرب يأتي فجأة: "لأنكم تعرفون جيدا ان يوم الرب يجيء كاللص في الليل". انظر: تسالونيكي الاولى،5: 2. وهذا لمفهوم ايضا اكد عليه بطرس عندما قال: "يوم الرب سيجيئ مثلما يجيء السارق". انظر: بطرس الثانية،3: 10.وفي رسالة يحث بولس المسيحيين بعدم تصديق ان يوم الرب جاء: "لا تتزعزعوا سريعا في افكاركم ولا ترتعبوا في نبوءة أو قول أو رسالة كأنها منا تقول ان يوم الرب جاء. لا يخدعكم احد بشكل من الاشكال، فيوم الرب لا يجيء الا بعد ان يسود الكفر، ويظهر رجل المعصية، ابن الهلاك. والعدو الذي يرفع نفسه فوق كل ما دعوه الناس الها أو معبودا، فيجلس في هيكل الله ويحاول ان يثبت انه اله ". انظر: تسالونيكي الثانية،2: 2-4. وعندما يظهر رجل المعصية يحاربه يسوع

اعماله[2]؛ وفق احكامه الالهية: "انتم تحكمون بمقاييس البشر، وأنا لا احكم على احد، فإذا حكمت فحكمي صحيح لأني لا أحكم وحدي بل أنا والاب الذي ارسلني"[3]؛ فالمسيح يفحص الاكباد والقلوب ويعطي كل واحد على قدر اعماله[4]. ويظهر يسوع في يوم الدينونة[5] وهو يجلس على عرشه محاط بالملائكة المرتبطين به: "متى جاء أبن الانسان في مجده ومعه جميع ملائكته يجلس على عرش مجده"[6]؛ لذا نجد اللص الذي صُلب على يمينه يتوسل اليه قائلا: "ستحكم من فوق العرش العظيم للعلي الاعلى"[7]. من عرشه يقوم بفرز

وينتصر عليه: "ينكشف رجل المعصية فيقضي عليه الرب يسوع بنفسه من فمه ويبيده بضياء مجده". انظر: تسالونيكي الثانية،2: 8. ورجل المعصية هذا يظهر بأمر الشيطان، ويتبعه الاشرار: "يكون مجيء رجل المعصية بقدرة الشيطان على جميع المعجزات والآيات والعجائب الكاذبة، وعلى جميع ما يغري بالشر اولئك الذين مصيرهم الى الهلاك، لأنهم رفضوا محبة الحق الذي يمنحهم الخلاص. لذلك يرسل الله اليهم قوة الضلال حتى يصدقوا الكذب، فيدين جميع الذين رفضوا ان يؤمنوا بالحق ورغبوا في الباطل". انظر: تسالونيكي الثانية،2: 9-12. ونقرأ في رسالة كتبها كاتب مسيحي يحث فيها المسيحيين قائلا: "ليهتم بعضنا ببعض، متعاونين في المحبة والعمل الصالح، ولا تنقطعوا عن الاجتماع كما اعتاد بعضكم ان يفعل، بل شجعوا بعضكم بعضا، على قدر ما ترون ان يوم الرب يقترب". انظر: العبرانيين،10: 24-25.

[1]) يوحنا،5: 30.

[2]) متى،13: 27-28؛ تيموثاوس الثانية،4: 14.

[3]) يوحنا،8: 15-16.

[4]) رؤيا يوحنا،2: 23.

[5]) حول يوم الدينونة والقيامة في الديانتين اليهودية-المسيحية هناك دراسة مهمة في هذا الجانب يمكن الاطلاع عليها: ديتر تسمرلينغ، النهايات: الهوس القيامي الالفي، ترجمة: ميشيل كيلو،(بيروت: دار قدمس للنشر والتوزيع،1999).

[6]) مرقس،8: 38.

[7]) رواية يوسف الرامي: 3.

الصالحين من الاشرار عندما تحتشد جميع الشعوب امامه: "فيفرز بعضهم عن بعض مثلما يفرز الراعي الخراف عن الجداء، فيجعل الخراف عن يمينه(الصالحين)، والجداء عن شماله(الاشرار)"[1]؛ وهنا يعاقب الاشرار من جراء اعمالهم الشريرة: "عوقب الاموات...كل واحد بأعماله"[2].فينتقم من كل شخص لم يعرف الله: "عند ظهور الرب يسوع من السماء مع ملائكة جبروته، في نار ملتهبة لينتقم من الذين لا يعرفون الله، ومن الذين لا يطيعون بشارة ربنا يسوع، فيكون عقابهم الهلاك الابدي، بعيدا عن وجه الرب وقدرته المجيدة"[3]. كما يحاسب أي شخص ارتكب خطايا في الدنيا كالزنى أو الاعتداء على الاخر، لذا يقال عنه انه الرب: "الذي ينتقم من هذه الاشياء كلها"[4]. فيرسل الفاسدين الى الدينونة: "الذين عملوا السيئات يقومون الى الدينونة"[5]؛ ليحكم عليهم بالذهاب الى النار[6]: "يرسل أبن الانسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته كل المفسدين والاشرار ويرمونهم في أتون النار، فهناك البكاء وصريف الاسنان"[7]؛ أي يلقي في النار كل من كان اسمه غير موجود في: "كتاب الحياة"[8].

---

[1]) متى،25: 32-33.

[2]) رؤيا يوحنا،20: 12.

[3]) تسالونيكي الثانية،1: 7-9.

[4]) تسالونيكي الاولى،4: 6.

[5]) يوحنا،5: 29.

[6]) لا يوجد وصف لما سيعانيه الاشرار في النار في العهد الجديد لكن الكتابات المسيحية المختلفة زودتنا بوصف جيد للجحيم المسيحي. للمزيد من التفاصيل انظر: اعمال القديس توما: 55-58؛ رؤيا شمعون الصفا(اثيوبي): 7-14؛ رؤيا بولس: 22-31.

[7]) متى،13: 41.

[8]) رؤيا يوحنا،20: 15.

اما الصالحون فلا يحاسبون، ولا يحضرون الدينونة: "لا يحضر الدينونة لأنه انتقل من الموت الى الحياة"[1]؛ فالذين عملوا الصالحات: "يقومون الى الحياة"، أي يحصل الصالحون على الحياة الابدية، ويعيشون هناك في السماء حيث ملكوت المسيح[2]: "سينجيني الرب من كل شر ويحفظني لملكوته السماوي"[3]؛ و: "هكذا ينفتح لكم باب الدخول واسعا الى الملكوت الابدي، ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح"[4]. وفي الحوار الذي دار بين المسيح واللص الذي صُلب على يمينه نجد المسيح وهو يعطي تخويلا بدخول هذا اللص الى الجنة بسبب ايمانه: "قل الى قوى رؤساء ملائكتي، والى حفظة ابواب الجنة، والى العاملين لدى ابي، إنني اطلب، وآمر بوجوب دخول الذي صُلب معي، وان يتلقى عفوا عن ذنوبه من خلالي، وان يوضع في جسد لا يعتريه البلاء، وانه ينبغي ان يذهب الى الجنة، وان يسكن حيث ما من احد كان قادرا على ان يسكن(في ذلك المكان)"[5]. في وقت الذي يدين فيه المسيح العالم، نجد تلاميذه يدينون عشائر اسرائيل: "متى جلس أبن الانسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء، تجلسون انتم الذين تبعوني على اثني عشر عرشا لتدينوا عشائر اسرائيل الاثني عشر"[6]؛ أو: "تجلسون على عروش لتدينوا عشائر بني اسرائيل

---

[1]) يوحنا،5: 24.

[2]) كما هو الحال في ما يخص عذاب الاشرار في النار الذي لا نجد له وصفا في العهد الجديد كذلك الجنة أو ملكوت المسيح لا نجد له مثل هذه الوصف، لكننا نمتلك تصورات مسيحية جيدة عنه من خلال ادبيات مسيحية متنوعة منها: رؤيا شمعون الصفا(اثيوبي): 15-16؛ رؤيا بولس: 31-40.

[3]) تيموثاوس الثانية،4: 18.

[4]) بطرس الثانية،1: 11.

[5]) رواية يوسف الرامي: 3.

[6]) متى،19: 28.

الاثني عشر"[1]. والرسل يجلسون على يمين المسيح لكي يدينوا عشائر اسرائيل: "سوف نجلس عن يمينك ونحكم اسباط بني اسرائيل الاثني عشر"[2].بل ان الرسل لا يكتفون بإدانة اسرائيل انما يدينون العالم كله: "اما تعرفون ان الاخوة القديسين هم الذين سيدينون العالم"[3]؛ وهم لا يقفون عند هذا الحد أي ادانه البشر بل يقومون بإدانة الملائكة!!!! ايضا: "اما تعرفون اننا سندين الملائكة"[4].

لكن قد يتساءل المرء لماذا يمتلك المسيح هذا الصلاحيات، فهو من يغفر الخطايا، ويمنح الحياة الابدية، ويفرز الصالحين من الاشرار، ويرسل الاخيرين الى النار؟ يجيب يسوع عن هذا التساؤل بعبارة مختصرة لكنها كافية الى حد كبير لفهم الاجابة: "الاب يحب الابن فجعل كل شيء في يده"[5]، انه الحب وحده من جعل المسيح يمتلك كل تلك الصلاحيات: "الاب يحب الابن ويريه كل ما يعمل"[6]؛ فالأب يحب الابن[7]، وبالمقابل فإن الابن يحب الاب[8]، لذا فالمسيح يصف نفسه عن جدارة: "المحبوب من الاب الواحد الحي"[9]،

---

1) لوقا،22: 30.

2) اعمال القديس توما: 80.

3) كورنثوس الاولى،6: 2.

4) كورنثوس الاولى،6: 3.

5) يوحنا،3: 35.

6) يوحنا،5: 20.

7) يوحنا،15: 9-10.

8) يوحنا،14: 31.

9) انجيل توما(النسخة القبطية): 50.

وطبيعة العلاقة القائمة بين الابن والاب عن طريق الحب يكشف عن مؤثرات اغريقية واضحة.

ومن الجدير بالذكر انه بسبب تأليه السيد المسيح تم تأليه مريم ام المسيح، فالكنيسة تدعوها: "والدة الاله/الله"، لأنها ولدت الاله المتجسد[1]، وملاك الرب يخاطب مريم قائلا: "حييت انت التي حملت المسيح ربنا، عبرت صلاتك خلال السموات اليه، وهو الذي ولد منك..."[2]؛ وتخبرنا رواية مسيحية انه بعد المعجزات التي نفذها يسوع الطفل قال الناس ان: "يوسف ومريم وهذا الطفل هم ارباب وليسوا بشراً"[3]؛ وبذلك يمكن ان نفهم جيدا ما قالته اليصابات عندما زارتها مريم، فقد امتلأت اليصابات من الروح القدس فصاحت بصوت عال وقال: "فمن أين لي هذا أن تأتي ام ربي إلي"[4]. وفي نهاية القرن الاول الميلادي كانت الكنيسة قد اعترفت بالدلالة الدينية لمريم، فأهمية مريم تنبع من امومتها، فهي ديبارا(Deipara) اي: "تلك التي تلد الاله"، وهي عبارة تأكدت لأول مرة في بداية القرن الثالث الميلادي؛ ولكن عندما استعمل هذا المصطلح القائلون بالطبيعة الواحدة في معنى هرطقي استبدلت كلمة ديبارا بعبارة اكثر وضوحا هي ثيوتوكوس(Theotokos) اي ام الاله[5]؛ ونقرأ فيما يسمى بالسلام الملائكي عن مريم ما يلي: "السلام عليك يا مريم، يا ممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة انت في النساء، ومبارك ثمرة بطنك سيدنا يسوع المسيح، يا مريم

---

1) زيعور، اوغسطينوس، ص21.

2) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 3.

3) انجيل الطفولة العربي، 17: 3.

4) لوقا، 1: 41-43؛ انظر نصا مشابها في: انجيل البداية ليعقوب، 12: 2.

5) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج2، ص445-446.

القديسة، يا والدة الله، صلي لأجلنا نحن الخطاة الان وفي ساعة موتنا"[1]. كما سميت مريم في نص غير قانوني بـ ام الرب؛ وام الرب الكلية القداسة، والمجيدة[2]؛ وام ربنا[3]؛وقيل ان اليهود بعد معجزة يوفنيا اعترفوا قائلين: "حقا انه الرب الحقيقي، هو الذي أنجب منك يا مريم، ام الرب، والعذراء الدائمة"[4].و قد عدت مريم مصدرا للقداسة، ففي رواية تخبرنا بأن شمعون الصفا(بطرس)، ويوحنا، وبولص، وتوما ركضوا الى جثة مريم، بعد وفاتها، واحتضنوا قدميها الثمينتين من اجل تلقي القداسة[5]. وقيل انه بعد وفاة مريم شاهد المسيحيون اليزابيث ام يوحنا المعمدان، وحنة ام مريم، وابراهيم، واسحاق، ويعقوب، وداود يغنون: "المجد للرب"، وجميع كوكبة القديسين يتعبدون الجسد الثمين لأم الرب[6]. ولأن مريم هي التي تصلي من اجل الخاطئين لذا فإن صلاة الاعتراف امام الكاهن تتم امامها: "اعترف لله ولك، يا أبت، امام الطوباوية مريم العذراء، والملائكة القديسين، بأني اخطأت بالفكر والقول والفعل والاهمال. خطيئتي عظيمة جدا، فأطلب المغفرة منه تعالى، ومنك يا أبت"[7]. وتعتقد الكنيسة انه بما ان العذراء صارت اما للإله المتجسد، فقد اصبحت ايضا اما لكل الذين صار ذاك الاله اخا لهم بالتجسيد[8]، فعندما كان

---

1) زيعور، اوغسطينوس، ص36.

2) محاضرة القديس يوحنا المقدس:1، 44، 48.

3) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 49، 50.

4) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 47.

5) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 45.

6) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 49.

7) زيعور، اوغسطينوس، ص37.

8) المصدر نفسه، ص21.

يسوع على الصليب خاطب مريم قائلا لها عن التلميذ يوحنا الحبيب: "يا امرأة هو ذا ابنك"، ثم خاطب يوحنا: "هو ذا امك"[1]؛وبالتالي ان هذه العبارات يصح اطلاقها على كل تلميذ حبيب لـ يسوع أي على كل من يؤمن به[2]، أي هي ام كل المسيحيين، ويرى اوريجانس ان العذراء مريم هي والدة الاله، بل هي ام المؤمنين اجمعين: "انه لا يمكن لأحد ان يفهم هذا الانجيل الا اذا اتكأ على صدر يسوع وقبل مريم أم له"[3]. وإن تأليه مريم انعكس بشكل ما على يوسف النجار الذي قُدس هو الاخر ووجهت له الصلاة: "ايها القديس يوسف، الحارس الامين الذي اودعه الله يسوع الكلي النقاوة ومريم عذراء العذارى، اني اتوسل اليك واطلب منك بحق يسوع ومريم هذه الوديعة العزيزة على قلبك، ان تحفظني بعيدا عن كل نجاسة، طاهر الروح والقلب وعفيف الجسد، فأخدم يسوع ومريم بكل عفة وطهارة الى الابد"[4]. ويعتقد ان مريم لم تمت انما رقدت، اذ ان الموت يصيب ابناء ادم بسبب الخطيئة، ومريم عُصمت اصلا من الخطيئة، لذا بعد ثلاث ايام من دفنها حضر الرسل ليتبركوا بها فلم يجدوا الجثة في القبر بل فاحت منه رائحة زكية، ويحتفل بهذه المناسبة من قبل المسيحيين يوم 15 اب من كل عام[5].

رغم ألوهية المسيح الواضحة في النصوص المسيحية علينا أن نسأل ايضا ان كان المسيح يتساوى مع الله ام لا في المنزلة؟.

---

[1]) يوحنا،19: 26-27.

[2]) زيعور،اغسطينوس،ص21.

[3]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص132.

[4]) زيعور،اوغسطينوس،ص38-39.

[5]) محاضرة القديس يوحنا المقدس: 48؛ انظر كذلك: زيعور،اوغسطينوس،ص43.

رغم تأكيد الكنيسة الرسمية على تساوي الأب مع الأبن في المنزلة الا ان نصوص مسيحية قد تقدم عكس هذا التصور، اذ لا يمكن أن نقر وفق النصوص المسيحية ان الابن يتساوى مع الاب، فالأب هو الله المطلق القوة؟ بمعنى أدق: إنه لا يمكن للأب ان يتساوى مع احد لأنه: "أعظم من كل موجود"[1]؛ ويسوع الذاهب بعد صلبه الى الاب يقر: "الاب اعظم مني"[2]؛ وحسب توما كان الاب يحكم العالم مثل الامبراطور الروماني: "ان الحكم الامبراطوري للاب في السماء"؛ و: "الحكم الامبراطوري للاب هو في داخلك"[3].

ويمكن ان نقدم عدد كبير من الادلة التي تبرهن عدم تساوي الأبن مع الاب في المنزلة، فـ يسوع في النصوص يرفض ان يُطلق عليه صفة الصالح لأنه لا صالح الا الله: "لماذا تدعوني صالحا؟ لا صالح الا الله وحده"[4]؛ ومن هذا نفهم ان لقب الصالح يرتبط بالله الاب فقط، وبالتالي هذا يتناقض مع فكرة الثالوث بشكل جوهري: "ما عرفك العالم ايها الاب الصالح، لكن انا عرفتك وعرف هؤلاء انك ارسلتني"[5].

ان كل شيء في هذا العالم هو ملك الأب وهبه بإرادته الحرة الى ابنه: "الذي جاء من ابي قد اعطي إلي"[6]، فالأب هو الذي كلف يسوع المسيح بمهمته

---

1) يوحنا،10: 29.

2) يوحنا،14: 28.

3) انجيل توما(النسخة الاغريقية): 3.

4) مرقس،10: 18؛ لوقا،18: 19.

5) يوحنا،17: 25.

6) انجيل توما(النسخة القبطية): 61.

التي عليه ان يؤديها على الارض[1]؛ والابن يخضع في كل الاحوال للاب الله الذي هو كل شيء: "متى خضع كل شيء للأبن، يخضع هو نفسه لله الذي اخضع له كل شيء، فيكون الله كل شيء في كل شيء"[2]؛ والله هو اله المسيح كما يقر هو بهذه الحقيقة، ففي خطابه لمسيحي فيلادلفيا قال لهم: "سأجعل الغالب عمودا في هيكل الهي، فلا يخرج منه ابدا، وأنقش فيه اسم الهي، واسم مدينة الهي اورشليم الجديدة التي تنزل من السماء من عند الهي..."[3]؛ ويقول بولس: "اطلب من إله ربنا يسوع المسيح، الاب المجيد"[4]. لذا فالإيمان بالمسيح هو من فعل الاب، فالقديس بولس يسجد للاب ويصلي قائلا: "ان يسكن المسيح في قلوبكم بالإيمان"[5].

ان مناقشة اهم صفات المسيح تعطينا تصورا واضحا عن تفوق الله الأب، وإن اهم هذه الصفات هي(الشافي، والمخلص، والديان)، فبالنسبة للشافي، وهي صفة ملازمة للمسيح بشكل لافت للانتباه في الاناجيل[6]، نجد إن

---

[1]) يوحنا،17: 4.

[2]) كورنثوس الاولى،15: 28.

[3]) رؤيا يوحنا،3: 12.

[4]) افسس،1: 17.

[5]) افسس،3: 17.

[6]) في الديانة المسيحية ارتبطت شخصية السيد المسيح بالعلاج، وبقدرته على شفاء كافة المرضى كما تدل على لك الأمثلة الكثيرة في الأناجيل، وقد ورث هذه الصفة من بعده الرسل والقدسيين. أما السيدة مريم العذراء فقد حافظت على لقب سيدة الصحة، وهو لقب ارتبط بعدد من إلهات الشرق القديم بشكل فعلي، وتدعوها الصلوات المريمية بشافية الأسقام وأوجاع الجسد. ويؤمن الناس اليوم بالقدرة الشافية لبعض تماثيل مريم، كما يروون عن معجزات ظهورها في الحلم لبعض المرضى الميؤوس من شفاءهم، وتحقيق هذا الشفاء عن طريق اللمس. وقد حل القديسين في الديانة المسيحية محل الالهة

يسوع لا يستطيع ان يشفي الامراض نتيجة قدرته كإله بل عن طريق روح الله: "اذا كنت بروح الله/أصبع الله اطرد الشياطين، فملكوت الله حل بينكم/أقبل عليكم"[(1)]؛ وهذا الامر يؤكده بطرس لاحقا عندما يؤكد بشكل صريح بأن السبب الذي ساعد يسوع في شفاء الامراض هو كون الله معه: "يشفي جميع الذين استولى عليهم ابليس لأن الله كان معه"[(2)]. وهذا القول على اهميته في مسألة ربط الشفاء بالأب فإنه يؤكد ايضا ان المسيح ليس الله بل ان الله هو الاب فقط.

ان صفة المخلص التي ترتبط بالمسيح نجدها في بعض النصوص المسيحية احدى صفات الاب ، عندما يوصف الله بـ: "مخلصنا"[(3)]، والله يريد ان يخلص جميع الناس لكي يبلغوا معرفة الحق[(4)]؛ عن طريق نعمته التي هي ينبوع الخلاص لجميع البشر[(5)]؛ والخلاص الذي منحه الله للبشر كان وفق خطة قررت منذ الازل: "الله الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بفضل اعمالنا، بل وفقا لتدبيره ونعمته التي وهبها لنا في المسيح يسوع منذ الازل"[(6)]، وهذا يعني ان الله هو المخلص وليس يسوع فهو الذي ارسل يسوع الى العالم، وهو-أي الله-

---

القديمة في تجسيد الصحة، فالقديس لوقا الانجيلي(توفي عام 70م) عد شفيعا للأطباء. انظر: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص158-159.

[1]) متى،12: 28؛ لوقا،11: 20.

[2]) اعمال الرسل،10: 38.

[3]) تيموثاوس الاولى،1: 1؛ تيطس،1: 3؛ 2: 10؛ 3: 4؛ يهوذا: 25.

[4]) تيموثاوس الاولى،2: 3-4.

[5]) تيطس،2: 11.

[6]) تيموثاوس الثانية،1: 8-9.

الذي قرر ان المسيح سيضحي بنفسه، وكل ذلك وفق خطة وضعها الله منذ الازل.

ان المسيح كما قرأنا سابقا هو الديان، لأن الأب منحه هذه الصفة، ولكن لكاتب مسيحي رأي اخر، فبالنسبة له ان: "الله ديان البشر جميعا"[(1)]، وهذا يعني ان المسيح ليس الديان؛ وهذا يتوافق تماما مع رأي القديس يعقوب الذي يقول للمسيحيين: "يدينكم الله، الديان واقف على الباب"[(2)]؛ والقديس بطرس يقول ان المسيح ذاته عندما تعرض للاضطهاد لم يرد على أحد بل: "اسلم أمره للديان العادل"[(3)]؛ والله هو الذي: "يدين الاحياء والاموات"[(4)]، وليس يسوع كما قرأنا سابقا. ويرد في نص مسيحي يدعى عظات بطرس ان الله: "خالق ديان"[(5)]. وكما عرفنا سابقا ان يسوع هو الذي يغفر الخطايا للبشر، لكن يوحنا يخبرنا ان ليس اكثر من شفيع عند الله: "ان خطى احد منا، فلنا يسوع المسيح البار شفيع عند الاب"[(6)]. وقد بحث كبريانوس الذي عاش في القرن الثالث الميلادي الصلاة الربانية[(7)]، وعدها افضل الصلوات واكثرها فائدة لأن الله الاب

---

[1]) العبرانيين،12: 23.

[2]) يعقوب،5: 9.

[3]) بطرس الاولى،2: 23.

[4]) بطرس الاولى،4: 5.

[5]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص21.

[6]) يوحنا الاولى،2: 1.

[7]) يرد نص الصلاة الربانية في الاناجيل وهي بالصيغة التالية: "ابانا في السموات، ليتقدس اسمك، ليأتي ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك في الارض، اعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا خطايانا، كما نغفر لمن اساء الينا، ولا تدخلنا في التجربة، لكن نجنا من الشرير". انظر نص الصلاة في: متى،6: 9-13؛ الديداخي،8: 2. ترد هذه الصلاة بشكل مختلف قليلا لدى القديس توما: "ابانا في السماء، القداسة

يلذ له أن يسمع كلمات أبنه، ولأنه حين: "نعيد هذه الكلمات يصبح المسيح نفسه شفيعنا امام العرش"[1].

ان المسيح في النصوص المسيحية لا يعمل بإرادته الحرة بل يعمل وفق ارادة ومشيئة الاب[2]، ونتيجة لوصاياه[3].بل هو لا يقدر ان يعمل أي شيء حتى في حكمه على البشر: "أنا لا أقدر ان أعمل شيئا من عندي فكما اسمع من الأب احكم"[4]. كما إن العلم الذي يمتلكه ليس من عنده هو بل من عند الاب، فمعرفته بالكتب المقدسة كانت عن طريق الاب: "ما تعليمي من عندي بل من عند الذي ارسلني"[5]؛ وهو يتكلم بكل ما رأى وسمع من الاب[6]؛ والحق الذي يبشر به يسوع ايضا من عند الاب ايضا: "أنا الذي كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله"[7]؛ كذلك الاعمال الصالحة التي يقوم بها ليست من ذاته بل من الأب: "اريتكم كثيرا من الاعمال الصالحة من عند الاب..."[8]؛ ومهمته هي ان يحرس البشر ويحفظهم: "عندما كنت انا معهم حفظتهم باسمك الذين اعطيتني،

لأسمك، وصل ملكوتك، وانت ستعمل كما في السماء، كذلك على الارض[اعطنا خبزا دائما للنهار]، واغفر لنا خطايانا، بحكم اننا غفرنا للمستدينين منا، ولا تقدنا الى الاغواء، بل نجنا من الشر". انظر: اعمال القديس توما: 144.

1) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص185.

2) يوحنا،4: 34؛ 5: 19، 30؛ 6: 38؛ 8: 55؛ 14: 31.

3) يوحنا،15: 10.

4) يوحنا،5: 30.

5) يوحنا،7: 16.

6) يوحنا،8: 38؛ 15: 15؛ 17: 8.

7) يوحنا،8: 40.

8) يوحنا،10: 32.

حرستهم فما خسرت منهم احدا..."[1]؛ حتى المجد الذي ينسب الى يسوع فإنه يحصل عليه عن طريق الاب: "أبي هو الذي يمجدني"[2]؛ والقديس بطرس يقول إن الله: "وهبه المجد"[3]؛ ويقول ايضا: "نال(المسيح) من الله الأب اكراما ومجدا"[4].فالمجد هو مجد الاب: "متى جاء(أبن الانسان) في مجد أبيه مع الملائكة الاطهار"[5]؛ وبولس في احدى صلواته يتحدث:

"الذي ظهر في الجسد وتبرر في الروح

شاهدته الملائكة

كان بشارة للأمم

آمن به العالم

ورفعه الله في المجد"[6].

والسلطة التي يمتلكها يسوع ليست من ذاته كإله بل من الأب، لذا نجده يقول الى مسيحي كنيسة ثياتيرة: "من غلب وثابر على خدمتي الى النهاية، أعطيه سلطانا على الامم، كما نلته انا من أبي"[7]. وقيل ايضا ان المسيح هو مصدر الحياة، لكن حتى هذه القدرة ايضا هي هبة من الاب إليه: "فكما ان الأب هو ذاته مصدر الحياة، فكذلك أعطى الابن ان يكون في ذاته مصدر الحياة"[8]؛

---

1) يوحنا،17: 12.

2) يوحنا،8: 54.

3) بطرس الاولى،1: 21.

4) بطرس الثانية،1: 17.

5) متى،21: 46.

6) تيموثاوس الاولى،3: 16.

7) رؤيا يوحنا،2: 26-27.

8) يوحنا،5: 26.

فالأب هو الذي اعطى ابنه المسيح سلطانا على جميع البشر من اجل ان يهب الحياة الابدية[1]. ومما له أهمية هنا ان ملكوت الابن الذي يرد في النصوص المسيحية في أصله هبة ممنوحة من الاب له: "وأنا اعطيكم ملكوتا كما اعطاني أبي، فتأكلون وتشربون على مائدتي في ملكوتي..."[2]؛وان المؤمنين الذين يدخلون ملكوت الابن لن يدخلوه الا بمشيئة الاب: "شاكرين الاب لأنه جعلكم اهلا لأن تقاسموا القديسين ميراثهم في ملكوت النور، فهو الذي نجانا من سلطان الظلام ونقلنا الى ملكوت ابنه الحبيب"[3].ومما يجدر ذكره ان الابن لا يتساوى حتى مع الروح القدس الذي يوحي نص ان الاخير اعلى منه مرتبة، فـ يسوع يقول إن أي تجديف على الروح القدس غير قابل للغفران لكن التجديف عليه على العكس قابل للغفران: "كل خطيئة وتجديف يُغفر للناس، اما التجديف على الروح القدس فلن يُغفر له[4]، ومن قال كلمة على ابن الانسان يُغفر له، واما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذه الدنيا، ولا في الاخرة"[5]، وهذا النص في أقل تقدير يوحي بأن الروح القدس وهي الهبة الممنوحة من الله الى يسوع والبشر حتما هي اعلى مرتبة من المسيح طالما انها مرتبطة بالأب. ونقرأ عن هذا

---

[1]) يوحنا،17: 2.

[2]) لوقا،22: 29-30.

[3]) كولوسي،1: 12-13.

[4]) الى هنا يتوقف نص مرقس اما ما تبقى منه فيرد عند متى، ونص مرقس يقول: "كل خطيئة وكل تجديف مهما كان يغفرهما الله للناس، واما من جدف على الروح القدس، فلا مغفرة له ابداً بل تبقى خطيئة ابدية". انظر: مرقس،3: 28-29.

[5]) متى،12: 31؛ يظهر هذا النص بشكل مختصر لدى لوقا ولكنه كاف لفهم الفارق بين الابن والروح القدس: "من قال كلمة على أبن الانسان يغفر له، واما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له". انظر: لوقا،12: 10.

التصور عند توما ولكن بشكل مختلف نوعا ما: "كل من يجدف ضد الرب سوف يغفر له، وكل من يجدف ضد الابن سوف يغفر له، لكن كل من يجدف ضد الروح القدس لن يغفر له، لا على الارض ولا في السماء"[1].

إن المسيح لا يعرف المستقبل-كما يدعي بطرس- والاب وحده هو من يعرف المستقبل باعتراف يسوع ذاته، فـ يسوع يشير الى بعض ما سيحدث في المستقبل في نهاية الزمن من احداث ويقول: "اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما احد، لا الملائكة في السماء، ولا الابن، الا الاب وحده"[2]؛ وبعد قيامته سأله التلاميذ عن الزمن الذي سيعيد المسيح المُلك الى اسرائيل، فأجابهم: "ما لكم ان تعرفوا الاوقات والازمنة التي حددها الاب بسلطانه"[3]. ومما يوافق هذا التصور ما يرد في بداية رؤيا القديس يوحنا التي تقول: "هذا ما أعلنه يسوع المسيح بهبة من الله ليكشف لعباده ما لابد من حدوثه عاجلا، فأرسل ملاكه ليخبر عبده يوحنا"[4]. وهذا يعني ان ما اعلنه يوحنا هو ما اخبره به المسيح، ولكن الاخير لم يكن يعرف تلك الاحداث من ذاته بل نتيجة هبة من الأب، وهذا التصور، أي معرفة الله بالغيب فقط، مهم ليس لأنه يوحي بتفوق الاب حسب، بل لأنه لو ربطناه بالتصور القائل ان الروح القدس يعرف المستقبل، فإن ذلك يشير الى تفوق الروح القدس على الابن ايضا، فالروح القدس له القدرة على كشف المستقبل ويخبرنا بولس: "ان الروح القدس كان يحذرني في كل مدينة ان

---

[1]) انجيل توما(النسخة القبطية): 44.

[2]) متى،24: 36؛ مرقس،13: 32.

[3]) اعمال الرسل،1: 6-7.

[4]) رؤيا يوحنا،1: 1.

القيود والمشقات تنتظرني"[1]؛ وعندما نزل بولس في مدينة قيصرية التقاه نبي يهودي يدعى أغابوس، فأخذ حزام بولس وقيد به رجليه ويديه، ثم قال: "يقول الروح القدس: صاحب هذا الحزام سيقيده اليهود هكذا في اورشليم ويسلمونه الى أيدي الوثنيين"[2]. والمسيح الذي لا يعرف الغيب قيل عنه انه يعرف ما في قلوب البشر، لكن نصا مسيحيا ينسب هذه الخاصية الى الاب وليس الى الابن: "يا رب، يا من يعرف القلوب، يا والد مولانا يسوع المسيح"[3].

ان يسوع يؤكد الفارق بينه وبين الله عندما يؤكد ان الاعتراف به امام الناس سيقابله اعتراف من يسوع بهذا الشخص امام ملائكة الله، واذا انكره شخص ما امام الناس يقوم يسوع بالعمل ذاته امام ملائكة الله: "من أعترف بي امام الناس، يعترف به أبن الانسان امام ملائكة الله، ومن أنكرني امام الناس، ينكره أبن الانسان امام ملائكة الله"[4]. ولكن ان كان المسيح هو الاقنوم الثاني لله، وهو مساوٍ للأب في المنزلة لماذا لم يقل انه سيعترف أو ينكر أي شخص امام ملائكته هو باعتباره الله؟!!!، ولاسيما ونحن نقرأ في نصوص اخرى ان للمسيح ملائكة يعملون تحت امرته؛ وهذا التصور يتوافق مع نص يؤكد فيه المسيح: ان أي شخص المؤمن به فإنه سيشهد له امام أبيه والملائكة[5]. كما ان المسيح ليس له ادنى رأي فيمن يجلس معه في الملكوت، لأن ذلك بأمر الأب، فعندما طلب يعقوب ويوحنا ابنا زبدي ان يجلسا مع يسوع احد عن يمينه، والثاني عن

---

[1]) اعمال الرسل،20: 23.

[2]) اعمال الرسل،21: 10-11.

[3]) اعمال القديس بولس وتكلا: 24.

[4]) لوقا،12: 8-9.

[5]) رؤيا يوحنا،3: 5.

شماله في مملكته السماوي قال لهما: "اما الجلوس عن يميني أو عن شمالي فلا يحق لي ان اعطيه، لأنه للذين هيأه الله(الاب)[1] لهم"[2]. ويسوع قبل ايام من صلبه ومع ادراكه قرب ساعته لا يتوانى عن التوجه الى الاب متضرعا له لكي ينجيه: "يا أبي نجني من هذه الساعة؟..."[3].وعندما كان يسوع يصلي حزينا في جتسماني مع اقتراب موته نجده يقول: "ابي، يا أبي، أنت قادر على كل شيء، فابعد عني هذه الكأس، ولكن لا كما أنا اريد، بل كما أنت تريد"[4]. ثم يقول مرة ثانية: "يا ابي اذا كان لا يمكن ان تعبر عني هذه الكأس، الا ان اشربها فلتكن مشيئتك"[5]. ولوقا يقدم هذه الحادثة بشكل مختصر ولكنه واضح: "يا أبي ان شئت فابعد عني هذه الكأس! ولكن لتكن ارادتك لا ارادتي"[6]. وهذا النص يؤكد ان ارادة الاب هو من يتحكم في الابن وبالتالي كيف يمكن ان نتصور انهما متساويان في المنزلة. ولكن النص الاهم الذي يشير بشكل واضح الى الفرق الشاسع بين الابن والاب هو مشهد الصلب، اذ ينادي يسوع الله قائلا: "الهي، الهي، لماذا تركتني؟"[7]. وهذا النص يوضح كيف ان يسوع يستنجد بقوة اعظم منه وليست موازية له!!!؛ وان كان لوقا يقدم نصا مغايرا لما حدث ولكن رغم الاختلاف فأن ما يمكن ان نفهمه ان يسوع كان قوة اعلى منه: "يا أبي في

---

[1]) يرد عند متى بصيغة الاب، ولدى مرقس بصيغة الله، وهذا يشير ان الاب والله مترادفين.

[2]) متى،20: 20-23؛مرقس،10: 35-40.

[3]) يوحنا،12: 27.

[4]) متى،26: 39؛ مرقس،14: 36.

[5]) متى،26: 42.

[6]) لوقا،22: 42.

[7]) متى،27: 46؛ مرقس،15: 34. ويرد هذا النص بشكل مغاير في نص مسيحي اخر يقول على لسان المسيح: "يا قوتي، ايتها القوة، لقد تخليت عني". انظر: انجيل شمعون الصفا،5: 19.

يـديك اسـتودع روحي"[1]. ان هـذه المشـكلة أي عـدم تسـاوي الابـن مـع الاب في المنزلـة لـم تشـغل بـال المـؤرخين الحـاليين بقـدر مـا شـغلت اذهـان اللاهـوتيين الاوائل، فما تبقى من اعمال اوريجانس يلمس فيها قولا بثالوث متدرج: "فنحن الذين نقول ان العالم المنظور هو تحت إرادة من خلق كل شيء نعلن ان الابن ليس اقوى من الأب بل دونه". وجاء في تعليقه على انجيل يوحنا: "ان الأب الذي ارسلني هو اعظم مني"[2]، قوله: "نعترف ان المخلص والروح القدس اعظم من كل الاشياء التي صُنعت، ولكننا نعترف ان الأب اعظم منهما بقدر ما هما أعظم من المخلوقات". والمسيح المتجسد هو روح يسوع الموجود منذ الازل الوسيط بين الالـه الكلمـة اللامتنـاهي، وبين جسـد المسـيح المحـدود: "ولما كانـت طبيعـة الله لا تتمـازج مـع جسـم بـدون أداة وسـيطة، وكانـت مـادة روح يسـوع وسـطا بـين الله والجسد،(من اجل ذلك) وُلد الاله الانسان[3].في حين يرفض بطرس الاسكندري الـذي تـوفي عـام 311م مسـألة التـدرج في الثـالوث التي أكـد عليها اوريجـانس[4]. ويفـرق هيبوليتـوس الرومـاني بين الكلمـة الكامنـة في الله الأب والكلمـة الملفـوظ، فقال بشيء من التدرج في الثالوث، والتطور في الاله الكلمة بطريقة اختطها الله الأب[5].امـا نواتيـانوس فقـد اختلـف عـن سـابقيه مـن اللاهـوتيين بـأن حـاول ان ينهج نهجا وسطا بين المونارخيين الذين عدوا المسيح انسانا مملوءً من قوة الله، وبين الموداليين الذين لم يروا في المسيح الا مظهرا من مظاهر الخالق. وقد اشتد

---

1) لوقا،23: 46.

2) انظر: يوحنا،14: 28.

3) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص131.

4) المصدر نفسه،ج2،ص138.

5) المصدر نفسه،ج2،ص166.

اهتمامه بوحدة الله الى حد لم يجرؤ ان يستعمل مصطلح ترياس (Trias) الاغريقية، أو ترينيتاس(Trinitas) اللاتيني، وكلاهما يعني الثالوث. والمسيح في نظر نواتيانوس ظل دائما خاضعا لله قائما بدور الملاك صاحب المشورة العظمى والرسول. كما ان الابن عند نواتيانوس هو أقل من الأب، والروح القدس فإنه أقل من الابن-وهو يخالف الاستنتاج الذي توصلت اليه هذه الدراسة حول كون الروح القدس اعلى شأنا من الابن- والروح القدس هو الذي عمل بواسطة الانبياء بصورة وقتية، وبالرسل بصورة دائمة، وهو الذي يكمل الكنيسة، ويحفظها من الفساد والخطيئة، والبشر يتسلموه من المسيح الذي تسلمه عند المعمودية، ويولدوا به ثانية بالمعمودية[1].ونعرف ان ترتليانوس قال بالتدرج ففرق بين الكلمة الكامن، والكلمة الملفوظ، الامر الذي جعله يعد التوالد الالهي توالدا متدرجا. ومع إن الحكمة والكلمة هما اسمان لمسمى واحد هو الأبن فإن ترتليانوس فرق بين ولادة سابقة للخلق هي ولادة الحكمة، وولادة لاحقة هي ولادة اللحظة التي تُخلق فيها الحكمة، عندئذ ارسل الاب الكلمة وصار الحكمة الكلمة، عندما قال الله: "فليكن نور"[2]. من جانب اخر عاود اريوس الاخذ بنظرية المسيح الملاك، اي المسيح المتماهي برئيس الملائكة القديس ميخائيل وهي فكرة ظهرت في روما في القرن الثاني الميلادي[3].

بعد الانتهاء من استعراض مسألة الوهية المسيح من حق أي باحث ان يتساءل ان كان هذا المعتقد اصيلا أي من ابتكار المسيحيين ام لا؟ واذا كان مقتبسا فما هو مصدره؟ أو بتساؤل ادق: كيف نشأت عقيدة الوهية المسيح؟.

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص170-171.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص179.

[3]) اليادة، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ج2، ص445.

ان دراسة متأنية للتقاليد المسيحية يتضح منها وجود اربع مصادر نشأت عن طريقها المعتقد المسيحي الخاص بألوهية المسيح وهي:

-**المصدر الشرقي واليهودي القديم**: من خلال النصوص يظهر تأثر الكتابات المسيحية بالأدبيات القديمة في الشرق[1]، وشكلت نصوص العهد القديم الركيزة الرئيسة لما يرد عن المسيح في الكتابات المسيحية.

-**المصدر اليهودي المتأغرق**: ويتمثل بأفكار فيلون اليهودي الذي قدم لنا مصطلح ابن الله، والفيلسوف اليهودي فيلون الاسكندري(30 قبل الميلاد-50م) قد تحدر من اسرة كهنة، ودرس الفلسفة الاغريقية، ثم أنبرى يؤول نصوص العهد القديم ليؤكد اثره في الفكر الفلسفي الاغريقي، والذي قدم قبل ظهور المسيحية مصطلح أبن الله. اذ يعتقد فيلون ان ظاهر النص في العهد القديم هو الظل فقط، اما الحقيقة فإنها باطنية لا تُعرف الا بالتأويل. والله عند فيلون خالق، ولكنه بعيد عما يدركه العقل، فلابد اذاً من وجود وسطاء بين الانسان العاجز والله العلي، لأن النفس لا تستطيع الوصول الى الله دفعة واحدة. والوسطاء طبقات، فالوسيط الاول هو اللوغوس أو الكلمة ابن الله نموذج العالم، ويليه الحكمة، فرجل الله أو آدم الاول، فالملائكة، فنفس الله، فالقوات، وهذه ملائكة وجن تنفذ الاوامر الالهية. ويمكن ان نلاحظ لوغوس فيلون هو غير لوغوس يوحنا الحبيب، فهو تارة وسيط يخلق الله به العالم، وتارة شفيع، وتارة ملاك

---

[1]) جرى مؤخرا دراسة تأثير اسطورة ادابا في بلاد الرافدين بإحدى الاساطير المنسوبة لـ يسوع. انظر: اسامة عدنان يحيى، "مقارنة بين نماذج من ادب وادي الرافدين مع بعض النصوص الانجيلية والفارسية"، مجلة آداب المستنصرية، العدد:55، لسنة: 2011؛ ثم اعيد نشر الدراسة في: اسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الادنى القديم: دراسات وابحاث،(بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر،2015)،ص32-36.

ظهر للآباء، وقد يكون احيانا قانون العالم على طريقة هرقليطس والرواقيون، أو أبن الله البكر، أو مثال الانسان أو الانسان الاعلى، لكنه ليس احد الاقانيم الثلاثة كما لدى يوحنا الحبيب، فـ فيلون لم يقل بثالوث ولا بقول قريب منه[1].

-**المصدر الروماني**: وكان له الاثر الفاعل في ظهور معتقد الوهية يسوع، فبعد انتصار اوكتافيوس في معركة اكتيوم عام 31 قبل الميلاد على انطونيوس وكليوباترا، جرى الاعلان عن تأليه اوكتافيوس بعد ان مُنح لقب امبراطور(اوغسطوس)، فقد غدا الان: "الاله، والمنقذ، والمخلص، والمحرر، وأبن الرب، والرب، والرب من رب"، والمتحكم بالعالم كله، والمشرف عليه، وجرى تمثيله عاريا تحيط به هالة الشمس، والمثير هنا الشبه الشديد بين النعوت التي أضيفت على الامبراطور الروماني المؤله ثم على يسوع المؤله فيما بعد، مع استمرار ظاهرة العري في التمثيل والتصوير[2]. وبلا شك تم اخذ الكثير من الوهية الامبراطور الروماني لإضفائها على الوهية المسيح.

-**المصدر الايراني**: اذ نجد يسوع ومنذ وقت مبكر قد تقمص في التقاليد المسيحية شخصية ميثرا، وهو اله الشمس الايراني، فبات عيد ميلاده 25/ كانون الاول، وهو عيد ميلاد ميثرا، الذي كان تاريخه هو موعد الانقلاب الشتوي، مع ان روايات الاناجيل تشير ضمنا الى ميلاد يسوع كان في اواخر الصيف، أو اوائل الخريف، والا لما وضع في مزود ونام مع والديه في العراء. وفي الحفريات الاثرية التي جرت فوق تلة اللاتيران خارج روما حيث الفاتيكان حاليا، جرى الكشف عن قبر يرقى الى مطلع القرن الثالث الميلادي، أي قبل تأسيس

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص106.

[2]) زكار،الاناجيل،ص19.

عبادة الصليب من قبل القديسة هيلين ام الامبراطور قسطنطين الكبير، وكان مُلّاك هذا القبر وثنيين في البداية ثم صاروا مسيحيين، ويوجد على جدران القبر اقدم الايقونات الجنائزية المعروفة تاريخيا، وقد رُسم يسوع فيها راكبا في عربة وصاعدا فيها نحو الشمس، وهو يماثل امبراطورا يتمتع بالتأليه، أو اكثر من ذلك هو إله الشمس، لأن اشعة الشمس وراء رأسه، لكنها على شكل صليب، وقد رأى بعض الباحثين في هذا دليلا على تداخل طويل جدا بين إله الشمس ويسوع المسيح، لاسيما وانه كان في روما قبل عهد قسطنطين الكبير خمسين معبدا لإله الشمس ميثرا، وكانت عبادة هذا الاله هي العبادة المنتشرة بين الجنود الرومان[1].

-**المصدر الهندي**: وهو الاهم الذي لولا لما كان من الممكن ظهور مفهوم الثالوث، اذ ان أقدم دليل على مفهوم الثالوث وفق الفهم المسيحي: ثلاثة يؤلفون واحد، والواحد هو في الوقت ذاته يتكون من ثلاثة، يظهر في الفلسفة الهندية، فحوالي القرن التاسع قبل الميلاد توصل الكهنة الهنود الى مفهوم التثليث عندما جمعوا ثلاث الهة في إله واحد، وقالوا إنه هو الذي اخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه، ثم يدمره ويرده إليه، واطلقوا عليه ثلاث اسماء، فهو براهما الخالق، وهو فشنو الحافظ، وهو شيفا المدمر، وهكذا فتح الكهنة الهنود الباب للمسيحيين فيما يسمى: تثليث في وحدة، ووحدة في تثليث. ف براهما يعادل اسم الله في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمان الاله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها، لا حد له، وهو الاصل الازلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده. ويرد في كتاب: الباگافاتا بورانا ان

---

[1]) زكار،الاناجيل،ص18-19.

كاهنا توجه الى الالهة براهما وفشنو وشيفا وسألهم: "أيكم الاله بحق؟"، فأجابوا جميعا: "أعلم ايها الكاهن انه لا يوجد أدنى فرق بيننا نحن الثلاثة، فإن الاله الواحد يظهر بثلاثة اشكال بأعماله من خلق، وحفظ، ودمار، ولكنه في الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا، أو عبد الواحد الاعلى[1]. وهكذا يظهر ان المسيحيين الإول تمكنوا من اعادة دمج كل تلك المصادر ليخلقوا منها الوهية المسيح.

ان المسألة التي يجب فهمها ان المسيحيين الاوائل لم يقروا بالأجماع بما ورد في الاناجيل الرسمية، فالغنوصيين لهم اراءهم الخاصة في المسيح وعلاقته بالله تختلف عن تلك التي ترد في النصوص الرسمية، واذا جاز التعميم حول تعاليم الغنوصيين المسيحيين فيمكن القول بشكل عام: انهم اعتقدوا بثنائية بين إله العهد القديم، وإله العهد الجديد، فإله العهد القديم هو رئيس الملائكة الاشرار، وإله العهد الجديد هو إله الحق خالق العالم، وأبو المسيح، وإله المسيحيين، ولا صلة بين مسيح العهد الجديد، والمسيح الذي تنبأ به الانبياء في العهد القديم. وقد اراد الأب ان يقضي على العمل المشؤوم الذي عمله إله العهد القديم فأنزل المسيح من السماء، الذي لم يولد من العذراء مريم بل ظهر تام التكوين. ولم يتخذ له جسما ماديا بل ظهر في شبه جسم لأن المادة رديئة[2]. واعتقد احد الغنوصيين ويدعى كيرنثوس(Cerinthus) ان يسوع هو ابن يوسف

---

[1]) احمد شلبي، أديان الهند الكبرى: الهندوسية-الجينية-البوذية،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،2000)،ص46-48.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص93.

ومريم؛ وبتعميده[1]، نزل عليه المسيح بشكل حمامة، وكُشف له الاب المجهول، ثم انه قبل الالام عاود الصعود لقرب الاله الاب. وحوالي عام 120م اعلن غنوصي اخر ويدعى كاربوقراط مذهبا مشابها، اذ يعتقد ان يسوع هو ابن يوسف، ولكن قوة قد قدسته، والذي يتلقى قوة يصبح مساويا ليسوع، وهو مؤهل لإكمال ذات المعجزات[2]. الا ان التصورات المسيحية المبكرة لا تقف عند هذا الحد، بل تأخذ ابعاد اكثر عمقا، فحسب احد الغنوصيين وهو فالانتينوس المتوفي في الاسكندرية عام 161م، لم يكن المسيح ابنا لله، أو ابنا ليوسف. فقد اعتقد فالانتينوس الكون مكون من 30 ايون(15 زوج من الايونات) وهي: الزوج الاول مكون من الاب والصمت(وردت عند البعض الاب والفكرة اي اينويا/Ennoia) وان الاب وهو مبدأ مطلق، وغير مرئي، ولا يمكن فهمه، وكان بصحبة الصمت(Sighê)، وقد ولّد الزوج المتمثل (بالروح والحقيقة)، والذي يخرج منه الزوج (كلمة الله والحياة)، واللذان ينتجان بدورهما (الانسان والكنيسة)، ثم انبثق من كلمة الله والحياة 10 ايونات، ومن الانسان والكنيسة 12 ايون، الذين بمجموعهم يشكلون سوية البليروم(Pleirome). ولكن في الدرجة الاخيرة من الـ 12 ايون هناك الايون المؤنث صوفيا(Sophia) اي الحكمة، وهي روح فضولية، تعميها رغبتها لمعرفة الاب، وتريد من اجل تقليده ان تتناسل، ولا تنجح الا في توليد المادة عديمة الشكل، ونتيجة عملها هذا تثير

[1]) حسب التقويم المسيحي الرسمي كان يوم 6 كانون الثاني هو اليوم الذي تم تعميد المسيح فيه، ويطلق عليه عيد الظهور، اذ فيه اظهر الثالوث الاقدس ذاته فالأبن هو المُعَمد، والروح القدس هو الذي استقر عليه بشكل حمامة، والاب كان الصوت الذي جاء من السماء قائلا: "هذا هو ابني الحبيب وبه سررت". انظر هذه الحادثة في: متى،3: 16-17؛ مرقس،1: 9-11. انظر كذلك: زيعور،اوغسطينوس،ص41.

[2]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج2،ص411.

ازمة على اثرها يظهر الشر، وتظهر الالام، وان صوفيا والخلائق الضالة المترسبة من البليروم تنتج الحكمة الدنيا. وبناء على رجاء ايونات البليروم، يغفر الاب للحكمة صوفيا، ويجيز للروح والحقيقة انتاج زوج جديد، هو المسيح والروح القدس، وهكذا يسود السلام مجددا في البليروم، واخيرا يتحد كل السكان ليلدوا الايون يسوع، الذي يمر عبر العذراء، كما يمر الماء في الانبوب، ويجيء لأجل اعادة ارساء النظام الكوني. وينزل المنقذ(يسوع) في الاقاليم الدنيا، ويؤلف المادة غير المرئية التي تشكل مع العناصر المادية الاتية من الحكمة الدنيا، ومع العناصر النفسية، الخالق اي اله العهد القديم. وهذا الاخير يجهل وجود عالم اعلى ويعد نفسه الاله الوحيد، لذا يقوم بخلق العالم المادي، ثم يقوم الخالق بخلق صنفين من البشر عن طريق احيائهما من نفخته هما: الماديين، والنفسيين، ولكن العناصر الروحية الاتية من الصوفيا العليا، تدخل بلا علمه في نفخة الخالق، وتُوّلد طبقات الانسام الغازية، وهكذا يُقّسم فالانتينوس الناس الى غازيين(روحانيين)، وهم المسيحيون، والى نفسيين وهم اليهود، وماديين؛ والاولون يخلصهم العرفان، والثاني فعل الخير، ولكن المجموعة الثالثة يعودون الى التراب الذي اتوا منه. وبهدف انقاذ اتباعه الروحيين الاسرى في المادة نزل المسيح على الارض، وبدون ان يتجسد، كشف عن المعرفة المحررة(العرفان)، وهكذا فإن الانسام الغازية المتيقظة بالعرفان هي وحدها فقط تعاود الصعود نحو الاب[1].

[1]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج2،ص412.

المسيح الفادي.

يظهـر المسـيح في الكتابـات المسـيحية وهـو يضـحي بنفسـه في سـبيل البشرية، وهو امر من غير شك لم يكن من نتاج المسيحيين ايضا كما هو الحال في مسألة الوهية المسيح، وربما هذا المعتقد حاله كحال عقيدة الثالوث ذات اصول هندية اقتبسها المسيحيون وطوروها بما يتوافق مع طبيعة الديانة المسيحية، اذ تحدث الهنود عن الاله كرشنا وانه صُلب فداء لتقديم الخلاص للبشرية، وصُور كرشنا مصلوبا وفوق رأسه تاج من نور، وفيما بعد صور المسيحيون يسوع المصلوب وعلى رأسه تاج من شوك. ونقرأ في الروايات المسيحية ان احد الحراس هو الذي اجهز على المسيح بطعنه بجنبه بحربته، ولكنه ندم على ذلك، وفي حكاية صلب كرشنا نجد صيادا رمى كرشنا بحربة، وبعد فعل ذلك: "ندم وتضرع إليه قائلا: ارحمني انا الذي اهلكتني ذنوبي، وانت القادر على هلاكي، فأجابه كرشنا: لا تخف، اذهب الى السماء مسكن الالهة، ولما قال هذا الكلام ظهرت مركبة حملته الى السماء". وفي النيبال كان الاله المصلوب اسمه اندرا، وقد عُلق على الصليب، وثُقب بالمسامير حتى يخلص البشر من ذنوبهم. وفي البوذية كان بوذا هو طيب عظيم ومخلص للعالم، وبولادته وتجسده تخلى عن مجده كله ليخلص الناس من الشقاء والعذاب[1]. وهكذا يتضح جليا الاثر الفعال للأسطورة الهندية في المعتقد المسيحي.

اذا ما عدنا الى المسيحية فإن هذا المعتقد يعرف بسر الفداء، وهو امر شرحه القديس اوغسطين بالشكل التالي: ان المسيح بتوسطه بين الله والناس، أي قضية تجسد الكلمة، قد عمل على ان يخلص الناس من ربقة الجسد،

[1]) زكار،الاناجيل،ص92-93.

وبالتالي من الموت؛ فبموته قتل الموت ذاته، ووهب للجميع حقوقهم في الحياة. وينسق اوغسطين غايات الفداء فيعددها قائلا:

1.افسد المسيح بصلبه عقد عدم المودة الذي وقعه البشر ضد الله

2.هدى البشر الى طريق التواضع والخضوع.

3.جاء ليغذي البشر مباشرة وشخصيا من حكمته السامية.

4.نظر الى البشر من خلال الجسد الذي كان يسجنه، فأفعمنا بعطفه والهبنا المحبة.

5.لا يكف عن ان يبقى في السماء مدافعا عنا لدن الله[1].

وقبل مناقشة الهدف من التضحية التي قدمها المسيح علينا ان نقدم عدة ملاحظات حول مسألة الفداء ذاتها وهي:

1. حمل الفداء والكاهن:

عد المسيح في النصوص المسيحية المبكرة كبشا للفداء يذبح من اجل التكفير عن الخطايا: "ها هو حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"[2]؛ والمسيح هنا ليس حملا عاديا بل حمل الفصح: "فحمل فصحنا ذُبح وهو المسيح"[3]. والمسيح حمل خال من الدنس، فالله افتدى البشر: "لا بالفاني من الفضة أو الذهب، بل بدم كريم، دم الحمل، الذي لا عيب فيه، ولا دنس، دم المسيح"[4]. وفي الوقت الذي كان فيه المسيح الحمل الذي يقدم نفسه ذبيحة للتكفير عن الخطايا كان ايضا هو الكاهن الذي يقدم هذه الاضحية؛ فهو كاهنا حقيقيا

---

1) زيعور، اوغسطينوس، ص154.

2) يوحنا، 1: 29، 36.

3) كورنثوس الاولى، 5: 7.

4) بطرس الاولى، 1: 18-19.

قدم ذاته لله الاب ذبيحة حقيقية وفاء عن خطايا الناس[1]؛ لذا يصفه القديس اقليمس بالكاهن الاعظم[2]؛ فالمسيح ككاهن قدم الاضحية في المعبد[3]، اذ دخل قدس الاقداس وقدم اضحيته، ولكن تلك الاضحية ليست قرابين حيوانية بل هو ذاته: "دخل قدس الاقداس مرة واحدة، لا بدم التيوس والعجول، بل بدمه، فكسب لنا الخلاص الابدي. فإذا كان رش دم التيوس والثيران ورماد العجول يقدس المنجسين ويطهر جسدهم، فما أولى دم المسيح الذي قدم نفسه الى الله بالروح الازلي قربانا لا عيب فيه، أن يطهر ضمائرنا من الاعمال الميتة"[4]. فالمسيح يتماثل مع الحيوانات التي تقدم كذبائح للتكفير عن الخطايا بشكل واضح وصريح في الادبيات المسيحية، فالحيوانات التي يدخل رئيس الكهنة بدمها الى قدس الاقداس كفارة للخطيئة تأكل النار اجسادها في خارج المحلة حسب الشريعة اليهودية، ولذلك: "مات يسوع في خارج باب المدينة، ليُقدس الشعب بدمه"[5]؛ كما ان المسيحيين يقدمون المسيح لله ذبيحة: "فلنقدم لله بالمسيح ذبيحة الحمد في كل حين"[6]. ولعل اكثر النصوص المسيحية التي طابقت المسيح بالحمل هو رؤيا يوحنا اللاهوتي الذي يظهر فيه المسيح بصورة الحمل المذبوح[7]. واذا كان المسيح حمل فأمه نعجة على حد

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص31.

[2]) رستم، آباء الكنيسة، ص15.

[3]) اعمال القديس توما: 79.

[4]) العبرانيين،9: 12-14.

[5]) العبرانيين،13: 11-12.

[6]) العبرانيين،13: 15.

[7]) رؤيا يوحنا، 5: 8، 12؛ 6 :1، 16؛ 7: 9، 14، 17؛ 12: 11؛ 13: 8؛ 14: 4، 10؛ 15: 3، 17: 4؛ 19: 7، 9؛ 21: 9، 14، 22، 23، 27؛ 22: 1، 3.

وصف ميلتون البتول: "هذا هو الحمل الذي ذُبح، الحمل الابكم الصموت، هذا هو الذي وُلد من مريم النعجة النقية"[1].

2. مخلص العالم:

ان الله هو من قرر ان يتولى المسيح مهمة خلاص البشرية: "جعله(الله) رئيسا ومخلصا"[2]؛ ارسله لكي يخلص كل العالم: "ان الأب ارسل ابنه مخلصا للعالم"[3].وحسب التقاليد المسيحية المعترف بها كان يوسف النجار عندما اكتشف ان خطيبته مريم حاملا قبل زواجه منها قرر ان يتركها سرا وبينما هو يفكر في الامر ظهر ملاك الرب في الحلم وقال له: "يا يوسف ابن داود، لا تخف ان تأخذ مريم امرأة لك، فهي حبلى من الروح القدس، وستلد ابنا تسميه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[4]. والنبي زكريا يقول: "تبارك الرب اله اسرائيل لأنه تفقد شعبه وافتداه، فأقام لنا مخلصا قديرا في بيت عبده داود، كما وعد من قديم الازمان..."[5]. والقابلة التي ذهبت الى الكهف الذي ولُد فيه يسوع وقفت هي ويوسف خطيب مريم عند مدخل الكهف، ونظرا فشاهدا غمامة مضيئة تغطي الكهف، فقالت: "تمجدت نفسي اليوم لأن عيني شاهدت اشياء رائعة، لأن الخلاص قد ولد لبني اسرائيل"[6]. وملاك الرب عندما ظهر

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص86.

[2]) اعمال الرسل،5: 31.

[3]) يوحنا الاولى،4: 14.

[4]) متى،1: 19-21؛ انظر ايضا صيغة اخرى لكلام ملاك الرب مع يوسف في : انجيل البداية ليعقوب،14: 2؛ قصة يوسف النجار،17: 8.

[5]) لوقا،1: 68-70.

[6]) انجيل جيمس،19: 1.

للرعاة في اليوم الذي ولد فيه يسوع قال لهم: "ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"[1]؛ كما قال ملاك الرب الى القابلة سالومي التي يبست يداها لأنها شكت في عذرية مريم بأن تذهب الى الطفل وتلمسه لكي يشفيها[2] لأنه: "منقذ/مخلص العالم"[3]؛ كما اكد الرعاة الذين شهدوا ولادة المسيح انهم سمعوا الملائكة يغنون بترنيمة عند منتصف الليل، ويمجدون رب السماء، ويباركونه قائلين: "منقذ الجميع، الذي هو مسيح الله قد ولد، الخلاص سوف يعود الى بني اسرائيل من خلاله"[4].وكان في اورشليم رجل صالح تقي اسمه سمعان ينتظر الخلاص لإسرائيل، وكان الروح القدس قد أوحى اليه انه لا يذوق الموت قبل ان يرى مسيح الرب، فجاء الى الهيكل بوحي من الروح، ولما دخل يوسف ومريم ومعهما الطفل يسوع حمله سمعان بين ذراعيه وقال: "يا رب تممت الان وعدك لي فاطلق عبدك بسلام. عيناي رأتا الخلاص الذي هيأته للشعوب كلها. نورا لهداية الامم، ومجدا لشعبك اسرائيل"[5]. والنبية حنة

---

[1]) لوقا،2: 11.

[2]) حول حادثة القابلة سالومي والشفاء الاعجازي انظر: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص376.

[3]) انجيل متى المزيف،13: 13.

[4]) انجيل متى المزيف،13: 16.

[5]) لوقا،2: 25-32. وحسب التقويم المسيحي يحتفل المسيحيون بهذه المناسبة يوم 2 شباط. انظر: زيعور،اوغسطينوس،ص41-42. وحسب نص مسيحي منحول ان سمعان هذا(شمعون) تولى كهانة الهيكل بعد مقتل زكريا والد يوحنا المعمدان: "بعد اربعة ايام(من مقتل زكريا) اجتمع الكهنة، وتشاوروا حول من ينبغي لهم ان يعينوه عوضا عنه، ووقع الاختيار على شمعون، والان قد كان هذا هو الذي كُشف له من قبل الروح القدس انه لن يشهد الموت حتى يرى المسيح في الجسد". انظر: انجيل جيمس،24: 4.

عندما شاهدت المسيح وهو ما يزال طفلا لم تتمالك نفسها وسجدت له قائلة: "ان فيه فداء العالم"[1]، بل ان معنى يسوع في العبرية هو الافتداء[2]؛ ويقول القديس بولس ان المسيح: "يستهدف الخلاص للناس"[3]؛ونجد ان السامريين الذي آمنوا بـ يسوع اعلنوا صراحة بأنه: "مخلص العالم"[4]؛ في حين يقول المسيحيون بشكل عام ان يسوع المسيح هو: "مخلصنا"[5]؛ ويؤكد توما ان المسيح هو: "مخلص الملوك والامراء"[6]، بل انه : "مخلص الجنس البشري"[7]؛ وكاتب مسيحي اخر يقول بثقة عن المسيح: "سوف يعيد الوعد ليس فقط لبني اسرائيل بل الى جميع الامم"[8]؛ ويخاطب يوسف النجار في صلاته المسيح قائلا: "يسوع يا مخلصي، يسوع يا محرر نفسي"[9]؛ ويستعاض احيانا في النصوص المسيحية عن اسم المسيح بمصطلح المخلص[10]. وحسب المفاهيم المسيحية ان: "ابن الانسان جاء لا ليخدمه الناس، بل ليخدمهم ويفدي بحياته كثيرا منهم"[11]؛ لذا يقال عنه: "هو الذي كان مفدى، قد فدى الاخرين"[1]؛ فوجود

---

[1]) انجيل متى المزيف،15: 9.

[2]) انجيل فيلبس،34: 4.

[3]) اعمال القديس بولس وتكلا: 17.

[4]) يوحنا،4: 42.

[5]) تيموثاوس الثانية،1: 10؛ تيطس،1: 3-4؛ 2: 13؛ 3: 5؛ بطرس الثانية،1: 1، 11؛ 2: 20؛ 3: 2، 18. انظر قول القديس اقليمس: "المسيح سيدنا ومخلصنا"، في: رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص18.

[6]) اعمال القديس توما: 139.

[7]) اعمال القديس توما: 136.

[8]) انجيل متى المزيف،3: 18.

[9]) قصة يوسف النجار،17: 6.

[10]) بردية اوكسرنخوس: 840.

[11]) متى،20: 28؛ مرقس،10: 45.

المسيح الرئيس في العالم هو لتحقيق الخلاص للبشر: "لا خلاص الا بـ يسوع، فما من اسم تحت السماء وهبه الله للناس نقدر به ان نَخلُص"[2]؛ فالمسيح هو مصدر الخلاص الاوحد: "لما بلغ الكمال صار مصدر خلاص أبدي لجميع الذين يطيعونه"[3]؛ فهو الباب المؤدي الى الخلاص: "أنا هو الباب فمن دخل مني يخلص"[4]؛ وهو القائد الذي يقود البشرية الى الخلاص: "جعل(الله) قائدهم الى الخلاص كاملا بالآلام"[5]؛ الذي يعمل على خلاص المخطئين: "ابن الانسان جاء ليخلص الهالكين"[6]؛ و: "ابن الانسان جاء ليبحث عن الهالكين ويخلصهم"[7]؛ و: "ان المسيح يسوع جاء الى العالم ليخلص الخاطئين"[8].فالمسيح لم ينزل الى الارض لكي يدين البشرية بل ليخلصها: "ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم"[9]؛ وهذا الخلاص الذي يقدمه المسيح هو خلاص نهائي: "هو قادر ان يخلص الذين يتقربون به الى الله خلاصا تاما، لأنه حي باق ليشفع لهم"[10].

---

[1]) انجيل فيلبس، 67: 4.

[2]) اعمال الرسل،4: 12.

[3]) العبرانيين،5: 9.

[4]) يوحنا،10: 9.

[5]) العبرانيين،2: 11.

[6]) متى،18: 11.

[7]) لوقا،19: 10.

[8]) تيموثاوس الاولى،1: 15.

[9]) يوحنا،12: 47.

[10]) العبرانيين،7: 25.

3. التضحية بالمسيح كانت مقررة منذ الازل:

ان هذه التضحية التي يقدمها السيد المسيح ليست آنية بل هي مقررة منذ الازل: "كان الله اختاره قبل انشاء العالم"(1)؛ والمسيح يموت كما هو مقدر له من الله: "حين أُسلم اليكم بمشيئة الله المحتومة وعلمه السابق، صلبتموه وقتلتموه بأيدي الكافرين"(2)؛ بمعنى ان المسيح مات من اجل الخاطئين في الوقت الذي حدده الله(3)؛ ان المسيح كما تشير الوثائق المسيحية كان من المفترض انه قد ورد ذكره في النصوص اليهودية المقدسة: "فتشوا في الكتابات المقدسة، التي تعتقدون انكم تمتلكون فيها حياة، انها هي التي تقدم الشهادة لي"؛ وان ايمان اليهود بموسى يتوجب ايمانهم بالمسيح: "اذا كنتم آمنتم[بموسى] توجب عليكم الايمان بي، لأنه كتب الى آبائكم عني"(4). وان ذكر المسيح في الكتابات المقدسة اليهودية(5) يعني ذكر التضحية التي توجب عليه القيام بها، فهذه التضحية من المفترض انها ترد بشكل واضح في الكتب المقدسة: "ابن الانسان سيموت كما جاء عنه في الكتب المقدسة"(6)؛ وان كاتب العهد الجديد استند في قوله هذا على احد نصوص المزامير(7).لذا نجد يسوع بعد قيامته ولقائه بتلاميذه يقول لهم: "لابد ان يتم لي كل ما جاء عني في شريعة موسى

---

1) بطرس الاولى،1: 20.

2) اعمال الرسل،2: 23.

3) رومة،5: 6.

4) بردية ايغرتون: 2.

5) حسب ذات البردية اعلاه فإن اليهود ينكرون تماما معرفتهم بالمسيح: "بالنسبة لك، فنحن لا نعرف من اين جئت؟". انظر: بردية ايغرتون: 2.

6) متى،26: 24.

7) مزامير،22: 2-19.

وكتب الانبياء والمزامير". ثم فتح اذهانهم ليفهموا الكتب المقدسة، واخيرا قال لهم: "هذا ما جاء فيها وهو ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث"[1]؛ ويقال ان المسيح قال لليهود امام بيلاطس اثناء المحاكمة: "لقد اخبر موسى والانبياء بموتي وقيامتي"[2].ولهذا في لحظة القبض على يسوع أستل احد تلاميذه سيفا للدفاع عنه ولكن يسوع اخبره بأن يُنزل سلاحه ثم نجده يقول: "أ تظن اني لا اقدر ان أطلب الى أبي، فيرسل لي في الحال اكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة؟ ولكن كيف تتم الكتب المقدسة التي تقول ان هذا يجب ان يحدث"[3]. وفي الاسلوب ذاته يتحدث بطرس عن صلب يسوع: "فأتم الله ما أوحى الى جميع انبيائه وهو إن مسيحه سيتألم"[4]،ويقول بولس هو الاخر ان المسيح مات: "من اجل خطايانا كما جاء في الكتب"[5].فـ يسوع يدرك جيدا مصيره وضرورة موته لذا نجده ينبئ اتباعه في الكثير من المناسبات عن الآمه التي سيتعرض لها: "ابن الانسان سيتألم على ايديهم"[6]؛ كما نجد يسوع يقول: "أشرب كأس الالام التي جعلها لي الاب"[7]؛ ثم يشير الى صلبه: "يسلم أبن الانسان ليصلب"[8]؛ ولكن موت يسوع ليس ابدي فهو قد انبأ تلاميذه بأنه

---

[1]) لوقا،24: 44-46.

[2]) انجيل نيقاديموس،4: 3.

[3]) متى،26: 53-54. يستشهد القديس توما في هذه الحادثة وينسبها الى القديس بطرس. انظر: اعمال القديس توما: 86.

[4]) اعمال الرسل،3: 18.

[5]) كورنثوس الاولى،15: 3.

[6]) متى،17: 12.

[7]) يوحنا،18: 11.

[8]) متى،26: 2.

سيموت قتلا في اورشليم ثم يقوم من الموت بعد ثلاثة ايام[1]. وهذا المصير أي القيامة هي الاخرى مقررة منذ الازل: "انه دفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب"[2].وبالفعل بعد صلب يسوع، وموته، ودفنه[3]، نجده يقوم من الموت بعد ثلاثة ايام[4]، بعد أن: "حطم قيود الموت"[1]؛ أي انه: "هزم الموت"[2]؛

---

[1]) متى،16: 21؛ 17: 9، 22-23؛ 20: 18-19؛ 26،45؛ مرقس،8: 31؛ 9: 9، 31؛ 10: 33-34؛ 14: 41؛ لوقا،9: 22، 44؛ 24: 7؛ 18: 31-33.

[2]) كورنثوس الاولى،15: 4.

[3]) حول تفاصيل حادثة صلب ودفن المسيح انظر: متى،27: 32-61؛ مرقس،15: 21-47؛ لوقا،23: 26-56؛ يوحنا،19: 17-42. ومن الجدير بالذكر ان الاناجيل الرسمية تشير الى انه اثناء وجود يسوع على الصليب وعند الظهر خيم على الارض كلها ظلام حتى الساعة الثالثة، وبعد موت يسوع حدث زلزال في المدينة. هذه الوصف الذي تطور في النصوص غير الرسمية ليجعل من تلك الحادثة معجزة عالمية، ففي نص مسيحي نقرأ فيه كيف استدعى الامبراطور الروماني الحاكم بيلاطس ليسأله عن تصرفه اللا شرعي الذي سبب حلول: "الظلام والزلازل على جميع العالم". انظر: بيلاطس بارادوسيس: 1، 6. وفي نص مسيحي اخر يعزو المسيح سبب الزلزال الذي حطم الهيكل الى ملاك الانتقام الذي نزل الى الارض: "ولم يرغب بالصعود، لأنه رغب في تدمير جميع قوى العالم، ولكن عندما امرته انا بالصعود، صدر لهب عن يده، ودمر وسحق حجاب الهيكل، وقسمه الى قسمين، ليكون شهادة على بني اسرائيل من اجل الآمي، وبسبب انهم صلبوني". انظر: اسئلة بارثلميو: 27.

[4]) حول قيامة يسوع واختلاف الروايات بشأن النسوة اللاتي ذهبن لقبره، وظهوره للتلاميذ مرة أو اكثر من مرة انظر: متى،28: 1-20؛ مرقس،16: 1-18؛ لوقا،24: 1-49؛ يوحنا،20؛ 21. ويلخص بولس ظهور المسيح لتلاميذه بالشكل التالي: ظهر اولا لبطرس ثم للرسل الاثني عشر، ثم ظهر بعد ذلك لأكثر من 500 مسيحي، كما ظهر ليعقوب وجميع الرسل، واخيرا ظهر لـ بولس ذاته. انظر: كورنثوس الاولى،15: 5-8. انظر ايضا: انجيل شمعون الصفا(بطرس)،13: 55-57؛ انجيل نيقاديموس،14: 1. ولا تقدم الاناجيل تفاصيل حول الطريقة التي قام بها المسيح من بين الاموات، تلك المسألة التي يبدو انها شغلت بعض المسيحيين مما دفعهم الى توضيحها لاحقا مستندين بلا شك على روايات شعبية متداولة، ففي انجيل بطرس نقرأ تفاصيل وافية عن الكيفية التي نهض بها المسيح من القبر، ففي الوقت الذي كان فيه الجنود الرومان يحرسون القبر، سمعوا صوتا مرتفعا من السماء، ورأوا السماء تنفتح، وشابان ينزلان

والمسيح ذاته يخاطب الموت قائلا: "لقد قهرتك يا موت، انت الساكن في مخزن الجنوب..."[3].والحقيقة ان هذه المسألة تحديدا تذكرنا بشكل كبير بالأسطورة الكنعانية الخاصة بالصراع بين بعل وموت وكيف ان الاله بعل هزم موت:

"...انقضا[احدهما على الاخر] كالجمر

موت قوي عزيز، والبعل قوي عزيز

تناطحا كالثيران

موت قوي عزيز، والبعل قوي عزيز

تعاضا كأفعوانين

موت قوي عزيز، والبعل قوي عزيز

ترافسا كفرسي قتال

هوى(صُرع) الاله موت

من هناك، بإشعاع كبير، وقد اقتربا من الضريح، فأخذت الصخرة التي كانت ممددة امام مدخل الضريح تتدحرج من ذاتها، وانتقلت الى الجانب، وانفتح الضريح، ودخل الشابان كلاهما معا. ثم رأى الجنود ثلاثة رجال يخرجون من الضريح، اثنان منهما يسندان الثالث، وصليب يتبعهم، وكان رأسا الاثنين يصلان الى السماء، لكن رأس الشخص المقتاد الثالث وصل الى وراء السماء. ثم سمعوا صوتا صادرا من السماء صارخا: هل وعظتم الذين هم نيام؟، ومن الصليب هناك سمعوا جوابا يقول: نعم. ثم رؤيت السماء وقد انفتحت ثانية، ونزل رجل ودخل الى الضريح. انظر: انجيل شمعون الصفا(بطرس)،9: 34-37؛ 10: 38-42؛ 11: 43-44. وهناك رسالة مسيحية كتبت على لسان بونطيوس بلاطيس الى امبراطور يدعى كلوديوس يشرح فيها حادثة الصلب والقيامة. انظر: زكار،الاناجيل،ص677. كما نمتلك رسالة مسيحية ثانية كتبت على لسان بيلاطس مرسلة الى الحاكم اليهودي هيرودنيس انتيباس حول الحادثة ذاتها. انظر: زكار،الاناجيل،ص678.

[1]) اعمال الرسل،2: 24.

[2]) اعمال القديس توما: 143.

[3]) عظة ايفودوس الروماني: 12.

فهوى عليه البعل"[1].

وعدت المسألة هزيمة المسيح للموت جوهرية في التبشير المسيحي، فالقديس توما في الهند كان يبشر ان المسيح هو الذي تحدثت عنه الكتابات المقدسة بأنه: "ينبغي ان صلب، وان يقوم بعد ثلاثة ايام من الموت"[2]. ويمكن ان نلاحظ ان بعض الكتابات المسيحية تنكر تماما مسألة صلب المسيح، فحسب احدى النصوص غير القانونية، فإن المسيح ظهر الى تلميذه يوحنا في الوقت الذي كان يُصلب فيه في كهف وقال له: "انه بالنسبة للحشد الموجود تحت في القدس، انا قد صُلبت، وطعنت برماح وقصب، وأُعطيت صبرا وخلا لأشرب، لكن اليك انا اتكلم". ويستمر النص في شرح هذه المسألة وكيف ان المسيح المصلوب لا يظهر له شكل بل صوت فقط: "بعد ما قال هذا، أراني(المسيح) صليبا من نور، منصوبا، وحول الصليب حشد كبير ليس له شكل واحد، وكان في الصليب شكل واحد، وشبه واحد، والرب نفسه رأيته فوق الصليب، ليس له شكل، بل صوت فقط". ويواصل المسيح في قوله للبرهنة على عدم وجوده هو على الصليب كما يفترض كاتب النص: "كما انني لست انا الموجود على الصليب، الذي لا تراه الان، بل تسمع صوته فقط"[3]. وبما ان المسيح لم يكن هو قد صلب حقيقة، فإنه لم يتألم: "لذلك لم اتألم من أي من هذه الاشياء...لقد سمعت بأنني قد عانيت، وأنني قد طُعنت، مع ذلك انا لم اجرح، وعُلقت، وانا لم اعلق، وذلك الدم الذي تدفق مني، هو مع ذلك لم يتدفق". وكاتب مسيحي اخر يقول: "جاؤوا بفاعلي شر، وصُلب الرب بينهما، لكنه حافظ على هدوئه،

---

[1]) فريحة، ملاحم واساطير من اوغاريت،ص185؛ حداد ومجاعص، اناشيد بعل،ص78.

[2]) اعمال القديس توما: 59.

[3]) اعمال الرسول يوحنا: 97-101.

وكأنه لا يشعر بألم"[1]. كما يخبرنا كاتب مسيحي اخر انه عندما وضع المسيح على الصليب وحل الظلام: "نظرت انا فرأيت انك اختفيت من على الصليب"[2].

4. **المحبة الالهية:**

ان الله محبة هكذا يشرح احد كبار اللاهوتيين في القرن الرابع الميلادي وهو القديس اوغسطين الله، فالمحبة ليست شعارا ولا ملكية، وليست صفة من صفات الله؛ انما هي ماهية الله نفسه. ويوضح اوغسطين هذه المسألة بالشكل التالي: يقال ان الله محبة تماما كما يقال ان الله هو روح؛ وقد اعطى الروح القدس هذه المحبة وبثها في القلوب، وهي نعمة النعم، واساس كل الفضائل؛ وهي محبة الخير الاسمى، التي تخلصنا من المخاوف[3]. وحسب ديونيسيوس المنحول فإن الحب في الله مصدر فيض لا متناهٍ يدفعه لإنتاج العالم[4]، وبالتالي هذا الامر يمكننا من ان نجيب على التساؤل المهم ما: الذي يدفع الله ان يضحي بأبنه؟. بما ان الله محبة فهو مليء بالحب تجاه البشر هذا المفهوم المسيحي الذي يرتبط مع بدء خلق الانسان، فالله حسب الفلسفة المسيحية حياته فرح دائم لا حد له، وهو محبة؛ لذلك شاء ان يوجد كائنات يقيم معها علاقة حب، فيشركها بحياته وفرحه، وبهذا الصدد يقول القديس ايرينايوس: "مجد الله هو حياة الانسان"[5]، فالعلاقة اذا بين الانسان والله قائمة على الحب، فالله نفسه تجسد وتعذب لخلاص الانسان المهم جدا بنظر الله؛ ومن ناحية اخرى على

---

1) انجيل شمعون الصفا(بطرس)،4: 10.

2) انظر: اسئلة بارثلميو: 7.

3) زيعور،اوغسطينوس،ص158.

4) المصدر نفسه،ص306.

5) المصدر نفسه،ص14.

الانسان ان يلبي الحب اليه من الله، وقيمة الانسان تأتيه من كونه غرضا لهذا الحب[1]: "فلما ظهر حنان الله مخلصنا ومحبته للبشر خلصنا، لا لأي عمل صالح عملنا، بل لأنه شاء برحمته ان يخلصنا...."[2].وبسبب هذا الحب فأنه وهب ابنه من اجل ان يخلص العالم: "هكذا احب الله العالم حتى وهب أبنه الاوحد، فلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الابدية، والله أرسل أبنه الى العالم لا ليدين العالم بل ليخلص به العالم"[3]؛ و: "الله اظهر محبته لنا بأن ارسل ابنه الاوحد الى العالم لنحيا به"[4]. فالله احب البشر رغم انهم خاطئون: "لكن الله برهن عن محبته لنا بأن المسيح مات من اجلنا ونحن بعد خاطئون"[5]،تلك هي المحبة الالهية، فالبشر لم يحبوا الله، بل هو الذي احبهم، فأرسل ابنه كفارة لخطاياهم[6]. وهذا الحب لا يقتصر على اشخاص محددون بل الحب يشمل كل البشر الذين يؤمنون بالله: "الذي ما بخل بأبنه، بل اسلمه للموت من اجلنا جميعا"[7]. وان حب الله للبشر يظهر على المستوى الفردي كما يظهر على مستوى الكل: "أبن الله الذي أحبني وضحى بنفسه من أجلي"[8].

---

[1]) المصدر نفسه،ص269.

[2]) تيطس،3: 4-5.

[3]) يوحنا،3: 16-17.

[4]) يوحنا الاولى،4: 9.

[5]) رومة،5: 8.

[6]) يوحنا الاولى،4: 10.

[7]) رومة،8: 32.

[8]) غلاطية،2: 20.

5. التضحية كانت طوعية وبسبب المحبة ومن اجل البشرية:

ان ثلاث مسلمات مهمة يجب توضحيها هنا لفهم المغزى الحقيقي من تضحية المسيح الاولى: انها طوعية، بمعنى ان المسيح قدم ذاته بملء ارادته: "الأب يحبني لأني أضحي بحياتي حتى استردها. ما من أحد ينتزع حياتي مني، بل أنا أضحي بها راضيا، فلي القدرة أن أضحي بها، ولي القدرة أن استردها"[1]؛ وتعد مسألة التضحية الطوعية التي نفذها المسيح من اجل البشرية من المسلمات في الادبيات الرسمية المسيحية، فالقديس بـ بولس يؤكد ذلك لاحقا عندما اكد على طواعية التضحية التي قدمها المسيح الذي يفدي البشرية ليس مكرها بل متطوعا فهو: "الذي بذل نفسه فدية عوضا عن الجميع"[2]. وتكشف صلاة لـ بولس كيف ان المسيح بإرادته الحرة قرر ان يقدم نفسه للموت:

"هو في صورة الله

ما أعتبر مساواته لله غنيمة له

بل أخلى ذاته واتخذ صورة العبد

صار شبيها بالبشر

وظهر في صورة الانسان

تواضع، أطاع حتى الموت

الموت على الصليب"[3].

فـ يسوع أحتمل الم الموت لخير كل انسان[1]؛ ذلك الالم الذي سيحول قوته الى ضعف: "المجد لقوتك التي اصبحت ضعيفة من اجلنا"[2]. وثانيا: ان هذه

---

[1]) يوحنا،10: 17.

[2]) تيموثاوس الاولى،2: 5-6.

[3]) فيلبي،2: 6-8.

التضحية كما رأينا اعلاه بسبب حب يسوع للبشرية: "ما من حب أعظم من هذا: ان يضحي الانسان بنفسه في سبيل احبائه"[3]. وكما ان المسيح أكد على ان الحب هو سببا للتضحية نجد ان القديسين اشاروا الى ان حب المسيح للمؤمنين به دفعه لأن يقدم نفسه قربانا فـ بولس يقول: "المسيح الذي أحبنا، وضحى بنفسه من أجلنا قربانا وذبيحة طيبة الرائحة"[4]؛ ويوحنا يذكر: "الذي أحبنا وحررنا بدمه من خطايانا"[5]. وبسبب الحب فإن المسيح تحمل الام من اجل البشرية التائهة ويشير القديس اقليمس الى ان المسيح: "تحمل لأجلنا الآما مبرحة"[6]؛ ويقول القديس اغناطيوس كذلك: "فادينا هذا الجسد الذي تألم لأجل خطايانا"[7]؛ وتذكر رسالة برنابا ان المسيح: "اراد ان يتألم لأجلنا"[8]. ويؤكد القديس ايرينايوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي ان: "يسوع المسيح أبن الله الذي صُلب لأجلنا"[9]؛ وكذلك كان توما قد اكد على المسألة ذاتها عندما قال: "كان قد صُلب من اجل كثيرين"[10].لكن المسيح لم يضحي فقط بنفسه من اجل المؤمنين به فحسب بل من اجل الكنيسة: "مثلما أحب المسيح

---

[1]) العبرانيين،2: 9.

[2]) اعمال القديس توما: 80.

[3]) يوحنا،15: 13.

[4]) افسس،5: 2.

[5]) رؤيا يوحنا،1: 5.

[6]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص18.

[7]) المصدر نفسه،ج1،ص26.

[8]) المصدر نفسه،ج1،ص37.

[9]) المصدر نفسه،ج1،ص98-99.

[10]) اعمال القديس توما: 156.

الكنيسة وضحى بنفسه من اجلها"[1]. وثالثا: لم تكن المحبة هي دافع المسيح فحسب، بل الشفقة، لذا نجد القديس اقليمس يقول: "ترأف علينا فخلصنا، ونظر الى الضلال الذي غرقنا فيه، وعلم ان لا خلاص لنا الا به فأشفق علينا"[2].

ان المسيح الذي ضحى بنفسه طواعية سيؤدي الى نتائج اعظم بالنسبة للمسيح ذاته، وللمؤمنين به، فبالنسبة له فإنه سيحصد المجد وسيجلس الى يمين الله: "يسوع الذي تحمل الصليب مستخفا بالعار، من اجل الفرح الذي ينتظره، فجلس عن يمين عرش الله"[3]؛ وبالنسبة للبشر الذي امنوا به سيحصدون المحبة: "نحن عرفنا المحبة حين ضحى المسيح بنفسه لأجلنا، فعلينا ان نضحي بنفوسنا لأجل اخوتنا"[4]. والمسيحي مثل المسيح عليه ان يتحمل الكراهية والموت في سبيل ايمانه ولهذا فإن القديس توما عندما صلى من اجل الملك الهندي غوندافوروس واخيه جاد دعا المسيح قائلا ان يعمدهما هو أي المسيح لكي يصبحا عبيده وهذا يترتب عليه ان يتحملا الكراهية من قبل اعداء المسيح: "من اجل هذا قرر ايضا ان يُقمعا من قبل اعدائك، وان يتحملا من اجلك البغضاء، والاهانة والموت، مثلما عانيت من هذا كله من اجلنا، وفي سبيل ان تريحنا"[5].

---

[1]) افسس،5: 25.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص18.

[3]) العبرانيين،12: 2.

[4]) يوحنا الاولى،3: 16.

[5]) اعمال القديس توما: 25.

6. المسيح لعنة وعار:

ان انقاذ البشرية وهو الواجب الاهم للمسيح قد حوله الى شخص ملعون كما يقول لنا بولس: "المسيح حررنا من لعنة الشريعة بأن صار لعنة من اجلنا، فالكتاب يقول: ملعون كل من مات معلقا على خشبة"[1]. واذا كان بولس قد جعل من المسيح لعنة، فكاتب مسيحي اخر جعل منه عار!!، فالمسيح صُلب خارج باب المدينة وهو بذلك يشبه الاضحية الحيوانية التي تقدم للتكفير عن الخطايا اذ تحرق خارج المحلة حسب التشريع اليهودي، هذا الامر جعل مسيحي مؤمن يقول: "فلنخرج اليه(الى المسيح)، اذاً في خارج المحلة حاملين عاره"[2]؛ ولكن ذلك لن ينتقص من المسيحية بل على العكس سيزيد المسيحيين إيمانهم بالمسيح: "هنيئا لكم اذا عيروكم من اجل اسم المسيح"[3].

ان المسيح بتحوله الى كبش فداء كان يروم ان يحقق ست غايات وهي:

- **انقاذ البشرية من الخطيئة:**

ان المسيح وفق المفاهيم المسيحية هو: "المنقذ الكامل"[4]، وعليه ان ينقذ البشرية من الخطايا: "ان المسيح ظهر ليزيل الخطايا، وهو الذي لا خطيئة له"[5]؛ واهمها الخطيئة الاصلية أي تلك التي ارتكبها ادم في بدء الخلق، حين عصى الله وأكل من الشجرة المحرمة، وعوقب على ذلك بالطرد الفوري من

---

[1]) غلاطية،3: 13.

[2]) العبرانيين،13: 13.

[3]) بطرس الاولى،4: 14.

[4]) اعمال القديس توما: 10.

[5]) يوحنا الاولى،3: 5.

الجنة[1]. فالعهد القديم يخبرنا ان الله بعد خلق ادم وحواء وضعهما في جنة جميلة كانا يتمتعان فيها بثمار شهية: "وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقا، واسكن هناك ادم الذي جبله. وانبت الرب الاله من الارض كل شجرة حسنة المنظر، طيبة المأكل...."[2]، وحسب المعتقد المسيحي: فإن ذلك يرمز الى ان الله اعد للإنسان سعادة قصوى هي اشتراك في سعادته هو، واتحاد الانسان مع الله. وقد كان ذلك الاتحاد مع الله حريا بأن يُمتع الانسان بالخيرات التالية: التنعم بتمام القوى النفسية، والخلود، والسيادة على الطبيعة. فالأنسان نقطة لقاء بين الله والكون، والله بواسطته يكمل عمل الخلق في الطبيعة، وان هذا التصميم الذي رسمته المحبة الالهية لإسعاد الانسان لم يشأ الله ان يفرضه عليه فرضا، ذلك لأن الله خلق الانسان حرا، وعلى صورته؛ وبهذه الحرية تقوم كرامة الانسان، وبهذا فالله عرض على الانسان حبه وانتظر منه الجواب، وكان على الانسان ان يجيب بملء اختياره على الحب بالحب أو بالرفض. وهكذا تتلخص مسألة الحب الكبرى هذه بأن الله جعل نفسه نوعا ما مقيدا بالإنسان، وجعل تحقيق تصميه رهن حرية الانسان، ولهذا يؤكد اللاهوتيين المسيحيين ان لاهوت الله يتجلى في هذا الاحترام الحبي الكبير لحرية الانسان، وبالمقابل كان على الانسان ان يتخذ موقفا من الله أي ان يقول لله نعم او لا. وبالتالي كانت التجربة[3]، تنتظر الانسان وهي: ان يقرر هذا المخلوق بالاستقلال

---

[1]) حول الخطيئة الاولى التي ارتكبها ادم عند بدء الخلق انظر: تكوين،3: 1-23.

[2]) تكوين،2: 8-9.

[3]) يأخذ مفهوم التجربة حيزا مهما في الفكر المسيحي ويظهر جليا في الادبيات المسيحية المبكرة كما يتضح في: لوقا،8: 13؛ كورنثوس الاولى،10: 13؛ العبرانيين،3: 8؛ يعقوب،1: 12؛ بطرس الثانية،2: 9؛ رؤيا يوحنا اللاهوتي،3: 10.

عن خالقه، وبقطع الرباط البنوي[1] الذي يجمعه به حتى لا يكون له مرجعا اخر غير نفسه[2]؛ وقد عبر العهد القديم عن هذه التجربة بشكل رمزي فقال: ان الله طلب من الانسان الاول الا يأكل من شجرة واحدة، وهي شجرة معرفة الخير والشر[3]. وتلك الوصية حسب اللاهوتيين المسيحيين ترمز الى الطاعة التي طلبها الله من الانسان؛ وهي تعني ان الانسان كان عليه ان لا يستقل بنفسه دون الله، وان يُخضع ارادته لإرادة الله بالحب. وهنا يأتي دور الشيطان في اذكاء التجربة التي كانت ملازمة لطبيعة الانسان ككائن حر[4]، اذ اشار العهد القديم الى عمل الشيطان هذا في حديثه عن الحية التي اغوت حواء[5]، وهذه الحية رمز للشيطان[6]، ولهذا يقول المسيح: "هو قاتل للناس منذ البدء"[7]. لقد كانت خطيئة الانسان خطيئة تمرد على الله، فقد اراد الانسان ان يتأله بدون الله[8]: "فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتصيران كالله عارفين الخير والشر"[9]. ذلك التمرد يمثل خطيئة ضد الحب

---

[1]) يظهر الله في الادبيات المسيحية هو اب للبشر كما يظهر في: متى،6: 14-15، 26؛ 7: 11؛ مرقس،11: 25-26؛ لوقا،12: 30.

[2]) زيعور،اوغسطينوس،ص14-15.

[3]) تكوين،2: 16-17.

[4]) زيعور،اوغسطينوس،ص15.

[5]) تكوين،3: 1-6.

[6]) انظر مطابقة الشيطان بالحية/الثعبان في: رؤيا يوحنا اللاهوتي،12: 9؛ 20: 2؛ رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 20.

[7]) يوحنا،8: 44.

[8]) زيعور،اوغسطينوس،ص16.

[9]) تكوين،3: 4-5.

الالهي، بمعنى وحسب اللاهوت المسيحي: لقد اعتبر الانسان ان المحبة التي تجمعه بالله قيداً له واسراً، واراد ان يحطم القيد عن طريق فصم شركته عن الله، وبالتالي سقط الانسان في الخطيئة، تلك الخطيئة التي عُدت نموذجا لكل الخطايا. وكان لهذه الخطيئة نتائج خطيرة، حيث انها رفض لله وانفصال عنه، وقد نتج عن هذا الانفصال ان حل، عند الانسان، محل الالفة مع الله الخوف منه والاغتراب عنه. كما ترتب عن هذا الانفصال نتائج مريعة، فحيث ان الله هو ينبوع الحياة، واساس الكيان للبشر[1]، كما يشير بولس: "فنحن فيه نحيا ونتحرك ونوجد"[2]، وبالتالي كان اغتراب الانسان عن الله اغترابا عن ذاته أي انفصالا عن اساس كيانه، ويمكن ان تلخيص النتائج التي اصابت البشر كما يؤكد اللاهوتيون المسيحيون بالتالي:

1. **تصدعت وحدة الانسان مع ذاته:**

اذ ثارت الاهواء على العقل عوضا عن ان تكون خاضعة له، وثارت الغرائز على الارادة التي تكون وظيفتها في الاساس ان تُسير هذه الغرائز وفقا لصالح الانسان؛ فأصبحت هذه الغرائز تشد الانسان اليها خلافا لحاجاته الاساسية. وطرأ كذلك تفكك على علاقة الانسان بجسده، فأصبح للجسد استقلاله، واخذ يحاول فرض شهواته على الانسان وكأنه غريب عنه، كما نشأت الامراض التي اصبح الانسان عرضة لها، واخيرا تحتم الموت الذي هو انحلال لكيان الانسان[3]: "تعود الى الارض التي اخذت منها، لأنك تراب، والى التراب تعود"[4].

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص16.

[2]) اعمال الرسل، 17: 28.

[3]) زيعور، اوغسطينوس، ص16.

[4]) تكوين، 3: 19.

فتلك الخطيئة هي سبب الموت الذي يحل بالإنسان[1]، فالقديس بولس يقول: "لهذا دخلت الخطيئة الى العالم على يد انسان واحد، وبدخول الخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت على جميع البشر، لانهم جميعا اخطأوا. فإن الخطيئة كانت منتشرة في العالم قبل مجيء الشريعة، الا ان الخطيئة ما كانت تسجل، لان الشريعة لم تكن موجودة. اما الموت، فقد ملك منذ ادم الى موسى حتى على الذين لم يرتكبوا خطيئة شبيهة بمخالفة ادم، الذي هو رمز للاتي بعده"[2]. وهكذا نجد ان كل الناس حسب تفكير بولس كانوا متورطين في خطيئة ادم، اذ رأى بولس ان الخطيئة لم تحدث موتا روحيا واخلاقيا فحسب، بل احدثت كذلك الموت الجسدي، وبالتالي يمكن ان نفهم انه اذا لم توجد الخطيئة فلا يوجد الموت[3].ولكن الامر لا يقتصر فقط على بولس، فهناك ايضا بعض الاشارات عن علاقة الموت بالخطيئة الاصلية في الكتابات غير القانونية، فحسب احداها ان الناس تموت بسبب خطيئة ادم وزوجته حواء[4]. ولكن لماذا؟، كان من الممكن ان يفرض الموت على ادم!!. ولكن ذلك غير ممكن لأنه الانسان الاول الذي حرم البشرية من الخلود، فتلك الخطيئة هي التي ادخلت الموت الى العالم: "لأنه بسبب ادم لم يفعل ارادة ابي، لكنه خالف وصيته، اشتعل الانتقام الالهي ضده، وهكذا دخل الموت الى العالم"[5]، وبسبب اعتداء

---

[1]) عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،ص95.

[2]) رومة،5: 12-14.

[3]) عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،ص95.

[4]) قصة يوسف النجار،28: 2.

[5]) قصة يوسف النجار،28: 9.

ادم على ارادة الله كان الاذى والموت قد نزل على جميع الجنس البشري[1]. وهكذا نجد ان خطيئة ادم لحقت بجميع نسله، فكلهم يولدون خطاة، لهذا سميت هذه الخطيئة اصلية[2]. ويعتقد اقليمس الاسكندري(150-215م) ان خطيئة آدم انحصرت في مخالفة أمر الله، وقد توارثها البشر بالقدوة لا بالتوالد[3]. في حين خالفه في ذلك اوريجانس الذي عد الخطيئة يتوارثها البشر: "ألم يقل داود: إني في الاثم ولدت، وفي الخطيئة حبلت بي امي[4]. وهكذا فإنه ليس هناك احد طاهرا، ولو كان أبن يوم واحد، ويبدو ان هذا الاعتقاد هو الاخر لم يكن من نتاج اليهودية-المسيحية بل يبدو انه من جملة ما ورثته اليهودية من معتقدات شرقية قديمة وعن طريقها انتقل الى المسيحية، ففي بلاد الرافدين نقرأ في صلاة يقول فيها المتضرع: "لم يولد لأم طفل بلا خطيئة، ان الطفل البريء لم يكن في الوجود منذ القدم"[5].ويعتقد اوريجانس ان ونعمة المعمودية ضرورية حتى للأطفال الذين لم يقعوا في الخطيئة. ولقد تسلمت الكنيسة تقليدا من الرسل يوجب المعمودية حتى للأطفال، فالأمناء على الاسرار الالهية عرفوا حق المعرفة ان الجميع ملطخون بالخطيئة الاصلية، وإنه لابد من غسل الخطيئة بالماء والروح"[6]. ويعتقد اوغسطينوس ان الله خلق جميع النفوس

---

[1]) قصة يوسف النجار،28: 12.

[2]) عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،ص55.

[3]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص116.

[4]) انظر: مزامير،51: 5.

[5]) فاتن موفق فاضل، "الادعية في المعتقدات العراقية القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، المجلد: 3، العدد: 8، لسنة: 2011،ص4.

[6]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص133.

عندما خلق نفس(روح) ادم، وهذا الافتراض يبرر بالنسبة له انتقال الخطيئة الاصلية من ادم الى البشر[1].

2. **تصدعت الوحدة بين الانسان والغير:**

من جهة ثانية طال ذلك التفكك واتسع فبلغ العلاقة بين الانسان والاخر، فبانفصاله عن الله، انفصل ايضا عن الانسان، فالله وحده يوحد البشر، لذا فالخطيئة، بأبعادها الانسان عن الله، تبعده عن قريبه[2]، هذا التفكك بدأ بعد السقوط عندما سأل الله ادم عن مخالفته فأجاب: "المرأة التي جعلتها معي هي التي اعطتني من الشجرة فأكلت"[3]، وهكذا القى المسؤولية على امرأته فاصلا مصيره عن مصيرها بينما كانا قد خلقا ليكونا جسدا واحدا، أي شخصا واحدا.

3.تصدعت الوحدة بين الانسان والطبيعة: واخيرا كان من عواقب السقوط ان بطل الانسجام الذي اعده الله بين الانسان والطبيعة التي كانت معدة لتخضع للإنسان الحامل في ذاته صورة الخالق، فتمردت الطبيعة عليه حين تشوهت صورة الله فيه، وصارت تثير المتاعب في وجهه فتجعل عمله مضنيا[4]: "ملعونة الارض بسببك، بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل"[5].

ان صورة الله، وان تشوهت في الانسان، الا انها لم تضمحل كليا، ذلك انها ملازمة لطبيعة الأنسان ومتأصلة فيها الى حد انها لو زالت بالكلية لما بقي

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص191.

[2]) المصدر نفسه، ص16-17.

[3]) تكوين، 3: 12.

[4]) زيعور، اوغسطينوس، ص17.

[5]) تكوين، 3: 17-18.

الانسان انساناً. وعلى هذا فقد احتفظ الأنسان بميزات هي بقايا صورة الله فيه وهي: العقل، والميل الى الخير، والارادة. وبعد السقوط المريع لم يكن الانسان قادرا على النهوض بنفسه؛ فهذه السقطة هشمت كيانه، لكن محبة الله لم تترك الانسان وشأنه، فرغم ان الانسان رفض الله، لكن الله لم يرفض الانسان، لذا سوف يخرج الله من السماء لإنقاذ الانسان وهذا هو التجسد الذي شرحناه سابقا[1].

كما قرأنا اعلاه كانت الخطيئة الاصلية هي نموذجا لكل الخطايا، سواء عن طريق الاقتداء كما يقول اقليمس الاسكندري، او عن طريق الوراثة كما يذكر اوريجانس، لذا لم تقتصر مهمة الله على انقاذ البشر من الخطيئة الاصلية بل عليه ان ينقذهم من خطاياهم الكثيرة التي ارتكبوها في السابق: "انه مات(المسيح) كفارة للمعاصي التي ارتكبها الشعب في ايام العهد الاول"[2]؛ و: "انه(أي الله) افتداكم من سيرتكم الباطلة التي ورثتموها عن آبائكم..."[3].ويقدم بولس وصفا دقيقا لحالة البشرية الخاضعة للخطايا قبل مجيء يسوع: "فيما مضى كنتم امواتا بزلاتكم وخطاياكم التي كنتم تسيرون فيها سيرة هذا العالم"[4]؛ ونقرأ في رسالة برنابا ان: "أبن الله جاء في الجسد ليسد الحاجة التي نشأت عن اثم اولئك الذين اضطهدوا انبياءه حتى الموت"[5]. اما القديس يوستينوس الذي يتحدث عن الخطيئة فيربطها بشكل ذكي بالخطيئة الاصلية

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص17.

[2]) العبرانيين،9: 15.

[3]) بطرس الاولى،1: 18.

[4]) افسس،2: 1-2؛ انظر نصا مشابها في: كولوسي،2: 13.

[5]) رستم، آباء الكنيسة، ج1، ص37.

لآدم مما يوضح ضمنا لماذا اصبح الموت مصير من يقدم على فعل الخطيئة، اذ يعتقد : إن الله خلق الانسان على مثاله حيا لا يموت خاليا من العذاب، وأشترط عليه أن يحفظ وصاياه، ويثبت أهليته ان يدعى ابنا له، ولكن الانسان فَعل فِعل آدم وحواء فجلب الموت على نفسه[1].وهكذا نجد سواء كانت الخطيئة الاصلية، أو الخطايا الاعتيادية التي يرتكبها البشر فإن كلاهما تقودنا للموت: "الخطيئة التي تقود الى الموت"[2]؛لأن الموت اصبح بمثابة أجرة الخطيئة التي يرتكبها الانسان[3]؛ ويربط القديس يعقوب هو الاخر بشكل واضح بين الخطيئة والموت: "الشهوة اذا حبلت ولدت الخطيئة، والخطيئة اذا نضجت ولدت الموت"[4]. والسلوك الشرير في المسيحية هو طريق الموت: "هذا هو طريق الموت، انه: شرير، مليء باللعنة، وأنواع القتل، والزنى، والشهوة، والفجور، والسرقة، وعبادة الاوثان، والسحر، والتسميم، والخطف، وشهادة الزور، والرياء، والنفاق، والغش، والكبرياء، والخُبث، والعجرفة، والطمع، والكلام الباطل، والحسد، والوقاحة، والتعالي، والمباهاة، وعدم المخافة"[5].

لكن كيف يمكن التخلص من تلك الخطيئة؟. ان الله قبل يقدم على عمله النهائي أي تقديم التضحية اللازمة كان عليه ان يجرب وسائل اخرى

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص71-72.

[2]) رومة،6: 16. يظهر ان القديس يوحنا كان اكثر تساهلا فيما يخص علاقة الخطيئة بالموت، اذ انه لم يجعل كل الخطايا تقود الى الموت كما فعل بولس: "هناك خطايا تؤدي الى الموت...ولكن هناك خطايا ما لا يؤدي الى الموت". انظر: يوحنا الاولى،5: 16-17.

[3]) رومة،6: 23.

[4]) يعقوب،1: 15.

[5]) الديداخي،5: 1.

لتخليص البشر من ذنوبهم، فارسل اليهم الانبياء: "ارسل الانبياء اولا الى اليهود ليخلصهم من ذنوبهم"، لكن ذلك الاجراء ليس بعيدا عن فكرة التضحية النهائية التي سينفذها الله لأن اولئك الانبياء كانوا مزودين بروح المسيح!!!: "لأنه رغب في انقاذ بيت اسرائيل، ولذلك اخذ من روح المسيح وصبها على الانبياء الذين اعلنوا العبادة الصحيحة للرب لمدة طويلة من الزمن"[1].

ان كل خطيئة لابد من التكفير عنها بأضحية مناسبة، وهو امر تعرفنا عليه بشكل جيد في اغلب ديانات العالم القديمة، ومن اجل ان يتم التخلص نهائيا من اثار الخطيئة تم التضحية بالمسيح، تلك التضحية التي تمنح الخلاص: "فكان لنا فيه الفداء بدمه، أي غفران الخطايا"[2]؛ وفي رسالة منسوبة الى بولس نجده يقول: "ينقذ(المسيح) جميع الاجساد بجسده"[3]. وحسب اللاهوت المسيحي كان المسيح هو الكفارة الكاملة التي يمكن ان ترضي: "عدل الله"، وكل من العدل والرحمة كاملة في الله رغم ما يبدو من تناقض بينهما، وبما ان المسيح هو حي الى الابد، فإلى الابد تتعانق في شخصه الرحمة والعدل، والى الابد يكون تكفيره عن ادم ونسله، وعن عقوبة خطاياهم المتولدة عن تلك الخطيئة الاصلية التي لكونها خطيئة كبرياء كانت أماً لجميع الخطايا، فكل خطيئة هي في اساسها كبرياء على الله[4]. وهذه الفكرة المتأصلة في الديانة المسيحية جعلت كاتب مسيحي يكتب على لسان اللص الذي صُلب على يمين المسيح يقول له:

---

[1]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 9-10.

[2]) افسس،1: 7.

[3]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 6.

[4]) زيعور،اوغسطينوس،ص26.

"المـوت قـد نـزل بي بسـبب ذنـوبي، ولكـن موتـك هـو الكفـارة، خلصـني يـا مـولى الجميع"[1].

وقبـل ان نواصـل فهـم دور المسـيح في الـتخلص مـن الخطيئـة علينـا ان نسأل اولا: ما هو الخلاص في الفكر المسيحي؟.

ان الخـلاص في الفكـر المسـيحي هـو التحـرر مـن الخطيئـة التي تـوازي العبودية: "من يخطأ كان عبدا للخطيئة"[2]، والناس قبل تضحية المسيح كانوا عبيدا لهذه الخطيئة[3]، الا ان التخلص من تلك الخطيئة والعبودية لن تتم الا بالمسـيح هـو الـذي حـرر العـالم مـن الخطايا/العبوديـة: "يمنح(المسـيح) شـعب اسرائيل التوبة وغفران الخطايا"[4]؛ وهو بذلك يكفر عن: "خطايا الشعب"[5]؛ وغفران الخطايا لن يتم الا بالتضحية: "هو الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة"[6]؛ فالله الذي قرأنا اعلاه قد قرر منذ الازل ان يقوم المسيح بمهمة خلاص البشرية، ورأيناه يسلم أبنه للموت بسبب محبته للبشر، نجده يبرهن عن هذا الحب عندما سلم ابنه للموت من اجل التخلص من خطايا البشر: "كـان(الله) اسـلمه الى المـوت للتكفير عـن زلاتنـا"[7]؛ فعـن طريـق دم المسـيح المسفوك سيتم غفران خطايا البشر: "هذا هو دمي، دم العهد الذي يسفك من

1) رواية يوسف الرامي: 3.

2) يوحنا،8: 34.

3) رومة،6: 17.

4) اعمال الرسل،5: 31.

5) العبرانيين،2: 17.

6) بطرس الاولى،2: 24.

7) رومة،4: 25.

اجل أناس كثيرين لغفران الخطايا"[1]؛ لذا يقول لنا القديس يوحنا ان دم يسوع يطهر البشر من كل خطيئة[2]؛ ومن هنا يكتب يوحنا الى المسيحيين يطمئنهم ان المسيح هو كفارة لخطاياهم، وخطايا العالم كله[3].لذا كان بولس واثقا من غفران الخطايا عن طريق موت يسوع: "لا فرق بين البشر، فهم كلهم خطئوا وحرموا مجد الله، ولكن الله بررهم مجانا بنعمته بالمسيح يسوع الذي افتداهم والذي جعله الله كفارة في دمه لكل من يؤمن به..."[4]. وهكذا فإن يسوع المسيح بموته وصلبه على خشبة الصليب يكون قد حمل خطايا البشر، وكفّر عنهم تمام التكفير، ووفى عنهم سيئاتهم، ومن ثم كان هذا الوفاء الذي قدمه المسيح عن البشر كان مساويا لشر الخطيئة، وزائدا عليها، بل وايضا فائق الحد[5].

ان التكفير عن الخطايا عن طريق الاضحية التي قدمها يسوع تؤدي الى منح الحرية للبشر: "اذا حرركم الابن صرتم بالحقيقة احرار"[6]؛ ولكنها حرية تقود الى عبودية افضل، عبودية البِر: "اطعتم بكل قلوبكم تلك التعاليم التي تستلموها، فتحررتم من الخطيئة واصبحتم عبيدا للبر"[7]. فالمسيح الذي حرر البشرية بموته من الخطايا نقلهم من جانب الشر الى جانب الخير: "بعدما

---

[1]) متى،26: 28.

[2]) يوحنا الاولى،1: 7.

[3]) يوحنا الاولى،2: 2.

[4]) رومة،3: 22-25.

[5]) زيعور،اوغسطينوس،ص31.

[6]) يوحنا،8: 36.

[7]) رومة،6: 17-18.

تحررتم من الخطيئة وصرتم عبيدا لله"، هذه النقلة التي ستمنح البشر ما هو افضل، انها تمنحهم الحياة الابدية: "فأنتم تجنون ثمر القداسة، وعاقبته الحياة الابدية"[1].

ان ما سبق يوضح جليا ان الخطيئة لا يمكن التكفير عنها الا بالتضحية بالمسيح؛ لكن لماذا يجب ان يتم التضحية بالمسيح؟ لماذا لا يمكن ان يتم التكفير عن الخطايا بالأضحية الحيوانية العادية التي اعتاد البشر ان ينفذوها كلما سخط الاله عليهم؟.

في كل الاحوال لا يمكن ان يتم تقديم اضحية اعتيادية للإله طالما ان الخطيئة سارية في كل البشر بسبب ادم، فالتضحية يجب ان تتناسب مع حجم الخطيئة وجنسها، فالتمازج بين خطيئة ادم الاصلية، والتضحية بالإله/ المسيح يكشف عن مسألة اعمق، فالمسيح وادم يشتركان بكونهما متماثلان في الاصل، فالمسيح ابن الله، وادم كذلك ابن الله[2]؛ وادم هو صورة الله[3]، والمسيح كذلك هو صورة الله[4].وبولس الذي يقدم موازنة واضحة بين ادم/ الخطيئة، والمسيح/الخلاص يشرح ذلك بشكل مفعم بالحيوية، أي كيف ان المسيح انهى خطيئة ادم الاولى، تلك الخطيئة التي سببت الموت للبشر، وان المسيح سيحرر

---

[1]) رومة،6: 22.

[2]) لوقا،3: 38.

[3]) حسب اسطورة الخلق الاسرائيلية خلق الله ادم على صورته هو: "لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا". انظر: تكوين،1: 26.

[4]) يؤكد بولس ان المسيح في الحقيقة هو صورة الله: "المسيح الذي هو صورة الله". انظر: كورنثوس الثانية،4: 4؛ ويتحدث بولس في اقل تقدير في صلاتين عن كون المسيح هو صورة الله. انظر: فيلبي،2: 6؛ كولوسي،1: 15.

الانسان من ذلك الموت: "الموت كان على يد انسان، وعلى يد انسان تكون قيامة الاموات. وكما يموت جميع الناس في ادم، فكذلك هم في المسيح سيحيون"[1]. فـ بولس قدم معادلة مهمة بين ادم والمسيح وهي كالتالي: "اذا كان الموت ساد بين البشر بخطيئة انسان واحد، فبالأولى ان تفيض عليهم نعمة الله، والعطية الموهوبة بنعمة انسان واحد هو يسوع المسيح"[2]؛ ورغم ان ادم/المسيح بالنسبة لـ بولس متماثلان في الاصل، الا انهما مختلفان في الجوهر والنتيجة، فأدم وكما يستشهد بولس بالنصوص الدينية: "كان...الانسان الاول نفسا حية"، في حين كان المسيح وهو ادم الاخير بالنسبة له: "روحا يُحيي". ويكمل بولس شرحه للاختلاف بين ادم والمسيح في الجوهر عندما يؤكد ان الفرق يكمن بينهما في كون ادم بشري والمسيح روحاني؛ وادم ارضي، والمسيح سماوي: "فما كان الروحاني اولا، بل البشري، وكان الروحاني بعده. والانسان الاول من التراب فهو ارضي، والانسان الاخر من السماء. فعلى مثال الارضي يكون اهل الارض، وعلى مثال السماوي يكون اهل السماء. ومثلما يلبسنا صورة الارضي، فكذلك نلبس صورة السماوي"[3]. وكما ان بولس يشرح بشكل واضح الفرق في الجوهر بين ادم والمسيح، فإنه يوضح كذلك الاختلاف بالنتيجة بينهما: "هناك فرق في النتيجة بين هبة الله وبين خطيئة انسان واحد، فخطيئة انسان واحد قادت البشر الى الهلاك، اما هبة الله(المسيح) بعد كثير من الخطايا قادت البشر الى البِر". ويخلص بولس الى نتيجة مفادها، اذا كانت الخطيئة تجلب الموت، فإن المسيح يهب الحياة: "اذا كان الموت بخطيئة انسان واحد ساد البشر بسبب ذلك

[1]) كورنثوس الاولى،15: 21-22.

[2]) رومة،5: 15.

[3]) كورنثوس الاولى،15: 45-49.

الانسان الواحد، فبالأولى ان تسود الحياة بواحد هو يسوع المسيح أولئك الذين ينالون فيض النعمة وهبة البر". فكما ان خطيئة انسان واحد قادت البشر جميعهم الى الهلاك، فإن بر انسان واحد يبرر البشر جميعا فينالون الحياة، وكما انه بمعصية انسان واحد صار البشر خاطئين، فإن طاعة انسان واحد يصير البشر ابرارا، لذا يخلص بولس الى نهاية حاسمة: "جاءت الشريعة فكثُرت الخطيئة، ولكن حيث كثُرت الخطيئة فاضت نعمة الله، حتى انه كما سادت الخطيئة للموت، تسود النعمة التي تبررنا بربنا يسوع المسيح للحياة الابدية"[1]؛ وهكذا نجد ان بولس يقدم معادلة متكافئة ذات اصل واحد وجوهر نتيجة مختلفتان هي: ادم يساوي الخطيئة والموت، ويسوع يساوي الخلاص والحياة. وليس بعيدا عن هذا ما كان يعتقده توما بأن ادم غير جدير بالبشر، فآدم عنده جاء الى الوجود من قوة عظمى أي الله، ومن ثروة عظمى بلا شك هي الجنة ولكنه: "مع ذلك هو لم يكن جديرا بكم، ولو انه كان جديرا لما عرف الموت"[2]. وكاتب مسيحي اخر يشير الى ان المسيح خالف اوامر الله الذي هو المسيح ذاته لذا طُرد من الجنة: "ادم الذي كان اول الخلق، وكان في الفردوس، واذنب، ولم يحافظ على وصاياي، فطُرد والقي به من هناك، ولذلك ما من احد من الاول سوف يرى الجنة الى ان اعود للمرة الثانية لأحكم الاحياء والاموات"[3].

ان التماثل بين ادم والمسيح تأخذ تصورات اخرى في الوثائق غير القانونية، اذ تتحدث احدى الروايات كيف ان ادم وحواء قد حاولا الانتحار[4]،

---

[1]) رومة،5: 16-21.

[2]) انجيل توما(النسخة القبطية): 85.

[3]) رواية يوسف الرامي: 3.

[4]) حول انتحار ادم وحواء انظر: السفر الاول لادم وحواء،21: 1-4.

فأريق دمهما على الارض الذي امتزج بالتراب، فقدماه قربانا لله على مذبح من حجارة: "انظر(أي الله) لدمائنا التي قدمت على هذه الحجارة، وتقبلها من يدنا"[1]. وهنا يظهر التمازج الرئيس بين دم ادم المراق، ودم المسيح، فالله يخاطب ادم وحواء بعد ان قبل دمهما تقدمة: "يا ادم كما ارقت دمك لذا سأريق دمي، عندما اصبح جسدا من ذريتك، وكما مت انت، هكذا سأموت ايضا، وكما بنيت انت مذبحا، لذا انا ايضا اصنع مذبحا من الارض، وكما قدمت دمك عليه، هكذا انا ايضا اقدم دمي على مذبح على الارض". ويستمر الله مخاطبا ادم بانه سيجعل من دمه هو أي الله وسيلة لغفران الذنوب: "كما انت(أي ادم) قد التمست من اجل الغفران خلال ذلك الدم، هكذا انا ايضا سأجعل دمي غفرانا للخطايا ولمحو التعديات به"[2]. ان هذا النص يكشف عن قضايا عميقة جدا، تساعد الى حد ما في فهم كيفية تحول الاله الى قربان، فقبل كل شيء يكشف هذا النص عن التماثل بين الله والمسيح، ومن ثم كان ادم وحواء قد قدما دمهما الى الله، بالمقابل وفي زمن لاحق سينزل الله بنفسه على الارض بجسد السيد المسيح، وسيراق دمه كما اريق دم ادم وحواء، وسيموت على الصليب، وكما قام ادم بتقديم دمه على مذبح، فان الله سيقدم نفسه كأضحية على مذبح، ولكن الفرق بين الاثنين ادم والله يكمن في الغاية، ففي الوقت الذي كان ادم وزوجته يبغيان ان يُغفر لهما ذنبهما عن طريق تقديم دمهما قربانا، كان دم الاله الضحية يهدف الى غفران تلك الذنوب التي يرتكبها البشر، وتأسيسا على ذلك كان الله يضحي بنفسه من اجل غفران الذنوب التي

---

[1]) السفر الاول لادم وحواء،23: 8.

[2]) السفر الاول لادم وحواء،24: 1-5.

سببها الانسان الاول، ولهذا كان على المسيح ان ينقذ البشرية بموته. وان المسيح ذاته يوضح الهدف صلبه: "ينبغي ان اصلب، وينبغي ان اموت من اجل خلاص ادم وذريته..."[1]. وفي نص مسيح نجد المسيح وهو على الصليب يؤكد انه سينزل من السماء في الاعالي، ويصل الى الارض من صدر الاب غير المرئي، دون ان ينفصل عنه، من اجل ان يتمكن من انقاذ ادم[2].

يشرح ايرينايوس، وهو احد اكثر اللاهوتيين الاول اهمية، الفداء اي تجسد يسوع المسيح، كما لو انه استمرار، واكمال للعمل الذي بدأ بخلق ادم، ولكن هذا العمل معاق بسبب السقوط، والمسيح هو من يصلح المسيرة الوجودية منذ ادم بهدف انقاذ البشرية من نتائج الخطيئة، وهكذا في حين عُد ادم هو المثال النموذجي للبشرية الساقطة، وانه منذور للموت، فإن المسيح هو الخالق، والنموذج المثالي لبشرية جديدة مقدسة بوعد الخلود؛ وادم والمسيح حسب ايرينايوس متعارضان، فالأول خلق من الارض البكر، والمسيح ولد من عذراء؛ وادم عصى باستخدامه الشجرة المحرمة، والمسيح اطاع بتركه لنفسه يتعذب على شجرة الصلب[3]. ان المسيح عند ايرينايوس هو آدم الثاني، وكما إن آدم الاول حوى في نفسه جميع ذريته، فإن المسيح ايضا اعاد في نفسه جميع الشعوب حتى آدم الاول، ولما تجسد اعاد في نفسه تسلسل الجنس البشري مكرسا كل دور بدوره. وهكذا فإنه كما إن آدم الاول انشأ جنسا عاصيا هالكا، فإن المسيح وهو آدم الثاني بدأ بشرية جديدة فداها بدمه[4]. ويعتقد

---

[1]) قصة يوسف النجار،1: 1.

[2]) رواية يوسف الرامي: 3.

[3]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج2،ص443.

[4]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص99-100.

هيبوليتوس الروماني ان الاله الكلمة اتخذ جسد آدم ليجدد الانسان ويعيد له خلوده، وهكذا صار المخلص انسانا حقا، وبالولادة الثانية جدد تكوين الانسان، وكان ايضا إلها حقا فجدد الانسان العتيق[1].ويظهر الترابط العميق بين ادم والمسيح في اعتقاد مسيحي يقول: ان الفردوس الذي خُلق فيه ادم يقع في مركز الكون، وكان الفردوس وهو سرة الارض، قد اقيم على جبل اعلى من جميع الجبال، وبحسب كتاب سوري وهو كتاب: مغارة الكنز، خُلق ادم في مركز الارض، في المكان نفسه الذي ارتفع فيه يسوع على الصليب فيما تلا من القرون اي الجلجثة والتي تقع في وسط العالم، لأنها قمة الجبل الكوني؛ وقد احتفظت الديانة اليهودية بالتقاليد نفسها، فالرؤيا اليهودية والمدراش يبينان ان ادم خلق في اورشليم، وبما ان ادم دفن في المكان نفسه الذي خلق فيه، أي مركز العالم فإن دم المخلص قد سال على جمجمة ادم المدفون عند قاعدة الصليب، وبذلك يكون المخلص قد افتداه[2].

ان التماثيل بين ادم/ والمسيح لم يتوقف عن هذا الحد بل استمر بالنسبة لـ بولس في اقل تقدير بين المسيحيين وحواء، فالمسيحيين بالنسبة لهذا القديس يماثلون حواء، الا انهم كما هو الحال في التناقض بين ادم والمسيح، فإن المسيحيين يختلفون عن حواء في النتيجة، فالأخيرة اغوتها الحية وهذا ما لا ينطبق على المسيحيين الذي يخاطبهم بولس قائلا: "انا اغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجل واحد وهو المسيح، لأقدمكم اليه عذراء طاهرة. لكني اخاف ان تزوغ بصائركم عن الصدق والولاء الخالص للمسيح، مثل حواء التي اغوتها

---

[1]) المصدر نفسه،ج2،ص166.

[2]) الياده، اسطورة العود الابدي،ص34، 38؛ زكار،الاناجيل،ص96.

الحيـة بحيلتهـا"[1]. وان تصـورات بـولس مهمـة تجعـل الثنائيـة الكونيـة متكاملـة ومتماثلة وان اختلفت في النتيجة، ويمكن ان نميز جيدا الان بين ثلاثة مجاميع متماثلة هي: ادم وحواء؛ الله والعذراء مريم؛ والمسيح والمسيحيين.

لم يكتفِ المفكرين المسيحيين الاول في المقارنة بين ادم والمسيح من اجل شرح مسالة الخطيئة وغفرانها، بل تجاوزوا الامر الى المقارنة بين حواء ومريم، فحسب المسيحية عندما خاطب الله الحية التي اغوت حواء قائلا: "اضع عداوة بينك وبين المرأة..."[2]، فإن المرأة المقصودة هنا ليست حواء بل مريم، فالعداوة تعني عدم الاتصال، وعدم الخضوع للحية، حية الخطيئة، فمريم هي الوحيدة المعصومة عن الخطيئة بين البشر، وذلك بحكمة الهية لتكون اما للمسيح الذي سيجيئ في اكتمال الالوهية وكامل الانسانية، فكما ان المسيح هو ادم الجديد، فإن امه هي حواء الجديدة، واقترانهما-وهو اثبت من اقتران الزواج-جعلهما معا يتعاونان على محو الذنوب البشرية الى الابد[3]. ان اول من قام من الكتبة المسيحيين بالمقارنة بين مريم وحواء هو القديس يوستينوس الشهيد، الذي كتب على منوال بولس في كلامه عن المسيح وآدم: "لقد صار المسيح انسانا بواسطة العذراء ليزهق العصيان الذي أنبثق عن الحية بالطريقة نفسها. فحواء العذراء الطاهرة حملت كلمة الحية فولدت عصيانا وموتا؛ أما مريم العذراء فإنها آمنت وابتهجت عندما بشرها الملاك جبرائيل بأن روح الله سيأتي عليها، وإن قدرة العلي ستظللها، ومن اجل ذلك فالقدوس الذي يولد منها هو أبن الله، فأجابت: ليكن لي بحسب قولك. وبواسطتها ولد من اثبتنا اشارة

---

[1]) كورنثوس الثانية،11: 2-3.

[2]) تكوين،3: 15.

[3]) زيعور،اوغسطينوس،ص26.

الاسفار إليه، ومن يسحق الله به الحية، والملائكة، والبشر الذين على شاكلتها"[1]. وهكذا قام يوستينوس بما قام به بولس سابقا من موازنة بين آدم الخطيئة والموت والمسيح الغفران والحياة، فأصبح حواء بالنسبة ليوستينوس من حملت الموت، ومريم من حملت الحياة. كما عقد ترتليانوس هو الاخر مقارنة بين مريم وحواء، اذ عد ترتليانوس مريم حواء ثانية، وكما ان حواء الاولى سمعت كلمة الشيطان فبنت بناء الموت، فإن مريم صدقت كلام الملاك فشيدت بناء الحياة[2]. ولأن مريم هي نقيض حواء فإنها هي التي تنقذ اولاد الاخيرة الممتلئين بالخطيئة بسببها وفق الصلاة للعذراء: "السلام عليك ايتها الملكة أم الرحمة والرأفة، السلام عليك يا حياتنا، ولذتنا، ورجاءنا؛ إليك نصرح نحن المنفيين اولاد حواء، ونتنهد نحوك نائحين وباكين في هذا الوادي، وادي الدموع؛ فاصغ الينا يا شفيعتنا، وانعطفي بنظرك الرؤوف نحونا، وارينا بعد هذا المنفى يسوع ثمرة بطنك المباركة. يا شفوقة، يا رؤوفة، يا مريم البتول، الحلوة واللذيذة"[3].

بعد ان فهمنا كيف ان المسيح استطاع ان يخلص البشر عن طريق موته لابد لنا من تساؤل: كيف يمكن للمسيح ان يخلص المسيحيين من الخطيئة بمجرد موته؟.

ان المسألة بالنسبة لمفكر عبقري مثل بولس لا يقتصر الى القول المجرد: إن التضحية بالمسيح سيتم عن طريقها غفران الخطايا، فهذا اليهودي ذا الثقافة الهلينية والذي عاش في المحيط الروماني-الايراني كان قادرا على ان

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة، ج1، ص71.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص180.

[3]) زيعور، اوغسطينوس، ص38.

يطور مفهوم التضحية التي نفذها المسيح ليجعل من التضحية التي نفذها القدرة الشاملة للقضاء على الخطيئة، فالمسيحي حسب بولس يمكن له ان يتحد بـ يسوع عن طريق المعمودية، أي انه سيتماثل مع يسوع في كل شيء، بمعنى ادق: المسيحي والمسيح واحد: "من أتحد بالرب صار وأياه روحاً واحداً"[1]. هذا الاتحاد سيظهر فيه المسيحيون على كثرتهم هم جسد واحد في المسيح: "فكما لنا اعضاء كثيرة في جسد واحد، ولكل عضو منها عمله الخاص به، هكذا نحن في كثرتنا جسد واحد في المسيح..."[2]؛ لذا فإنه عندما يخاطب المسيحيين يقول لهم: "اما تعرفون ان اجسادكم هي اعضاء المسيح"[3]؛ أو: "انتم جسد المسيح، وكل واحد منكم عضو منه"[4]؛ وهناك عبارة مختصرة لكنها واضحة وكافية جدا توضح مسألة التماثل بين المسيح والمسيحي: "نحن اعضاء جسد المسيح"[5].

ان التماثل بين المسيحي والمسيح لا يتم الا عن طريقين احدهما المعمودية[6]، وهذا التماثل يشمل كل شيء حتى في صلبه، اذ يربط بولس بين صلب المسيح ونهاية الخطايا عندما أكد بشكل واضح من غير أي لبس أو غموض ان صلب المسيح يوازي صلب الخطيئة في الانسان طالما ان الانسان المتعمد يماثل المسيح: "نحن نعلم ان الانسان القديم فينا صُلب مع المسيح

---

[1]) كورنثوس الاولى،6: 17.

[2]) رومة،12: 4-5.

[3]) كورنثوس الاولى،6: 15.

[4]) كورنثوس الاولى،12: 27.

[5]) افسس،5: 30.

[6]) سنناقش مسألة الطريق الثاني للاتحاد مع المسيح لاحقا في موضوع القربان.

حتى يزول سلطان الخطيئة في جسدنا، فلا نبقى عبيدا للخطيئة"[1]؛ بل يوسع بولس هذا المفهوم لتصبح الخطيئة هي التي وضعت على الصليب: "محا(الله) الصك الذي علينا للفرائض وكان في غير صالحنا، وازاله، مُسمرا أياه على الصليب"[2].وكما ان المسيحي صُلب مع المسيح، فإنه مات معه: "بعدما ادركنا ان واحدا مات من اجل جميع الناس، فجميع الناس شاركوه في موته"[3]؛ وعن طريق المعمودية دُفن المسيحي مع المسيح: "الا تعلمون اننا حين تعمدنا لنتحد بالمسيح تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه بالمعمودية وشاركناه في موته"[4]؛ أو: "فأنتم عندما تعمدتم في المسيح دفنتم معه..."[5]. وان الموت مع المسيح سيحرر الانسان من الخطيئة: " لأن الذي مات تحرر من الخطيئة"[6]؛ والمسيحي الذي يمتلك الثقة الكاملة بأن المسيح قام من الاموات: "إن المسيح قام من بين الاموات،(و) هو بكر من قام من رقاد الموت"[7]؛ فهو اول من قام من بين الاموات لذا فإنه الاول في كل شيء: "هو البدء، وبكر من قام من بين الاموات لتكون له الاولية في كل شيء"[8]؛ لذا فالمسيحي المتماثل مع المسيح عن طريق المعمودية يعلن صراحة بأنه سيقوم ايضا من بين الاموات: " فإذا كنا متنا مع المسيح،

---

[1]) رومة،6: 6.

[2]) كولوسي،2: 14.

[3]) كورنثوس الثانية،5: 14.

[4]) رومة،6: 3-4.

[5]) كولوسي،2: 12.

[6]) رومة،6: 7.

[7]) كورنثوس الاولى،15: 19.

[8]) كولوسي،1: 18.

فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه"[1]. وهو على حق-من وجهة نظره طبعاً- في هذه الثقة وهذا الايمان، اذ ان المشاركة بين المسيح والمسيحي لا تقتصر على الموت بل على القيامة ايضا: "حتى كما اقامه الاب بقدرته المجيدة من بين الاموات، نسلك نحن ايضا في حياة جديدة، فإذا كنا اتحدنا به في موت يشبه موته، فكذلك نتحد به في قيامته"[2]؛ وهذا يعني ان لسان حالهم يقول: "اذا متنا معه عشنا معه"[3]؛ الا ان هذه القيامة مشروطة بإيمان المتعمد بقدرة الله على اقامة الموتى: "...قمتم معه ايضا، لأنكم امنتم بقدرة الله الذي اقامه من بين الاموات"[4]؛ وبما ان المسيحي يماثل المسيح عن طريق المعمودية فهو يماثله ايضا في الحياة: "احسبوا أنتم ايضا انكم اموات عن الخطيئة، احياء لله في المسيح يسوع ربنا"[5]. وبما ان المسيح بموته وقيامته تخلص من الخطيئة نهائيا: "نعلم ان المسيح بعدما اقامه الله من بين الاموات لن يموت ثانية، ولن يكون للموت سلطان عليه، لأنه بموته مات عن الخطيئة مرة واحدة، وفي حياته يحيا لله"[6]؛ فإن هذا ما سيحدث للبشر المتماثلين مع المسيح عن طريق المعمودية: "احياكم الله مع المسيح وصفح لنا عن جميع خطايانا"[7]؛ وهكذا يستطيع المسيحي عن طريق الموت والقيامة مع المسيح ان يحصل على الخلاص: "الله بواسع رحمته

---

[1]) رومة،6: 8.

[2]) رومة،6: 4-5.

[3]) تيموثاوس الثانية،2: 11.

[4]) كولوسي،2: 12.

[5]) رومة،6: 11.

[6]) رومة،6: 9-10.

[7]) كولوسي،2: 13.

وفائق محبته احيانا مع المسيح بعدما كنا امواتا بزلاتنا، فبنعمة الله نلتم الخلاص، وفي المسيح يسوع اقامنا معه واجلسنا في السماوات"[1]. ان بولس يؤكد بشكل نهائي ان الله عن طريق نعمته قد منح الانسان الخلاص، وكما رأينا سابقا كان مفهوم النعمة يشغل حيزا مهما من تفكير المسيحي، هذه المسألة المهمة التي ناقشها القديس اوغسطين عندما ربط مفهوم النعمة بالخلاص. فالنعمة عند اوغسطين هبة مجانية من الله، تُعطى دون سبب لا لمن يستحقها بفضائله، فالإنسان يُعطى الفضائل عندما يتلقى النعمة؛ والنعمة هنا مفهوم فوق طبيعي، اذ ان الانسان بحاجة اليها كي يستطيع الخلاص، ذلك لأن الخطيئة الاصلية افقدت الانسان الفضائل والهبات التي منحها الله اياها، ولاستعادتها كان لابد من ان يرجعها له الله نفسه الذي اعطاه اياها في الاصل. فالنعمة اذن ضرورية للخلاص، لا يحصل عليها الانسان عن طريق الاعمال الصالحة؛ وانما هي تبدأ بالأيمان الذي هو قبل هذه الاعمال، تبدأ عندما يبدأ الاعتقاد بالله. وبما ان النعمة هبة مجانية ولا تدين بشيء لفضائل الشخص ومزاياه، فهي بذلك ضرورية للحصول على الفضيلة وعلى الخلاص، فهي تُعدّ الانسان للخلاص دون علمه، الا انها لا تتعارض مع مفهوم الحرية المطلقة، لأن هذه الحرية تستطيع ان ترفض مساعدة النعمة، الا ان رفضها يعني وقوع النفس في العبودية، وبالعكس تماما، فإن قبول النعمة هي التي تمنح الانسان الحرية الحقيقية[2].

---

[1]) افسس،2: 4-6.

[2]) زيعور، اوغسطينوس، ص204-205.

قبل ان ننتهي من الموضوع علينا ان نقول ان المسيحيين الاول لم يقروا كلهم ان المسيح هو القادر على تخليص الانسان من الخطيئة، وفي اقل تقدير يمكن ان نقرأ ان اراء احد مفكري المسيحية الاول وهو بيلاجيوس(الذي عُدت اراءه من قبل الكنيسة هرطقة) وتلميذه سيليسوس الذي اكد عام 409م ان خطيئة ادم لا تنتقل لأبنائه بالوراثة، وان الانسان وحده يستطيع التخلص من الخطيئة دون حاجة للنعمة، ويستطيع ان يريد الخير ويعمله بمفرده، ولا يقرر الله مصير كل واحد من البشر. ويعتقد بلاجيوس ان النعمة الممنوحة من الله ضرورية ليس قبل حصول الخطيئة الفردية، بل بعد ان يخطئ الانسان[1].

- **قيامة الموتى:**

قرأنا اعلاه ان المسيحي المتماثل مع المسيح عن طريق المعمودية والذي مات معه وقام معه، سيحصل على الخلاص من الخطيئة، ولكن لم يكن هذا هو الهدف الوحيد لتضحية يسوع، فالاهم من التخلص من الخطيئة هو ضمان قيامة الاموات، فالمسيح في مهمته الاصلية على الارض هو منح الحياة: "الذي ولد حتى يعطي الحياة من خلال حياته"[2]؛ لذا يقول توما: "المجد لبشريتك التي ماتت من اجلنا لتجعلنا احياء"[3]. ولكن لا يمكن لأي شخص ان يحصل على الحياة الا بالإيمان: "الواحد الحي الذي يعطي الحياة الى جميع الذين يؤمنون به"[4]. لكن تلك القيامة ستتحقق على مستويين دنيوي واخروي: "المسيح الذي

[1]) المصدر نفسه،ص204.

[2]) اعمال القديس توما: 79.

[3]) اعمال القديس توما: 80.

[4]) اعمال القديس توما: 129؛ انظر ايضا: 136، 137.

مات من اجلنا لنحيا كلنا معه، سواء كنا في يقظة الحياة أو في رقدة الموت"[1].
وتوما يشير الى هذه الحقيقة عندما قال: "المجد لقيامتك من الموت لأن بوساطتها سوف تشارك انفسنا في القيامة وفي الراحة"[2].بمعنى ان الانسان على المستوى الدنيوي، والذي مات مع يسوع وقام معه سيعيش حياة جديدة صالحة وطاهرة؛ وان هذه الحياة الجديدة التي حصل عليها المسيحي بمثابة ولادة ثانية: "ولدنا بقيامة يسوع المسيح من بين الاموات ولادة ثانية"[3]؛ هذه الولادة ابدية: "انتم ولدتم ولادة ثانية، لا من زرع يفنى، بل زرع لا يفنى، وهو كلمة الله الحية الباقية"[4].بل هي خليقة جديدة: "اذا كان احد في المسيح، فهو خليقة جديدة: زال القديم وها هو الجديد"[5]؛ و: "نحن خليقة الله، خلقنا في المسيح يسوع للأعمال الصالحة التي أعدها الله لنا من قبل لنسلك فيها"[6]. وإن موت المسيح طهر البشر نهائيا من دنس الخطيئة ليعيشوا حياة جديدة تماما: "فتطهروا من الخميرة القديمة لتصيروا عجينا جديدا لأنكم فطير لا خمير له، فحمل فصحنا ذُبح، وهو المسيح. فلنعيد اذاً، لا بالخميرة القديمة، ولا بخميرة الشر والفساد، بل بفطير النقاوة الحق"[7]؛ وان تلك الحياة الجديدة التي حصل عليها المسيحي نتيجة صلب يسوع تضمن له ان يموت عن الخطيئة، ويحيا

---

[1]) تسالونيكي الاولى،5: 10.

[2]) اعمال القديس توما: 80.

[3]) بطرس الاولى،1: 3.

[4]) بطرس الاولى،1: 23.

[5]) كورنثوس الثانية،5: 17.

[6]) افسس،2: 10.

[7]) كورنثوس الاولى،5: 7-8.

للحق[1]. ويصف توما تلك الحياة الجديدة التي يحصل عليها المؤمن بالمسيح: "لكنني اتمجد في الفقر، وحب الحكمة، والتواضع، والصوم، والصلاة، والاتصال بالروح القدس..."[2].ومن هنا علينا ان نفهم قول الشيطان للقديس توما عندما اخبره ان المسيح ليس شخصا عاديا بل هو من يمنح الحياة فهو: "الذي يجعل الناس احياء"[3]. من جانب اخر على المسيحيين بعد ان حصلوا على تلك الحياة الا يفكروا مجددا بالقضايا الدنيوية الزائلة: "ان كنتم قمتم مع المسيح، فاسعوا الى الامور التي في السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله. أهتموا بالأمور التي في السماء، لا بالأمور التي في الارض"[4]؛ وهم بذلك عليهم ان يتخلصوا من: الدعارة، والزنى، والفسق، والهوى، والشهوة الرديئة، والسكر، والخلاعة، والعربدة، والفجور، وعبادة الاوثان المحرمة؛ بل عليهم ان يتخلصوا من كل ما فيه من غضب، نقمة، وخبث، وشتيمة، أي عليهم الا يتلفظوا بالكلام البذيء، ولا الكذب[5]؛ والقديس بطرس يحث المسيحيين قائلا لهم: "كأبناء طائعين لا تتبعوا شهواتكم ذاتها التي تبعتموها في ايام جهالتكم"[6]؛ لأن شهوات الجسد تحارب النفس[7].وبالمقابل على المسيحي ان يتسم بالحنان، والرأفة، والوداعة، والصبر، أي على المسيحيين ان يحتملوا بعضهم، ويسامحوا

[1]) بطرس الاولى،2: 24.

[2]) اعمال القديس توما: 139.

[3]) اعمال القديس توما: 45.

[4]) كولوسي،3: 1-2.

[5]) كولوسي،3: 5-9؛ بطرس الاولى،4: 3.

[6]) بطرس الاولى،1: 14.

[7]) بطرس الاولى، 2: 11.

بعضهم: "فكما سامحكم الرب، سامحوا انتم ايضا"، كما ان عليهم ان يتسموا بالمحبة، فهي رباط الكمال[1]. والسبب في ذلك كله: "انكم خلعتم الانسان القديم وكل اعماله، ولبستم الانسان الجديد الذي يتجدد في المعرفة على صورة خالقه"[2]. وهذا يعني المسيحي الذي تخلص من الخطيئة، وحصل على حياة جديدة عن طريق موت المسيح حمل الفداء كان عليه واجبا اخلاقيا وهو ان يحافظ على نفسه من الوقوع في الخطيئة مرة اخرى لذا نجد المسيحي الذي يصلي صلاة الندم يقول: "ربي، أني نادم ندامة صادقة على جميع خطاياي، لأني بالخطيئة خسرتك، انت ربي المستحق كل محبة، وخسرت نفسي والسماء، واقصد بنعمتك الا اعود الى الخطيئة وان اكفر عنها"[3]. فالثمن الذي قدمه الله لإنقاذ البشر كان غاليا جدا وهو الالم، فالمسيحي الذي تماثل مع المسيح وذاق الالم معه كان ذلك كفيلا بأن يترك الخطيئة نهائيا: "اذا كان المسيح تألم في الجسد، فتسلحوا انتم بهذه العبرة، وهي إن من تألم في الجسد امتنع عن الخطيئة، ليعيش بقية عمره في العمل بمشيئة الله، لا في الشهوات البشرية"[4]. لذا على المسيحيين-كما يوصيهم بولس- الا يدعو الخطيئة تسود اجسادهم الفانية، فينقادوا للشهوات، والا يجعلوا من اعضائهم سلاحا للشر في سبيل الخطيئة، بل عليهم ان يكونوا احياء قاموا من بين الاموات، ويجعلوا من اعضائهم سلاحا للخير في سبيل الله: "فلا يكون للخطيئة سلطان عليكم بعد

---

[1]) كولوسي،3: 12-14.

[2]) كولوسي،3: 10..

[3]) زيعور، اوغسطينوس،ص37.

[4]) بطرس الاولى،4: 1-2.

الان..."[1]؛ ويؤكد هرماس في كتابه الراعي هذه المسألة، اذ جاء في الوصية 4 في عرض الحوار بين هرماس وبين ملاك التوبة ما يلي: "فقلت لقد سمعت من بعض المعلمين انه لا توبة بعد التغطيس، وغفران الخطايا السابقة. فقال لي لقد احسنت السمع، فالصحيح هو كما سمعت. يجب على من ينال غفران الخطايا الا يقع في الخطيئة مرة ثانية، وان يبقى طاهرا"[2]. ولكن هرماس في كتابه الراعي ومن بعده اقليمس الاسكندري يؤكدان-وهما بذلك اختلفا مع بولس- ان توبة المسيحي واحدة في اساسها لا تتكرر، وهي توبة المؤمن قبل المعمودية، ولكن الله عرف ضعف الانسان، فشمله برحمته، ورأفته، فأنعم عليه بتوبة ثانية واحدة ايضا، ولا تجوز هذه التوبة الثانية الا عن الخطايا التي تُرتكب عفوا، أما تلك التي تأتي بعد المعمودية عن سابق تصور وتصميم ويتبعها امعان في التيه والضلال، فإنها تكسر ختم المعمودية، وتدخل في الحساب يوم الدينونة[3]. إن رجوع الانسان الى الخطيئة بعد تحرره منها بمثابة صلب المسيح مرة ثانية وهذا أولاً، فالذين أُنيروا مرة وذاقوا الهبة السماوية وصاروا مشاركين في الروح القدس، واستطابوا كلمة الله الصالحة، ومعجزات العالم المقبل، ثم سقطوا ثانية: "يستحيل تجديدهم واعادتهم الى التوبة، لأنهم يصلبون أبن الله ثانية لخسارتهم ويعرضونه للعار"[4]، على حد قول كاتب مسيحي. وان الإنسان الذي يخطئ بعدما حصل على معرفة الحق، فلا تبقى هناك ذبيحة كفارة للخطايا، بل عليه هذا الإنسان: "انتظار يوم مخيف، ولهيب نار يلتهم

---

[1]) رومة،6: 12-14.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص44.

[3]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص116.

[4]) العبرانيين،7: 4-6.

العصاة"[1] وهذا ثانيا؛ وان الذين يعودون للخطيئة مرة ثانية بعد خلاصهم يكونون اسوء حالا من حياتهم الاولى قبل الخلاص وهذا ثالثا: "الذين نجوا من مفاسد العالم بعدما عرفوا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، ثم عادوا الى الوقوع في حبائلها، وانغلبوا، صاروا اسوأ حالا في النهاية منهم في البداءة، وكان خيرا لهم ان لا يعرفوا طريق الصلاح من أن يعرفوه ثم يرتدوا عن الوصية المقدسة التي تسلموها"[2].

اما على المستوى الثاني أي الاخروي، فإن المسيح لم يمت فعليا، بل مات جسده فقط: "مات في الجسد ولكن الله احياه في الروح"[3]؛ وهذا يفسر لنا اشارة وردت في احدى الكتب غير القانونية(ابوكريفا) على لسان المسيح: "ينبغي ان اموت حسب الجسد"[4]. وكثيرا ما اشار الرسل الى حقيقة قيامة يسوع من بين الاموات في صراعهم مع اليهودية أو الوثنية، أو في توجيهاتهم التي يرسلونها الى المؤمنين بالديانة المسيحية[5].وان قيامة المسيح من القبر ذات دلالة مهمة وتكشف عن الترابط بين رمزية الحوت والقبر، والمسيح ويونان[6]: "فكما بقي

---

1) العبرانيين،10: 26-27.

2) بطرس الثانية،2: 20-21.

3) بطرس الاولى،3: 18.

4) قصة يوسف النجار،28: 13.

5) اعمال الرسل،2: 32؛ 3: 15؛ 4: 10؛ 5: 30؛ 10: 39-43؛ 13: 30-31، 33؛ 17: 3، 31؛ 26: 23؛ رومة،1: 4؛ 4: 24؛ غلاطية،1: 1؛ تسالونيكي الاولى،1: 10؛ تيموثاوس الثانية،2: 8؛ بطرس الاولى،1: 21؛ رؤيا يوحنا،1: 5.

6) ان التمازج بين المسيح ويونان مهم جدا لاسيما واذا ادركنا ان يونان ذاته في الاسطورة المتعلقة به يقدم كقربان بشري لإيقاف العاصفة، وبالتالي فإن الرمزية بين الحوت والقبر ليست وحدها المهمة بل الاهم يونان القربان والمسيح القربان!!!.

يونان ثلاثة ايام بلياليها في بطن الحوت، كذلك يبقى ابن الانسان ثلاثة ايام بلياليها في جوف الارض"[1].وطبيعة الترابط بين يسوع ويونان يظهر جليا في قول المسيح: "فكما كان النبي يونان آية لأهل نينوى، فكذلك يكون أبن الانسان آية لهذا الجيل"[2].

إن موت يسوع وقيامته حقق الخلود بعد ان قضى على الموت: "المسيح يسوع الذي قضى على الموت وانار الحياة والخلود والبشارة"[3]. وبما ان المسيحي متماثل مع المسيح عن طريق المعمودية، فإنه سيقوم من الموت بعد موته الفعلي ليعيش في السماء مع يسوع كما قام يسوع نفسه من بين الاموات وعاش في السماء مع الله، وتعد هذه المسألة الاهم في كل المعتقد المسيحي-أي قيامة الموتى، ويوضح بولس اهمية هذا المعتقد بالنسبة لكل الايمان المسيحي، فقيامة يسوع بالنسبة لـ بولس هي سببا في قيامة الاموات، فالمسيحي كان متماثلا مع المسيح عن طريق المعمودية، لذا فالمسيحي يقوم من بين الاموات مثل المسيح: "ما دمنا نبشر بأن المسيح قام من بين الاموات، فكيف يقول بعضكم ان الاموات لا يقومون؟. (فـ) إن كان الاموات لا يقومون فالمسيح ما قام ايضا". وان الاعلان بأن الاموات لا يقومون يشكل بالنسبة لـ بولس تحديا مهما من اجل البرهنة على بطلان الايمان المسيحي من عدمه: "ان كان المسيح ما قام فتبشيرنا باطل وايمانكم باطل، بل نكون شهود الزور على الله، لأننا شهدنا على الله انه اقام المسيح وهو ما اقامه، إن كان الاموات لا يقومون؛ فإذا كانوا لا يقومون، فالمسيح ما قام ايضا؛ فإذا كان المسيح ما قام فأيمانكم باطل، وانتم بعد في

---

[1]) متى،12: 40. انظر نصا مشابها في: رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 29-31.

[2]) لوقا،11: 30.

[3]) تيموثاوس الثانية،1: 10.

خطاياكم، وكذلك الذين ماتوا في المسيح هلكوا. واذا كان رجاؤنا في المسيح لا يتعدى هذه الحياة فنحن اشقى الناس جميعا"[1]. لذا فإن الايمان بقيامة المسيح ستضمن للإنسان ان يحيا معه في السماوات: "فإن كنا نؤمن بأن يسوع مات ثم قام، فكذلك نؤمن بأن الذين رقدوا في يسوع سينقلهم الله اليه مع يسوع"[2]؛ ففي يوم الدينونة ينزل المسيح بنفسه من السماء: "عند الهتاف، ونداء رئيس الملائكة، وصوت بوق الله"، فيقوم اولا الذين ماتوا في المسيح. اما من تبقى الاحياء المؤمنين بـ يسوع فيُخطفون مع الاموات ليعيشوا مع المسيح : "ثم نُخطف معهم في السحاب نحن الاحياء الباقين لملاقاة الرب في الفضاء، فنكون كل حين مع الرب"[3]؛ ويظهر ان قيامة الموتى ليست روحية حسب بل يقومون بأجسادهم، هذا ما يمكن ان نفهمه من رسالة منسوبة الى بولس: "ان يقيمنا من الموت بالجسد"[4]؛ لذا فالذين يقولون ليست هناك قيامة بالجسد سوف لن تكون لهم قيامة، لأنهم لا يصدقون الذي قام هكذا[5].

لكن لا يمكن الاقرار ان كل المسيحيين كانوا يمتلكون في القرون الاولى للمسيحيين رؤية بولس ذاتها حول قيامة الموتى، كما هو الان طبعا، ويمكن ان نستخلص من بعض النصوص المسيحية رؤية اخرى حول قيامة الموتى، فالقديس توما هو الاخر يتحدث عن انقاذ الموتى بشكل مغاير عن الذي قاله بولس، فبالنسبة اليه كان المسيح هو الرسول الذي ارسل من الاعلى، والذي

---

[1]) كورنثوس الاولى،15: 12-19.

[2]) تسالونيكي الاولى،4: 14.

[3]) تسالونيكي الاولى،4: 16-18.

[4]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 6.

[5]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 24-25.

ذهب الى الاسفل حتى هادس، والذي فتح الابواب، واخرج وجلب الذين كانوا مسجونين منذ اجيال كثيرة في خزائن الظلام، واراهم الطريق الذي يقود نحو الاعلى[1]. فـ توما يقول ان المسيح ارسل من السماء لغاية واحدة هي انقاذ الموتى من الظلام، وهو هنا ليس مثل بولس تماما، فالأخير يقول ان المسيح ينقذ فقط اولئك الذين امنوا بقيامته، تلك القيامة التي ستتحقق عن طريق الايمان فقط، في حين ان توما يؤكد ان المسيح جاء ينقذ الاموات بشكل عام من الظلام بشكل فعلي، وعلى نحو واقعي. وهناك نص مسيحي يشير الى حوار مفترض جرى بين الشيطان وهادس(عالم الاموات) حول مقدرة المسيح على بعث الموتى، وهو امر اخاف هادس ، ففي كلامه مع الشيطان فإنه يخبره: "انت قد اخبرتني بأن كثيرين ممن جعلتهم جاهزين للدفن، هو جعلهم ثانية احياء بكلمة واحدة، واذن بناء عليه سيقوم بتحرير الاخرين من القبر"، كما يقول له ايضا: "اننا اذا استقبلناه هنا فأنا اخشى اننا سنواجه خطر فقدان الاخرين ايضا، لأنه، اعلم، انني ارى ان جميع الذين التهمتهم من بداية الدنيا غير هادئين، امعائي تؤلمني، ولعازار الذي انتزع مني من قبل، يبدو لي ليس مؤشر خير، لأنه لم يكن مثل انسان ميت بل مثل نسر طار مني، لذلك اسرعت الارض بقذفه الى الخارج"، ويخلص هادس في حوار في تضرع مرفوع الى الشيطان بعدم جلب المسيح اليه: "وبناء عليه استحلفك بأعطياتك واعطياتي، الا تجلبه الى هنا، لأنني اعتقد انه اذا ما جاء الى هنا فهو سوف يبعث جميع الموتى، واريد ان اخبرك هذا: انه بحق الظلام الذي يحيط بنا، انك اذا ما جلبته الى هنا، فما من

---

[1]) اعمال القديس توما: 10.

واحد من الاموات سوف يُترك لي"[1]. وقبل الاسترسال في هذا النص علينا ان نلاحظ جيدا ان خوف هادس تركز على قدرة يسوع على تحرير الموتى، وهو امر يذكرنا جيدا من القلق ذاته من اله الطب الاغريقي اسكليبيوس الذي اكتسب سمعة طيبة لأعاجيبه الشفائية حتى انه نجح في إعادة الموتى إلى الحياة، ويعود الفضل في ذلك إلى استعمال دم الغورغون الذي أعطته إياه أثينا، والى خواص نبات أخبرته به ذات مرة أفعى، فشعر هادس(اله العالم الأسفل) بالغبن، والظلم، فذهب إلى زووس شاكيا، فوافق زووس ان على البشر ان يلاقوا مصيرهم، وهكذا عد اسكليبيوس مذنبا لإعاقة سنن الطبيعة، فضربه زووس بصاعقة قضت عليه[2]. ولكن على خلاف اسكليبيوس فإن المسيح لا يمكن ايقافه ابدا من قبل اية قوة فوق طبيعية، اذ بينما كان الشيطان وهادس يتحدثان سمعا صوتا مرتفعا مثل الرعد يقول: "ارفعوا ابوابكم ايها الحكام، وارتفعي ايتها الابواب الدائمة، فملك المجد سوف يصل ويدخل". وعندما سمع هادس هذا، قال للشيطان: "اخرج، اذا كنت تستطيع، وتصد له". ثم التفت هادس الى شياطينه وقال لهم: "اغلقوا ابواب النحاس بقوة وثبات، وحواجز الحديد، وامسكوا اقفالي، وقفوا متيقظين، واديموا الحراسة، لأنه اذا وصل ودخل، الويل سوف يستولي علينا". وعندما سمع الاباء الاولون ذلك شرعوا جميعا يسخرون منه قائلين: ايها الملتهم لكل شيء، والذي لا يشبع، افتح، حتى يمكن لملك المجد ان يدخل"، ثم قال الملك داود: "او لا تعلم ايها الاعمى، انني عشت في الدنيا، وتنبأت بتلك الكلمة: ارفعوا ابوابكم، ايها الحكام؟"[3]. ويبدو ان

---

[1]) انجيل نيقاديموس،20: 3.

[2]) انظر هذه الحادثة في: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص160.

[3]) انجيل نيقاديموس،21: 1-2.

كاتب النص استند في القول الذي نسبه الى داود الى المزامير التي يقول فيها الاخير:

"ارفعي رؤوسك ايتها الابواب

وارتفعي ايتها المداخيل الابدية

فيدخل ملك المجد

من هو ملك المجد؟

هو الرب العزيز الجبار

الرب الجبار في القتال"[1].

ويستمر الموتى في مخاطبة هادس فيأتي دور النبي اشعياء الذي يخبره: "انا تنبأت بهذا، بوساطة الروح القدس وكتبت: الميت سوف يقوم، والذين هم في القبور سوف يبعثون، والذين هم تحت الارض سوف يبتهجون، يا موت اين لسعتك؟ يا هادس أين نصرك؟". وبعد ان انتهى اشعياء من حديثه سمع هادس الصوت يصرخ مجددا، فتساءل وكأنه لا يعرف: "من هو هذا ملك المجد؟"، فقالت ملائكة الرب: "الرب قوي، وقدير، الرب جبار في المعركة"، وعلى الفور عندما سمع هذا الجواب تفتت ابواب النحاس الى قطع، وسُحقت حواجز الحديد، وجميع الموتى الذين كانوا مغلولين، فُكت اغلالهم، ودخل ملك المجد كرجل، وجميع اماكن هادس المظلمة أضئيت. وهنا صرخ هادس على الفور وبصوت مرتفع قائلا: "نحن هزمنا، الويل لنا، لكن من انت الذي امتلكت مثل هذه السلطة والمقدرة؟ ومن انت الذي من دون ذنب وصلت الى هنا، انت الذي تبدو صغيرا، ويمكنك ان تفعل اشياء عظيمة، والذي هو متواضع وممجد(من قبل):

---

[1]) مزامير،24: 7-8.

العبيد والسادة، والجنود والملوك، ولديك السلطة على كل من الاموات والاحياء؟ لقد سُمرت على الصليب، ومددت في الضريح، واصبحت الان حرا طليقا، ودمرت جميع قوتنا، هل انت يسوع، الذي قال لنا الشيطان الحاكم، بأنك من خلال الصليب والموت سوف ترث العالم كله؟". لكن المسيح لم يجب على تساؤلات هادس بل امسك الشيطان من الرأس، وسلمه الى الملائكة قائلا: غلوا بالحديد يديه، ورجليه، ورقبته، وفمه"، ثم اعطاه الى هادس، وقال: "خذه واحتفظ به بشدة حتى قدومي الثاني". واخذ هادس الشيطان وقال له: "يا بعلزيبوب(Beelzebub)، وريث النار، والعذاب، عدو القديسين، من خلال أي ضرورة انت سعيت جاهدا حتى جرى صلب ملك المجد، ولذلك قدم الى هنا، وجردنا عراة؟ التفت وانظر، ولا رجلا واحدا ميتا ترك لي، بل ان كل الذي كسبته من خلال شجرة المعرفة فقدته من خلال شجرة الصليب، وجميع بهجتك تبدلت الى حزن، فقد رغبت بقتل ملك المجد، لكن قتلت نفسك، لأنني منذ ان تسلمتك لأبقيك سجينا، سوف تعلم بالخبرة اية شرور سوف اعملها لك، ايها الشيطان الرئيس، يا بداية الموت، ويا اصل الذنوب، ونهاية جميع الشرور، ما هو الشر الذي وجدته في يسوع حتى تشتري دماره؟ كيف تجرأت على اقتراف مثل هذا الشر العظيم؟ كيف درست لتُنزل مثل هذا الانسان الى هذا الظلام، والذي من خلاله جردت جميع الذين ماتوا منذ البداية؟". وفي الوقت الذي كان فيه هادس يخاطب الشيطان مد يسوع يده اليمنى وامسك آدم ورفعه الى الاعلى، ثم التفت الى البقية وقال: "تعالوا معي جميعا الذين متم من خلال الشجرة التي لمسها هذا الرجل، لأنني اعلموا قد اقمتكم جميعا ثانية من خلال شجرة الصليب"، وبذلك ارسلهم وحررهم، وشوهد آدم وهو مليء

بالبهجة، وقال للمسيح: "انا اقدم الشكر لجلالتك يا مولاي، لأنك اصعدتني من قعر هادس"، في حين قال له جميع الانبياء والقديسين: "ايها المسيح، يا مخلص العالم، نحن نقدم لك الشكر، بسبب انك جلبتنا الى الحياة من الدمار". وبعد ان انتهى الانبياء من خطابهم بارك المسيح آدم بوضع اشارة الصليب على جبينه، وفعل هذا للآباء البطاركة، والانبياء والشهداء، والاباء الاولين، الذين اخذهم وبعثهم خارج هادس؛ وهكذا ذهب المسيح الى الجنة ممسكنا بيد ادم وسلمه مع جميع المؤمنين الى رئيس الملائكة ميكائيل(1). بعد الانتهاء من هذا النص المسيحي ذي الاسلوب الادبي الرفيع علينا ان نقدم بعض الملاحظات حوله:

1. ان كاتب النص يقف الى اقصى اليسار من فكرة بولس الاصلية، لأن الاخير لم يكن يتخيل ابدا ان المسيح سينزل بنفسه الى عالم الاموات لينقذ الموتى، وبالتالي يحقق القيامة، بل كان الهدف الاصلي من فكرة بولس هو ان الايمان وحده كفيل بأن يحقق تلك القيامة على المستويين الدنيوي والاخروي؛ في حين كاتب هذا النص على غرار توما اخذ فكرة قيامة الموتى بمعناها الحرفي، وجعل المسيح ينزل بنفسه لإنقاذهم، وبالتالي كان تحقيق القيامة بالنسبة له على مرحلتين الاولى يحقق المسيح قيامة الموتى من آدم الى يوم نزوله، وهذا سيخلق عقبة امام كاتب النص وهي: ما هو مصير بقية الموتى بعد صعود المسيح الى السماء؟ لذا حشر المرحلة الثانية في النص عندما اكد على لسان

(1) انجيل نيقاديموس،21: 2-3؛ 22؛ 23؛ 24.

المسيح ولهادس ان هناك قدوم ثانٍ له، علينا ان نفهمه جيدا انه يوم الدينونة، لتحرير بقية الموتى المؤمنين.

2. ان كاتب النص يرتكز على معادلة شبيهة بتلك التي خلقها بولس بين آدم والمسيح، لأن الاخير لا يهدف فقط الى انقاذ البشر من الخطيئة الاصلية، بل تحقيق هدف اعمق وهو اعادة ادم الى الجنة، لذا نجده يقدم مناظرة بين شجرة المعرفة التي سببت الموت، وبين شجرة الصليب التي حققت الحياة.

3. يظهر جليا من خلال النص مدى المؤثرات الزرادشتية الواضحة فوجود عالمين مختلفين ومتباينين بشكل جذري هما الجنة وهادس، وانتصار المسيح على هادس يمثل رؤية زرادشتية واضحة تمثل انتصار اهوزامزدا على اهريمان في نهاية العالم.

هناك نص مسيحي على شكل حوار بين المسيح ورجل يدعى بارثلميو يُظهر ايضا مسألة قيامة الموتى على غرار ما ذكره توما، ونص انجيل نيقاديموس، والنص يحدد نزول المسيح في الوقت الذي اظلم فيه العالم عند صلب المسيح أي عند الظهر حتى الساعة الثالثة من عصر يوم الجمعة العظيمة!!!!:

-المسيح: انني عندما اختفيت من الصليب، ذهبت نازلا الى هادس، حتى اجلب آدم الى الاعلى، وجميع الذين كانوا معه، وفقا لتضرعات رئيس الملائكة ميكائيل.

-بارثلميو: مولاي ما الذي كأنه الصوت الذي سُمع؟.

-المسيح: قال هادس الى بليار(الشيطان): كما اتصور رب قادم الى هنا.

-بارثلميو: اخبرني مولاي، من كان ذاك الذي حملته الملائكة بأيديهم، ذلك الرجل الذي كان صاحب بنيان جسدي كبير؟

-المسيح: انه كان آدم اول مخلوق، الذي من اجله نزلت انا من السماء على الارض، وقلت انا له: انا قد علقت على الصليب من اجل خاطر بنيك، وهو عندما سمع ذلك تنهد وقال: هكذا فضائلك الجيدة ايها المولى"[1].

بشكل عام تكشف مسألة قيامة الموتى عن مؤثرات شرقية قديمة ترتبط بعبادات الخصب، وهذا يتضح جليا عندما ربط بولس بين قيامة الموتى ونمو القمح: "لأنهم لا يعرفون ايها الكورنثيون حول بذر القمح، أو بعض الحبوب الاخرى، انها تُرمى عارية في الارض، وبعدما تهلك تقوم ثانية بإرادة الرب في جسد وثياب"[2]؛ وهذا يذكرنا في اقل تقدير في ربط المصريين القدماء بين القمح ورب الموتى اوزيريس.

- **التخلص من غضب الله والتصالح معه:**

مثل كل اضحية في العالم القديم كان المضحي يهدف الى التخفيف من غضب الالوهية والتصالح معها، وتقديم المسيح نفسه اضحية حققت ثلاث غايات رئيسة هي:

- الغفران الالهي أو كما يقال: "غفر الله لكم في المسيح"[3].

-تحقيق السلام مع الله: "فبدمه على الصليب حقق السلام"[4].

-تحقيق المصالحة مع الله: وهي الغاية الاهم: "فكم بالأولى الان بعدما تبررنا بدمه ان نخلص به من غضب الله، واذا كان الله صالحنا بموت ابنه ونحن اعداؤه، فكم بالأولى ان نخلص بحياته ونحن متصالحون. بل نحن ايضا نفتخر

---

[1]) اسئلة بارثلميو: 9-11، 21-22

[2]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 26.

[3]) افسس،4: 32.

[4]) كولوسي،1: 20.

بالله، والفضل لربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الان هذه المصالحة"[1]، فـ بولس يعتقد ان الله من اجل ان يصالح البشرية ارسل ابنه للتضحية به من اجلهم: "هذا كله من الله الذي صالحنا بالمسيح وعهد الينا خدمة المصالحة"، ويفسر بولس عبارته هذه بشيء من الوضوح: "أي ان الله صالح العالم مع نفسه في المسيح وما حاسبهم على زلاتهم، وعهد الينا ان نعلن هذه المصالحة"[2]؛بل ان هذه المصالحة مع الله لا تشمل البشر فقط بل كل ما في العالم: "لأن الله شاء...ان يصالح به كل شيء في الارض كما في السموات"[3]. وان من نتائج كل ذلك هو تحقيق الطهارة النهائية من الدنس: "صالحكم في جسد المسيح البشري حين اسلمه الى الموت ليجعلكم في حضرته قديسين بلا عيب أو لوم"[4].

لكن على خلاف الاضحية العادية التي يقدمها البشر الى الالوهية الغاضبة التي تقدم في كل مرة يشعر بها الانسان ان الهه غاضب منه، فإن التضحية بـ يسوع ابدية تمت مرة واحدة في التاريخ ولن تتكرر بعد ذلك، انها مصالحة نهائية بين البشر والله: "المسيح نفسه مات مرة واحدة من اجل خطايانا"[5]؛ ويسوع ككاهن يقدم نفسه اضحية مرة واحدة فقط: "هو رئيس الكهنة الذي يناسبنا، هو قدوس برئ لا عيب فيه، ولا صلة له بالخاطئين، ارتفع الى اعلى من السموات. وهو بخلاف رؤساء الكهنة، لا حاجة به الى ان يقدم الذبائح كل يوم كفارة لخطاياه اولا، ثم لخطايا الشعب، لأنه فعل هذا

---

[1]) رومة،5: 9-11.

[2]) كورنثوس الثانية،5: 18-19.

[3]) كولوسي،1: 19-20.

[4]) كولوسي،1: 22.

[5]) بطرس الاولى،3: 18.

مرة واحدة، حين قدم نفسه"[1]. ولكن لماذا التضحية بالمسيح تتم مرة واحدة في التاريخ ولن تتكرر؟ أو بتعبير اخر: المسيح الاله لماذا لا يظهر في كل عصر ويقوم بالفعل ذاته ويغفر الخطايا؟.

يعلل كاتب مسيحي هذه المسألة المهمة والضرورية عندما يكتب: إن المسيح كاهن الله لكنه لم يدخل قدسا صنعته ايدي البشر صورة للقدس الحقيقي، بل دخل السماء ذاتها ليظهر الان في حضرة الله من اجل البشر، لا لأنه سيقدم نفسه عدة مرات كما يدخل رئيس الكهنة قدس الاقداس كل سنة بدم غير دمه، والا لكان عليه ان يتألم مرات كثيرة منذ انشاء العالم، ولكنه ظهر الان مرة واحدة عند اكتمال الازمنة ليزيل الخطيئة بتقديم نفسه ذبيحة لله. وكما ان مصير البشر ان يموتوا مرة واحدة، وبعد ذلك الدينونة، فكذلك المسيح قدم نفسه مرة واحدة ليزيل خطايا الكثير من الناس[2]. وهذا الكاتب المسيحي لا شك كان يعتقد مؤمنا-وان كان مخطئا طبعا- ان نهاية الازمنة كان في القرن الميلادي الاول، أي نهاية العالم، وحلول الدينونة. ويستمر هذا الكاتب في تعليله: ان الذبائح التي تقدم سنة بعد سنة حسب الشريعة لن تجعل الذين يتقربون بها الى الله كاملين، والا لتوقفوا عن تقريبها، فالعابدين اذا تمت لهم الطهارة مرة واحدة، زال من ضميرهم الشعور بالخطيئة، في حين ان تلك الذبائح المتكررة ذكرى للخطايا سنة بعد سنة، لأن دم الثيران والتيوس لا يقدر ان يزيل الخطايا[3]؛ في حين ان المسيحيين تقدسوا: "بجسد يسوع المسيح الذي

---

[1]) العبرانيين،7: 26-27.

[2]) العبرانيين،9: 24-28.

[3]) العبرانيين،10 :1-4.

قدمه قربانا مرة واحدة"[1]؛ وهو على خلاف الكاهن اليهودي الذي يقف كل يوم ويقوم بالخدمة، ويقدم الذبائح نفسها مرات كثيرة وهي لا تقدر ان تمحو الخطايا، فإن المسيح، قدم الى الابد ذبيحة واحدة كفارة للخطايا: "لأنه بقربان واحد جعل الذين قدسهم كاملين الى الابد"[2]، وهكذا نخلص مع هذا الكاتب المسيحي ان المسيح لا يحتاج ان يكرر التضحية التي قام بها، بل سيكتفي بتقديمها مرة واحدة في التاريخ فـ: "يسوع المسيح هو هو، بالأمس، واليوم، والى الابد"[3].

- **التخلص من الشريعة اليهودية:**

هل كان المسيحيون يؤمنون ان السيد المسيح جاء ليفتدي البشرية من خطاياهم فقط؟، الا يمكن ان يفكر بعض من المسيحيين بأسباب اخرى لتفسير السبب الذي دفع بالمسيح الى التضحية بنفسه؟.

ان بولس الذي رأيناه يقدم مفاهيم ثورية في مفهوم الخطيئة والخلاص، لا يقتصر في تحليله على القول المجرد بأن: المسيح صلب ليُخلص العالم من الخطيئة، لأن هذه النتيجة كانت مدعاة لأن يقدم تصور اكثر عمقا وجوهرية وهو: يجب التخلص ليس فقط من الخطيئة بل من المسبب لتلك الخطيئة وهي هنا بالنسبة له: الشريعة التي قادت الى الخطيئة، وهكذا استطاع بذكاء ان

---

[1]) العبرانيين،10: 10.

[2]) العبرانيين،10: 11-14.

[3]) العبرانيين،13: 8.

يخلص المسيحي تماما من الشريعة اليهودية، بعد ان كان المسيح قد ربط نفسه بها[(1)].

---

[1]) حول ربط يسوع نفسه بالشريعة اليهودية انظر: متى،5: 17-18؛ 7: 12؛ لوقا،16: 17. ان المسيحية منذ بدايتها كانت منقسمة الى فريقين الاول ويمثله بولس وافكاره الشمولية الذي رفض الشريعة اليهودية، وكان يهدف الى التبشير بالمسيحية بشكل عام وليس حصرها على اليهود. ونجد هذا التصور ايضا لدى كاتب انجيل متى المزيف الذي يسرد رواية مفادها ان يوسف ومريم كانا يسيران على الطريق الذي يؤدي الى بيت لحم، فقالت مريم ليوسف: "انني ارى شعبين امامي: واحدا يبكي، والاخر يضحك"، فأجابها يوسف: "اجلسي صامتة على دابتك، ولا تتفوهي بكلمات زائدة لا معنى لها". وسرعان ما ظهر امامهما طفل جميل مرتديا ثيابا بيضاء وقال ليوسف: "لماذا قلت بأن الكلام الذي تفوهت به حول الرجلين، كان كلاما زائدا لا معنى له؟ لأنها رأت شعب اليهود يبكي، لأنه ابتعد عن ربه، وشعب الامم يضحك، لأن هذا الشعب اقترب الان من الرب، وبات قريبا من المولى، وفقا لما وعد به آباءنا: ابراهيم، واسحاق، ويعقوب، لأن الوقت بات حلوله قريبا، عندما ستعم البركة الممنوحة لذرية ابراهيم، وتمنح الى جميع الامم". انظر: انجيل متى المزيف،13: 1-3. في حين كان الفريق الثاني الذي تمثله كنيسة اورشليم التي يمكن ان نسميها المسيحية-اليهودية التي ارتبطت بالشريعة، ورفضت دخول المسيحية كل شخص غير يهودي، ويتضح الفارق جيدا بين الفريقين في موقفهما من الشريعة اليهودية، ففي الوقت الذي عمل بولس على فصل المسيحية عن الشريعة اليهودية كما سنرى اعلاه، فإن القديس يعقوب اخو الرب(أي المسيح) يتمسك بالشريعة لذا نجده يقول: "ان من يتكلم بالسوء على أخيه أو يدين أخاه يتكلم بالسوء على الشريعة، ويدين الشريعة، واذا كنت تدين الشريعة، فما أنت عامل بها، بل ديان لها". انظر: يعقوب،4: 11. والقديس توما في انجيله يؤكد على لسان يسوع اهمية السبت اليهودي: "اذا لم تحافظ على السبت كسبت فلن تعرف الاب". انظر: انجيل توما(النسخة القبطية): 27. من جانب اخر هناك دلائل داخل الاناجيل ذاتها تشير الى تمسك الجماعة المسيحية الاولى بالشريعة اليهودية، ويمكن ان نستشهد بمثال بارز، فبعد صلب يسوع يوم الجمعة العظيمة أو جمعة الالام، كان لابد من دفنه، وكان المساء قد اقترب، وهو وقت التهيئة أي ما قبل السبت، فجاء يوسف الرامي وكان من اعضاء مجلس اليهود البارزين، فتجاسر ودخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع الذي سمح له بأخذ جثته، فاشترى كفنا، ثم انزل الجسد عن الصليب وكفنه، ووضعه في قبر محفور في الصخر، ودحرج حجرا على باب القبر. انظر الحادثة في: متى،27: 45-56؛ مرقس،15: 33-47؛ لوقا،23: 44-49؛ يوحنا،19: 28-30. والحقيقة ما كانت روما تهتم بالمحكوم عليهم، لكن كانت الشريعة اليهودية هي من تفرض ان يدفن

ان الشريعة اليهودية حسب بولس هي التي قادت البشر الى الخطيئة والموت وهو بذلك يقدم تناقضا مهما وحاسما مع الفكر اليهودي، لأن الشريعة هنا قد حلت محل ابليس[1]، وهو أمر مهم في ذاته، وبالتالي فإن التضحية التي قدمها يسوع عندما صُلب ومات لم تكن لإنقاذ البشر من الخطيئة حسب بل لإنقاذهم من الشريعة التي قادت الى الخطيئة والموت، ولكن كيف تم ذلك؟ أي كيف تمكن بولس من جعل الشريعة موازية للشيطان، وعدها مسببة للخطيئة والموت؟.

ان بولس يشرح ذلك بشكل مسهب، فالشريعة وفق شرح بولس هي التي سببت الافعال الشريرة: "حين كنا نحيا حياة الجسد، كانت الاهواء الشريرة التي اثارتها الشريعة تعمل في اعضائنا لتثمر للموت"[2]؛ الا ان بولس في قوله هذا لم يهاجم الشريعة اليهودية كما قد يعتقد القارئ للوهلة الاولى، اذ ان

المحكوم عليه قبل غروب الشمس: "اذا وجدتم على احد جريمة تستوجب القتل، فقُتل وعُلق على خشبة، فلا تتركوا جثته على الخشبة الى اليوم الثاني، بل في ذلك اليوم تدفنونه لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجسوا ارضكم التي اعطاكم الرب الهكم ملكا لكم". انظر: تثنية،21: 22-23. وهذا يشير ان يوسف الرامي طبق الشريعة اليهودية بالكامل. ومما يؤكد هذه المسألة نصا مسيحيا يقول ان يوسف الرامي الذي كان صديقا لكل من الحاكم الروماني بيلاطس، والمسيح في الوقت ذاته، طلب من بيلاطس قبل صلب المسيح جسده من اجل الدفن، لمعرفته انهم مقبلون على صلبه، فبعث بيلاطس الى هيرودوس وسأله من جسد المسيح، فأجابه الاخير: "حتى وان لم يطلبه أي واحد، علينا ان نقوم بدفنه، بما ان السبت قد اقترب حلوله، لأنه ما زال مكتوبا بالشريعة: ينبغي عدم غياب الشمس على واحد جرى اعدامه". انظر: انجيل شمعون الصفا(بطرس)،2: 3-5.

[1]) ان ابليس في الفكر اليهودي هو الذي قاد البشر الى الموت: "خلق الله الانسان لحياة ابدية، وصنعه على صورته الخالدة، ولكن بسبب حسد ابليس دخل الموت الى العالم، فلا يذوقه الا الذين ينتمون اليه". الحكمة،2: 23-24.

[2]) رومة،7: 5.

بولس الذي يجيب بالنفي عن تساؤله هو الذي يدور في اذهاننا حول ان كانت الشريعة تمثل الخطيئة، يجعل منها المنفذ الذي عبرت منه تلك الخطيئة، والقوة التي تجعل من الخطيئة امرا ممكنا، لذا نجده وهو يخاطب الموت كقوة فعالة ومؤكدة في الوجود بشكل يذكرنا بالأساطير الكنعانية يقول: "اين نصرك يا موت؟ واين يا موت شوكتك؟ وشوكة الموت هي الخطيئة، وقوة الخطيئة هي الشريعة"[1]، وبذلك جعل الموت والخطيئة والشريعة مرتبطات بشكل واضح.
ولكن كيف يستطيع بولس ان يوفق بين الصورتين: الشريعة ليست شريرة الا انها مصدر وقوة الشر؟.

ان بولس لم يقل مباشرة ان الشريعة هي الشر، ولكنه قال ان الشريعة هي التي اثارت الشر والخطيئة: "فلولا قولها(أي الشريعة) لي: لا تشته، لما عرفت الشهوة، ولكن الخطيئة وجدت في هذه الوصية فرصة لتثير فيّ كل شهوة، لأن الخطيئة بلا شريعة ميتة. كنت احيا من قبل بلا شريعة، فلما جاءت الوصية، عاشت الخطيئة ومت انا". وهكذا جعل بولس من الشريعة المنفذ أو الحجة التي اصبحت الخطيئة المخادعة والشريرة عن طريقها امر ممكنا : "فإذا بالوصية التي هي للحياة، قادتني انا الى الموت، لأن الخطيئة اتخذت من الوصية سبيلا، فخدعتني بها وقتلتني"[2]؛ ومن هنا نخلص مع بولس ان الشريعة بحد ذاتها مقدسة وصالحة، والوصية: مقدسة، وعادلة، وصالحة[3]؛ ولكنها رغم انها صالحة الا انها ليست مخصصة للأبرار بل للأشرار: "نعرف ان الشريعة ما هي للأبرار، بل للعصاة والمتمردين، للفجار والخاطئين، للمدنسين والمستبيحين،

---

1) كورنثوس الاولى،15: 55-56.

2) رومة،7: 7-11.

3) رومة،7: 12؛ تيموثاوس الاولى،1: 8.

لقاتلي ابائهم وامهاتهم، لسفاكي الدماء، للزناة والمبتلين بالشذوذ الجنسي، لتجار الرقيق والكذابين الذين يحلفون باطلا، ولكل من يخالف التعليم الصحيح"[1]؛ فالشريعة ترتبط بالأشرار وليس بالأبرار، رغم انها صالحة!!!!: "فهل صار الصالح سببا لموتي؟"، هذا هو تساؤل بولس الحاسم، الذي يجب عليه بالنفي: "كلا بل هي الخطيئة تذرعت بالصالح فعملت لموتي حتى تظهر انها خطيئة...". ان الخطيئة التي استغلت الشريعة اوصلت الانسان الى صراع بينه وبينه ذاته، فرغم ان الشريعة روحية لكن الانسان اصبح: "عبدا للخطيئة"، يعيش متاهة واقعية: "لا أفهم ما أعمل، لأن ما اريده لا أعمله، وما أكرهه اعمله. وحين أعمل ما لا اريده، أوافق الشريعة على انها حق، فلا أكون أنا الذي يعمل ما لا يريده، بل الخطيئة التي تسكن فيّ، لأني اعلم ان الصلاح لا يسكن في، أي في جسدي". ان الانسان الذي وجد نفسه عبدا للخطيئة قد اصبح تحت رحمة قوتان متعارضتان، متضادتان، الشريعة والخطيئة، مما جعله يشعر بالتناقض والتضاد في اعماقه بين الخير والشر: "فإرادة الخير هي بإمكاني، اما عمل الخير فلا، فالخير الذي اريده لا أعمله، والشر الذي لا أريده اعمله"، وبالتالي فإن الخطيئة هي المنتصرة داخل الانسان، فـ بولس الذي ينقل الثنوية الزرادشتية من حالتها الكونية الى مسألة فردية داخل الانسان يحسم الامر، ويؤكد ان وجود الخطيئة وقدرتها على التحكم بالإنسان خلقت شريعة ثانية هي شريعة الخطيئة المناقضة لشريعة الله مما يجعل الانسان في متاهة لا حدود لها: "انا في اعماق كياني ابتهج بشريعة الله، ولكني اشعر بشريعة ثانية في اعضائي تقاوم الشريعة التي يقرها عقلي وتجعلني اسيرا لشريعة الخطيئة التي هي في

---

[1]) تيموثاوس الاولى،1: 9-10.

اعضائي"[1]، وهكذا كان الانسان يخضع لشريعة الله عن طريق العقل، ويخضع لشريعة الخطيئة عن طريق الجسد.

ما هو الحل بالنسبة لـ بولس للتخلص من الخطيئة والشريعة الروحية الصالحة والعادلة ولكنها المسببة للشر في الوقت ذاته؟!!. ان الاجابة عن ذلك الان لن تكون صعبة، فـ بولس عندما جعل من الشريعة المنفذ الذي عبرت منه الخطيئة جعل منها مرض لا يمكن له ان يقدم العلاج، لذا لابد من اللجوء الى علاج بديل لحالة البشرية المريضة والمنهكة من اثر الخطيئة، لذا يحسم بولس امره عندما يؤكد عدم جدوى الشريعة: "فلو أعطى الله شريعة قادرة ان تُحيي، لكان التبرير حقا يتم بالشريعة[2].ان تصورات بولس حول الشريعة تدفع أي شخص ان يتساءل محقا: اذا كانت الشريعة المنفذ للخطيئة، والقوة التي اصبحت من خلالها الخطيئة امرا ممكنا، واذا كانت الشريعة غير قادرة عن انقاذ الانسان، فما هو الجدوى منها؟. حسب بولس لم تكن الشريعة سوى حارسا للبشرية الى ان يجيء المسيح لينقذها من الخطيئة: "فقبل ان يجيء الايمان، كنا محبوسين بحراسة الشريعة الى ان ينكشف الايمان المنتظر. فالشريعة كانت مؤدبا لنا الى ان يجيء المسيح حتى نتبرر بالإيمان، فلما جاء الايمان تحررنا من حراسة المؤدب"[3].

إن الإنسان الذي فشل في الحصول على الخلاص من خلال الشريعة التي هي سببا للمرض، كان عليه ان يتجه الى شيء اخر يحقق خلاصه كما يقول احد الكتبة المسيحيين: "ان شريعة موسى ما حققت الكمال في شيء،

---

[1]) رومة،7: 13-23.

[2]) غلاطية،3: 21.

[3]) غلاطية،3: 23-24.

فحل محلها رجاء افضل منها نتقرب به الى الله"[1]؛ وكان الخلاص أو الشفاء بالنسبة للمسيحي هو بالمسيح: "هو الذي بجراحه شفيتم"[2]. فالمسيح ليس فادي فقط بل طبيب، فالقديس توما يصف المسيح قائلا: "طبيب الانفس التي اقعدها المرض"[3]؛ ويجب على أي انسان ان يؤمن به كـ: "طبيب كل شيء مرئي وغير مرئي، و....مخلص الانفس الذي يحتاج مساعدته....وهو طبيب مخلوقاته"[4]؛ وهو الطبيب الذي يداوي من دون مال، طبيباً في ارض المرض للأجساد والنفوس[5].ويقول القديس اغناطيوس: "ليس لنا سوى طبيب واحد جسدي وروحي"[6]. وان هذا الخلاص والشفاء لن يتم الا بالإيمان: "وصيته(أي الله) هي أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح"[7]. وعن طريق الايمان بالمسيح ينال المؤمنين الوعد: " لكن الكتاب حبس كل شيء تحت سلطان الخطيئة، حتى ينال المؤمنون الوعد لإيمانهم بـ يسوع المسيح"[8]؛ فالإيمان وحده هو الذي يحقق الخلاص: "ان الله لا يبرر الانسان لأنه يعمل بأحكام الشريعة، بل لأنه يؤمن بيسوع المسيح. لذلك آمنا بالمسيح يسوع ليبررنا الايمان بالمسيح، لا العمل

---

[1]) تيموثاوس الاولى،1: 14.

[2]) بطرس الاولى،2: 24.

[3]) اعمال القديس توما: 10.

[4]) اعمال القديس توما: 143.

[5]) اعمال القديس توما: 156.

[6]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص26. ارتبط لقب الطبيب ايضا بالقديسين. انظر على سبيل المثال وصف ميغدونيا زوجة خاريسيوس للقديس توما بالطبيب في: اعمال القديس توما: 95.

[7]) يوحنا الاولى،3: 23.

[8]) غلاطية،3: 22.

بأحكام الشريعة، فالإنسان لا يتبرر لعمله بأحكام الشريعة"[1]، ومن هنا يمكن ان نفهم جيدا تلك الثقة التي يكتب بها القديس يوحنا عندما قال للمسيحيين ان الله غفر خطاياهم بفضل اسم المسيح[2]؛ وبالنسبة لـ بولس هذا ما قام به، أي حقق الخلاص لنفسه عن طريق الايمان وليس بالشريعة: "فلا اتبرر بالشريعة، بل بالإيمان بالمسيح، وهو التبرير الذي يمنحه الله على اساس الايمان"[3].ومن اجل ان ينجح بولس في التخلص نهائيا من الشريعة اليهودية اقام موازنة بينها وبين الايمان لا تختلف عن تلك التي اقامها بين ادم والمسيح تستند على نصوص العهد القديم ذاتها لكي يبرهن فعليا على فشل الشريعة في انقاذ الانسان ونجاح الايمان. فبالنسبة له ان الله برر ابراهيم لأنه مؤمن وليس لكونه يتّبع الشريعة: "آمن ابراهيم الله فبرره الله لأيمانه"[4]. وإن اهل الايمان هم ابناء ابراهيم الحقيقيون بصرف النظر عن انتمائهم أي ليس شرطا ان يكونوا يهودا اذ : "رأى الكتاب بسابق علمه ان الله سيبرر غير اليهود بالإيمان، فبشر ابراهيم قائلا له: فيك يبارك الله جميع الامم"[5]، لذلك فالمؤمنون مباركون في حين اتباع الشريعة ملعونون: "فأهل الايمان مباركون مع إبراهيم المؤمن. اما الذين يتكلون على العمل بأحكام الشريعة فهم ملعونون جميعا، فالكتاب

---

[1]) غلاطية،2: 16.

[2]) يوحنا الاولى،2: 12.

[3]) فيلبي،3: 9.

[4]) استند بولس في قوله هذا على ما ورد في: تكوين،15: 6.

[5]) استند بولس في قوله هذا على ما ورد العهد القديم: "ويتبارك بك جميع عشائر الارض". انظر: تكوين،12: 3؛ كما استند الى نص العهد القديم القائل: "وإبراهيم سيكون أمة كبيرة قوية ويتبارك به جميع امم الارض". انظر: تكوين،18: 18.

يقول: "ملعون من لا يثابر على العمل بكل ما جاء في كتاب الشريعة"[1]. وهكذا اقام بولس جدارا عازلا بين الايمان والشريعة وفصل الاخيرة نهائيا عن الديانة المسيحية، فلا يمكن لأي احد ان يتبرر بالشريعة في وقت يمكن للإيمان ان يحقق ذلك: "البار في الايمان يحيا"[2]؛ اما الشريعة فلا تقوم على الايمان كما يقول بولس. ومن اجل ان يتم التخلص من الشريعة نهائيا جعل بولس المسيح يلعب دور المنقذ منها عندما تمكن بموته ان يحرر البشرية من تلك الشريعة: "والمسيح حررنا من لعنة الشريعة...."[3].

لكن ما هو هذا الايمان الكفيل بخلاص الانسان من براثين الشريعة؟. انه الايمان بقدرة التضحية التي قدمها يسوع من اجل خلاص البشرية، فمثلما كانت التضحية التي نفذها الله عندما قدم ابنه كبشا للفداء من اجل انقاذ البشرية من الخطيئة، فإن العلاج ذاته سيستخدم للتخلص من المصدر الذي عن طريقه اصبحت الخطيئة امراً ممكنا، أي التضحية بيسوع المسيح: "أرسل الله ابنه مولودا لامرأة، وعاش في حكم الشريعة، ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة، حتى نصير نحن ابناء الله"[4]؛ ان هذا الفداء وتلك التضحية التي قدمها يسوع كانت كفيلة بأن تقضي على الشريعة نهائيا: "المسيح....الغى بجسده شريعة موسى بأحكامها ووصاياها..."[5]. واذا كان بولس قد جعل من الفداء

---

[1]) استند بولس في قوله على نص ورد في العهد القديم يذكر: "ملعون من لا يتبع كلمات هذه الشريعة ويعمل بها". انظر: تثنية،27: 26.

[2]) استند بولس في قوله هذا على ما ورد في حبقوق: "اما البار فبإيمانه يحيا". انظر: 2: 4.

[3]) غلاطية،3: 6-13.

[4]) العبرانيين،7: 19.

[5]) افسس،2: 15.

الوسيلة التي اصبحت من خلالها الشريعة ملغاة، فإن اوغسطين جعل من الفداء الوسيلة الوحيدة لتحقيق الناموس(الشريعة)، فالقديس اوغسطين وبحكم تجربته الشخصية كان يعرف الناموس، ولكنه لم يستطع اطاعته والاهتداء به الا بالنعمة، ولولا الفداء لما كان هناك مساعدة الهية فوق طبيعية بواسطتها يصبح تحقيق الناموس ممكنا على الطبيعة البشرية[1].

ان هذا التطور في مفهوم التضحية التي نفذها المسيح تقودنا الى سؤال حاسم وهو وهو: كيف سيتمكن المسيح عن طريق التضحية بنفسه من انقاذ البشرية من الشريعة؟.

ان الانسان وفق تفكير بولس مرتبط بالشريعة اثناء حياته فإذا مات انفصل عنها: "لا سلطة للشريعة على الانسان الا وهو حي"، ولكي يوضح فكرته بشكل واقعي اعطى بولس لأنصاره مثالا جيدا وواضحا(المرأة): "فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل ما دام حيا، فإذا مات تحررت من رباط الشريعة هذا. وان صارت الى رجل اخر وزوجها حي، فهي زانية، ولكن ان مات زوجها تحررت من الشريعة، فلا تكون زانية ان صارت الى رجل اخر". ان هذا الشرح الذي يقدم بولس مهم بشكل يدعو الى مزيد من الايضاح، فالعلاقة الان بين الانسان والشريعة مرتبطة بالحياة فقط وبعد الموت يتم الانفصال النهائي بينهما، ولكن المسيحي وفق بولس ليس عليه ان ينتظر الموت الفعلي لكي يتحرر من الشريعة، بل عليه ان يحقق الموت بذاته وهو حي، بمعنى أدق ان المسيحي عن طريق المعمودية سيتماثل مع المسيحي كما قرأنا اعلاه، وبالتالي فهو مات مع المسيح وقام معه، فهو بذلك مات عن الشريعة ايضا وليس عن الخطيئة فقط، وفق

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص204-205.

القاعدة التي وضعها بولس بأن الانسان ينفصل عن الشريعة بالموت: "هكذا انتم ايها الاخوة متم عن الشريعة بجسد المسيح لتصيروا الى اخر، الى الذي قام من بين الاموات، فتثمروا لله". فالمسيحي المتحد مع المسيح عن طريق المعمودية ومات معه اصبح بعد قيامته مع المسيح متحررا من تلك الشريعة التي سببت الشر: "الان تحررنا من الشريعة لأننا متنا عما كان يقيدنا، حتى نعبد الله في نظام الروح الجديد". ان الموت الذي حرر الانسان من الشريعة انهى تماما سلطة هذه الشريعة على ذلك الانسان: "فلا حكم بعد الان على الذين هم في المسيح يسوع"، أي المتحدين معه عن طريق المعمودية. وكما رأينا اعلاه ان الانسان الخاضع لقوتين متعارضتين هما شريعة الخطيئة وشريعة الله، اصبح حرا بعد موت يسوع وقيامته بسبب شريعة الروح: "لأن شريعة الروح الذي يهبنا الحياة في المسيح يسوع حررتك من شريعة الخطيئة والموت". فالشريعة اليهودية عاجزة تماما عن مساعدة الانسان في التخلص من الخطيئة لأنها هي المسبب لها، ولم يكن امام الله من سبيل الا ان يقدم تضحية مناسبة وهي ابنه لكي يرفع عن كاهل البشرية عبء الخطيئة ويحررها: "ما عجزت عنه هذه الشريعة، لأن الجسد اضعفها حققه الله حين ارسل ابنه في جسد يشبه جسدنا الخاطئ، كفارة للخطيئة، فحكم على الخطيئة في الجسد ليتم ما تتطلبه منا احكام الشريعة"[1].وبذلك كان بولس قد طور مفهوم التضحية التي قدمها المسيح الى مفهوم جديد تماما يمّكن المسيحي من نبذ الشريعة اليهودية من غير ان يهاجمها تماما. فالمسيحي المؤمن عليه ان يموت عن الشريعة عن طريق صلبه مع المسيح رمزيا لأنه متحد به عن طريق المعمودية لكي يحيا لله:

---

[1]) رومة،8: 1-4.

"لأني بالشريعة مت عن الشريعة لأحيا لله، (فـ)مع المسيح صُلبت فما انا احيا بعد، بل المسيح يحيى فيّ، واذا كانت احيا الان في الجسد، فحياتي هي في الايمان بأبن الله...". هذه الخلاصة التي بحد ذاتها نعمة من الله، أي عندما اصبح المسيح يحيى في الانسان، هي الكفيلة بتحقيق الخلاص للإنسان، لذلك يتساءل بولس سؤالين مهمين يوضحان فكرته بشكل جلي: "كيف أكفر بنعمة الله؟ ولو كان الانسان يتبرر بالشريعة، لكان موت المسيح عبثا؟". بمعنى اخر: ان موت المسيح لا فائدة منه ابدا طالما ان أي شخص يستطيع الحصول على الخلاص عن طريق الشريعة[1]. وكما قرأنا سابقا ان المسيح جاء ليحرر البشرية من العبودية التي توازي الخطيئة، فإنه وفق تحليل بولس النهائي جاء ليحرر البشرية من العبودية التي توازي الشريعة فيقول للغلاطيين: "المسيح حررنا لنكون احرارا فأثبتوا اذاً، ولا تعودا الى نير العبودية"[2].

- **انقاذ البشرية من الشر:**

في المسيحية كان كل العالم الدنيوي تحت سلطة الشرير[3]؛ لأن ذلك الامير الشرير رغب ان يكون رباً[4]؛ وان الخطايا الكثيرة التي يرتكبها البشر جعلتهم خاضعين لسلطته: "خاضعين لرئيس القوات الشريرة في الفضاء، أي الروح الذي يتحكم الان بالمتمردين على الله. وكنا نحن كلنا من هؤلاء نعيش في شهوات جسدنا تابعين لرغباته واهواءه، لذلك كنا بطبيعتنا ابناء الغضب

---

[1]) غلاطية،2: 19-21.

[2]) غلاطية،5: 1.

[3]) يوحنا الاولى،5: 19.

[4]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 11.

كسائر البشر"[1]؛ فالذين تبعوا الشيطان ليسوا ابناء الاستقامة بل ابناء الغضب[2]؛ فالبشر قبل المسيح كانوا اشرار رغم ذلك صُلب المسيح من اجلهم: "مات(المسيح) وهو البار من اجل الاشرار ليقربكم الى الله"[3]. ولأن الله احب في ذاته ان ينقذ العالم لذا هيأ لهم الخلاص، ويؤكد القديس اغناطيوس هذه المسألة، فالله أحب ان يخلص العالم من ربقة الاستعباد لأمير هذا العالم(ابليس)، فأعد البشرية للخلاص عند اليهود بواسطة الانبياء، وأتم النبوءات بالمسيح"[4]. فالأنبياء هم الخطوة الاولى التي تمكن البشر من التحرر من سلطة الشرير، لكن تلك الخطوة لم تنجح لأن الشيطان نجح في قتل انبياء الله: "وضع يديهم عليهم وقتلهم، وربط جسد الانسان لمتعته"[5]. ولكون الله عادلا لذا لم يشأ ان يترك البشر تائهين بسبب الشيطان: "لكن لكون الرب القدير عادلا، ولم يرغب ان يتبرأ من مخلوقاته"[6]، لذا توجب ان ينفذ الله تضحيته النهائية، فكانت المهمة الرئيسة للمسيح في العالم، وهو أمير عدم الفساد كما يصفه اقليمس[7]، القضاء على مصدر الشر: "ظهر أبن الله ليهدم أعمال ابليس"[8]، عن طريق جسده: "حتى يمكن للشرير ان يُقهر بالجسد نفسه الذي سيطر عليه، وان يقتنع بأنه ليس ربا، لأن يسوع المسيح انقذ بجسده

---

1) افسس،2: 2-3.

2) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 19.

3) بطرس الاولى،3: 18.

4) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص26.

5) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 11.

6) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 12.

7) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص18.

8) يوحنا الاولى،3: 8.

جميع الاجساد، مقدما بجسده هيكلا للاستقامة، ومن خلاله أُنقذوا"[1]. بذلك يكمل بولس سلسلة الخلاص التي قدمها المسيح بموته سواء الخلاص من الخطايا ومصدرها الشريعة؛ أو الخلاص من الشر ومصدرها ابليس، والقديس بولس يؤكد ان موت المسيح كان يهدف الى التخلص من الشر نهائيا: "لأجلنا حتى يفتدينا من كل شر، ويطهرنا ويجعلنا شعبه الخاص الغيور على العمل الصالح"[2]؛ والتخلص من عالم ملئ بالشر: "ضحى بنفسه من أجل خطايانا لينقذنا من هذا العالم الشرير"[3]؛ وكما هو الحال مع الخطيئة والشريعة كان المسيحي المتماثل مع المسيح عن طريق المعمودية يستطع التخلص من قوى الشر عن طريق موته وقيامته رمزيا مع المسيح: "إن كنتم متم مع المسيح وتخلصتم من قوى الكون الاولية..."[4].

- **صلب المسيح خلق وحدة عالمية:**

اذا كان اليهودي وغير اليهودي يؤمنان سوية ان المسيح مات من اجلهما، وان موته كفيل بتحقيق الخلاص لهما، فما الذي يفصل بينهما؟. هذا ما كان يدور في ذهن بولس عندما جعل من صلب المسيح أي التضحية التي قدمها يسوع سببا منطقيا لخلق وحدة عالمية بشرية التي هي نتاج حتمي لواقع الامبراطورية الرومانية، فقدرة بولس من الاستفادة من وحدة الامبراطورية من اجل خلق وحدة روحية، كان واضح المعالم بشكل باهر، فالمسيحي عن طريق المعمودية سيتحد بالمسيح ويخلق معه وحدة عالمية تتجاوز الحدود الجغرافية: "فنحن

---

[1]) رسالة بولس الثالثة الى كنيسة كورنثوس،3: 15-18.

[2]) تيطس،2: 14.

[3]) غلاطية،1: 4.

[4]) كولوسي،2: 20.

كلنا يهود كنا ام غير يهود، عبيد ام احرار، تعمدنا بروح واحد لنكون جسدا واحدا، وارتوينا من روح واحد"[1]؛ وان دم المسيح خلق تقاربا بشريا عالميا كما يعتقد بولس: "اما الان ففي المسيح يسوع صرتم قريبين بدم المسيح بعدما كنتم بعيديين"[2]. وبجسده هدم الحاجز الذي يفصل بين الشعوب وجعل كل البشرية مسيحيين بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والقومية والاجتماعية: "فالمسيح سلامنا جعل اليهود وغير اليهود شعبا واحدا، وهدم الحاجز الذي يفصل بينهما، أي العداوة...ليخلق في شخصه من هاتين الجماعتين، بعدما احل السلام بينهما، إنسانا واحدا جديدا، ويصلح بينهما، وبين الله بصليبه، فقضى على العداوة وجعلهما جسدا واحدا"[3]. وبذلك أصبحت البشرية كلها ابناء الله وليس اليهود فقط: "انتم كلكم ابناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم تعمدتم جميعا في المسيح فلبستم المسيح، ولا فرق الان بين يهودي وغير يهودي، بين عبد وحر، بين رجل وامرأة، فأنتم كلكم واحد في المسيح يسوع، فإذا كنتم للمسيح فأنتم اذا نسل ابراهيم ولكم الميراث حسب الوعد"[4]. واصبح اليهودي وغير اليهودي شركاء في يسوع المسيح ولهم نصيب الوعد: "ان غير اليهود هم في المسيح

---

[1]) كورنثوس الاولى،12: 12-13.

[2]) افسس،2: 13.

[3]) افسس،2: 14-16.

[4]) غلاطية،3: 26-28؛ انظر نصا مشابها في: كولوسي،3: 11. اما الوعد الذي يتحدث عنه بولس فيقصد به الوعد الذي منحه يهوه لـ ابرام: "تراءى الرب لـ ابرام وقال: "لنسلك أهب هذه الارض". انظر: تكوين،12: 7. ويخلص بولس الى نتيجة ان ما يقصده الله في عبارة نسله هو المسيح. انظر: غلاطية،3: 16.

يسوع شركاء اليهود في ميراث الله واعضاء في جسد واحد ولهم نصيب في الوعد الذي وعده الله بفضل البشارة"[1].

رأينا اعلاه كيف ان المسيح صُلب وتألم ومات من اجل انقاذ البشرية، ولكن لم يتفق كل المسيحيين حول الشيء الذي كان على المسيح أن ينقذهم منه، ففي الوقت الذي أكدت النصوص الرسمية على ان المسيح صُلب وتألم من اجل انقاذ البشرية من الخطيئة، والشريعة، والشر، نجد الغنوصيين قد خالفوا النصوص الرسمية حول مسألة صلب والآم المسيح، فقال بعضهم ان المسيح لم يتألم، ولم يمت ولكن الشيطان تألم ومات مكانه؛ في حين قال البعض الاخر لا بل مات من أجل البشر ليحررهم من سلطان إله اليهود[2]. وإن احد الغنوصيين وهو ماركيون(Marcion)، كان يعارض الشريعة والعدالة المقامتين من قبل الاله الخالق في العهد القديم، وبالحب والانجيل المكشوفين من قبل الاله الخيّر، ارسل هذا ابنه يسوع المسيح لكي ينقذ البشر من عبودية الشريعة، فقيام المسيح بتضحيته حسب ماركيون يكون قد افتدى البشرية من الاله الخالق[3].

المسيح القربان.

ان المسيح الذي شاهدناه اعلاه يتحول الى كبش فداء من اجل البشرية، نجده ايضا وهو يتحول الى طعام وشراب من قبل اتباعه، وهو ما يعرف بسر القربان(الافخارستيا)، وسر القربان اسمه المسيح ذاته-كما سنرى ادناه- ومن واجبات كل مسيحي ان يتناول القربان المقدس على الاقل مرة في

[1]) افسس،3: 6.

[2]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص93.

[3]) الياده، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية،ج2،ص410.

السـنة في عيـد الفصـح، أو اذا كـان في خطـر المـوت. ومـن شـروطه ان يكـون الانسان تائبا عن خطاياه، صائما عن الطعام والخمر قبل ثلاث ساعات، الا اذا كـان مريضـا فـلا تلزمـه هـذه الفريضـة بالصـوم[1]. ومـن المفترض ان القربـان المقدس بعد تناول الانسان له لا يفنى في داخله: "قداس العشاء الرباني الذي لا يفنى"[2].

حسب التقاليد المسيحية بينما كان يسوع يتناول الطعام مع تلاميذه: اخذ خبزاً وبارك وكسره، وناول تلاميذه وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، وهذا الجسد سيقدم اضحية للبشر: "جسدي الذي يبذل من اجلكم اعملوا هذا لذكري". ثم اخذ كأساً وشكر وناولهم وقال لهم: "اشربوا منها كلكم، هذا هو دمي، دم العهد الذي يسفك من اجل أناس كثيرين لغفران الخطايا"[3]؛ لذا على المسيحيين تناول جسد المسيح الذي هو الخبز رمزيا: "لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد"[4]؛ وهذا يجعلنا نفهم جيدا ما قاله القديس توما: "تناولنا جسده الدنيوي بأيدينا"[5]، بشكل جيد. وهكذا يتحول المسيح الى ذبيحة، والقداس هو الذبيحة الالهية أي الله يموت كل يوم وليس موته فعليا بل رمزيا[6].

يلاحظ من خلال الادبيات المسيحية ان طقس الافخارستيا طرأ عليه تطورات عدة عبر العصور، ويمكن ان نلاحظ ذلك جيدا في استعراضنا

---

[1] زيعور، اوغسطينوس، ص29.

[2] اعمال القديس توما: 135.

[3] متى،26: 26-28؛ مرقس،14: 22-24؛ لوقا،22: 19-20؛ كورنثوس الاولى،11: 23-25.

[4] كورنثوس الاولى،10: 17.

[5] اعمال القديس توما: 143.

[6] زيعور، اوغسطينوس، ص31.

للأدبيات المسيحية، فحسب القديس اغناطيوس كانت الكنيسة هي المكان الوحيد الذي يصبح خلاله طقس الافخارستيا طقسا شرعيا، ويذكر ان الكنيسة هي المكان الذي تقام فيه الذبيحة، ولعل السبب في ذلك انه عد الافخارستيا ذبيحة الكنيسة؛ ولا يعد طقس الافخارستيا طقسا شرعيا الا بحضور الاسقف فهو الكاهن الاعظم، وخادم الطقوس، وموزع الاسرار الالهية، وبدونه لا يمكن اجراء المعمودية، أو عشاء المحبة، أو تقديم الذبيحة: "لكن بموافقته تصبح هذه الامور مقبولة عند الله ايضا، ويصبح كل ما يتم منها ثابتا ومشروعا، فلا يجوز لأي شخص ان يفعل شيئا يتعلق بالكنيسة بدون الاسقف، وممارسة الافخارستيا التي تتم برئاسة الاسقف أو بمن يوكلها إليه هي وحدها قانونية"[1]. اما ديونيسيوس المنحول العائد للقرن السادس الميلادي فيرى ان من واجب الاسقف هو الاحتفال بالسر الافخارستي[2]. وكان تناول عشاء الرب(القربان) أي(جسده ودمه) يتم بشكل جماعي، لذا عندما خالفت كنيسة كورنثوس هذه العادة واجهت انتقادات لاذعة من قبل بولس: "انتم لا تأكلون عشاء الرب حين تجتمعون، بل يأكل كل واحد منكم عشاءه الخاص، فيجوع بعضكم ويسكر اخرون. اما لكم بيوت تأكلون فيها وتشربون؟ ام انكم تستخفون بكنيسة الله وتهينون الفقراء؟"[3]. ومن اجل ذلك يقدم بولس شروطا بسيطة يتم من خلالها تناول القربان: "فمتى اجتمعتم يا اخوتي لتناول العشاء، فلينتظر بعضكم بعضا، واذا كان احدكم جائعا فليأكل في بيته، لئلا يكون

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص27-28.

[2]) زيعور،اوغسطينوس،ص312.

[3]) كورنثوس الاولى،11: 20-22.

اجتماعكم سببا للحكم عليكم"[1]. ويظهر من خلال المادة النصية المتوفرة ان الافخارستيا يقدم في عدة مناسبات:

1. **بعد التعميد:**

يشرح القديس يوستينوس ذلك بشكل مفصل، فقد جاء في الفصل الخامس والستين من دفاعه الاول انه بعد غسل الخطايا بالمعمودية: "يقاد المتعمد الى الاخوة المجتمعين معا لكي نصلي مشتركين من كل قلوبنا لأجل انفسنا؛ ولأجل من نال الانارة(أي المعمودية)؛ وجميع الاخرين في كل مكان؛ ولكي نُعد بعد ان علمنا الحقيقة، وبعد حفظ الوصية، مواطنين لائقين فننال الخلاص. وبعد الانتهاء من الصلوات نحيي بعضنا بعضا بالقبلة، ثم يقدم خبز وكأس خمر وماء الى رئيس الاخوة فيقبلها، ويأخذها، فيشكر ويمجد أب كل شيء باسم ابنه والروح القدس. ثم يشكر بإسهاب لأننا اعتبرنا لائقين لتناول هذه الاشياء على يده. وعند انتهاء الصلوات والشكر يوافق جميع الحاضرين بالقول آمين، وهذه الكلمة تعني باللغة الآرامية فليكن كذلك. وبعد انتهاء الرئيس من الاحتفال بالافخارستيا، وبعد ان يوافق الشعب، يقدم اولئك الذين ندعوهم شمامسة بعض خبز الافخارستيا والخمر والماء لمن يكون حاضرا، ويحملون بعضه للغائبين. وهذا الغذاء ندعوه الافخارستيا. ولا يتناولونه الا الذين يؤمنون بصحة ما نعلم، الذين يكونون قد اغتسلوا لمغفرة خطاياهم، وتجددوا وسلكوا بموجب وصايا المسيح، فإننا لا نتناول هذا الغذاء كخبز عادي وشراب عادي بل كجسد ودم يسوع الذي صار جسدا لأجل خلاصنا، فإن الرسل اعلنوا ذكرياتهم

[1]) كورنثوس الاولى،11: 33-34.

التي تدعى اناجيل انهم أُمروا ان يفعلوا ذلك"[1]. وتتحدث الادبيات المسيحية غير القانونية الى تقديم القربان بعد التعميد، اذ نعرف انه بعد تعميد كل من الملك غوندافوروس واخيه جاد من قبل القديس توما، وعند حلول الفجر، عندما صار هناك ضوء، كسر توما الخبز، وجعلهما شريكين في قربان المسيح[2]؛ وامرأة جاءت الى القديس توما لتعميدها فوضع يديه عليها، وختمها باسم الاب، والابن والروح القدس، وكثيرون اخرون ايضا ختموا معها، ثم امر توما شماسه بنصب مائدة، وجلسوا على مقاعد وجدوها هناك، ثم نشروا قطعة قماش من الكتان عليها، ووضع عليها توما خبز المباركة، ثم وقف الى جانب المائدة وقال: "يسوع الذي قدرت بأننا جديرون بالمشاركة في قربان جسدك المبارك ودمك، انظر لقد تشجعنا على القدوم الى قربانك، وعلى الدعاء الى اسمك..."[3]. وبعدما قام توما بتعميد مغدونيا كسر الخبز، واخذ كأسا من الماء، وجعلها تشارك في جسد المسيح[4]. وبعد تعميد القديس توما كل من القائد سيفور وعائلته وضع خبزا على المنضدة، وباركه قائلا: "يا خبز الحياة، ان الذين سيأكلون منك سوف لن يهلكوا، ايها الخبز الذي تُشبع النفوس الجائعة بمباركته، انت عُددت جديرا بتسليم اعطية، حتى تغدو بالنسبة لنا غفرانا للذنوب، والذين يأكلونك هم خالدون، ونحن نذكر فوقك اسم الام، والسر الخفي، والملكوتات الخفية، والقوى، ونذكر فوقك اسم يسوع"، ثم قال: "لتستقر قوة المباركة فوق الخبز، حتى تتحرر جميع النفوس التي تشارك فيه من الذنوب"، ثم كسر الخبز،

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة، ج1، ص72-73.

[2]) اعمال القديس توما: 27.

[3]) اعمال القديس توما: 50.

[4]) اعمال القديس توما: 121.

واعطاه الى سيفور والى زوجته وابنته[1]. وعندما عمد توما كل من وازان وتيرتيا ومينسارا اخذ خبزا وكأسا وقال: "نحن نأكل جسدك المقدس الذي صُلب من اجلنا، ونشرب دمك الذي سُفك من اجل الخلاص، عل جسدك يكون خلاصا لنا، ويكون دمك من اجل غفران الذنوب، وليكن بالشراب المر الذي شربته من اجلنا، ازالة لمرار الشيطان الذي من حولنا، وليكن الخل الذي شربته من اجلنا تقوية لضعفنا، وليكن البصاق الذي تلقيته من اجلنا، يجعلنا نتلقى ندى صلاحك، ولتكن القصبة التي ضربوك بها من اجلنا، تجعلنا نتلقى البيت الكامل، وانك تلقيت تاجا من شوك من اجلنا، حتى نتمكن نحن الذين نحبك، من تتويج انفسنا بتاج لا يفنى، ومن اجل قماش الكتان الذي لففت به، دعنا نرتدي قوتك التي لا تقهر، ومن اجل الضريح الجديد الذي دفنت به، دع انفسنا تتلقى تجديدا في النفس والجسد، ولأنك قمت وعدت الى الحياة، دعنا نقوم ثانية، ونعيش، ونقف امام حكمك الصحيح"، ثم كسر خبز القربان، واعطاه الى وازان، وترتيا، ومينسارا، والى زوجة سيفور وابنته، ثم قال: "عل هذا القربان يكون من اجل خلاصكم، وبهجتكم، وشفاء انفسكم"[2].

2. **بعد الصلاة والوعظ:**

يتضح ذلك من خلال طقس قداس الاحد، كما وصفه يوستينوس في الفصل السابع والستين من دفاعه وهو كما يلي: "يجتمع في اليوم الذي يدعى الاحد جميع الذين يسكنون المدن أو يعيشون في الريف في مكان واحد، فتُقرأ ذكريات الرسل وأسفار الانبياء بقدر ما يسمح الوقت بذلك، ثم يختتم القارئ

---

[1]) اعمال القديس توما: 133.

[2]) اعمال القديس توما: 158.

قراءته، ويُعلم الرئيس شفاهاً فيحضنا على تطبيق هذه الامور الممتازة، ثم نقف جميعا ونرفع صلواتنا. وعند الانتهاء منها يُقدم الخبز والخمر والماء...ويبتهل الرئيس ويقدم الشكر حسب طاقته، ويوافق الشعب بالقول آمين. ثم يجري التوزيع فيشترك كل واحد في الافخارستيا، وينقل الشمامسة بعضه الى الغائبين...ونجتمع في يوم الاحد لأنه هو اليوم الذي: غير فيه الله الظلام والمادة، وصنع العالم، ولأنه اليوم الذي قام فيه يسوع مخلصنا من الموت"[1]. وتشير النصوص غير القانونية الى تقديم الافخارستيا بعد الصلاة، فبعد ان صلى القديس توما بالحضور باكرا عند الفجر وضع يديه عليهم، وباركهم، ثم كسر خبز القربان واعطاه لهم قائلا: "ليكن هذا القربان رحمة لكم ورأفة، ولا ان يكون من اجل الحكم والعقاب"[2]. وبعد ان انهى وعظه للحاضرين، وبعدما باركهم: "اخذ الخبز وباركه، والزيت والاعشاب، والملح، واعطاه اليهم"[3]. ويقال ان يوحنا الحبيب عندما ذهب الى ضريح دروسينا صلى، وجلب رغيفا من الخبز الى القبر ليكسره، وبعد ان انهى صلاته دعا، وحمد الرب، وجعل جميع الحضور يشاركون القربان المقدس للرب[4].

3. **اثناء عيد الفصح:**

يرد في الوصية الخامسة من وصايا الكنيسة السبعة التأكيد على تناول القربان المقدس: "وقت الفصح"[5].

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص73-74.

[2]) اعمال القديس توما: 29.

[3]) اعمال القديس توما: 29.

[4]) اعمال الرسول يوحنا: 85-86.

[5]) زيغور،اوغسطينوس،ص38.

4. بعد تنصيب رجال الدين:

يشير هيبوليتوس الروماني الذي توفي عام 235م الى سر الافخارستيا، في معرض حديثه عن كيفية سيامة الاسقف، والصلاة لأجله، وممارسة سر الافخارستيا لهذه المناسبة، والصلاة على الزيت والجبن والزيتون. ثم دون القوانين المتبعة، والصلوات المقدمة لسيامة الكهنة والشمامسة، وما تعلق بالمعترفين، والارامل، والعذارى، والمبتدئين، ومن لهم موهبة الشفاء. والشعب بموجب هذا التقليد الرسولي، ينتخب الاسقف انتخابا بصورة علنية واضحة، وتجري سيامته الاحد الاول الذي يلي الانتخاب، ويشترك في السيامة الاساقفة المجاورون، وبحضور الكهنة والشعب، ويضع الاسقف الايدي، ويصمت الكهنة والشعب، ويصلي الجميع لحلول الروح القدس. ويلاحظ من كلام هيبوليتوس انه أوجب الصلاة لأجل حلول الروح القدس على الخبز والخمر المقدمين للذبيحة ليتحدا: "وليمتلئ المشتركون من الروح القدس فيتقووا بالإيمان والحق". ثم انتقل هيبوليتوس من الاكليروس الى الشعب فذكر كيفية قبول الوثنيين في الكنيسة، وارشادهم، ووعظهم، وتعميدهم، وتثبيتهم، ومناولتهم القربان المقدس[1].

5. قبل الموت:

يمارس سر القربان اثناء سر المسحة الاخيرة التي تُعطى للمحتضرين أو للأصحاء الذين يخشون خطر الموت، وذلك تعزية وتقوية للنفوس والاجساد، وقوامها ان يسمع الكاهن اعتراف المريض، ثم يزوده بالزاد الروحاني أي القربان

---

[1]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص164-165.

المقـدس في رحلتـه الى خـارج هـذا العـالم، ثـم يمسـح بالزيـت منـاطق حواسـه الخمس مع تلاوة ادعية خاصة، واخيرا يمنحه غفرانا بابويا كاملا[1].

يرافـق سـر الافخارسـتيا صـلوات ويتحـدث اوريجـانس عـن سـر الافخارسـتيا ويرى ان المؤمن يأكل الخبز الذي يتحـول بالصلاة الى جسـد مقـدس يقـدس من يشـترك فيـه بـإخلاص[2].ويـرد في كتـاب تعـاليم الرسـل الاثني عشـر(الديداخي) العائد الى القـرن الثـاني الميلادي في الفصـلين التاسـع والعاشـر اقـدم الصـلوات لممارسـة سـر الافخارسـتيا: "امـا بشـأن الافخارسـتيا فاشـكروا هكـذا: اولا بشـأن الكأس: نشـكرك يـا أبانا على العنـب المقدس الـذي لـداود فتـاك الـذي عرفتنـا بـه بواسـطة يسـوع فتـاك لـك المجـد الى الابـد. امـا بشـأن الخبـز المكسـور فقولـوا: نشكرك يا ابانا على الحياة والمعرفة اللتين عرفتنا بهما بـ يسـوع فتاك لك المجد الى الابد. وكما كان هـذا الخبز المكسـور متفرقـا على الجبـال ثم اتحـد في واحـد، هكـذا لتتحـد كنيسـتك مـن اطـراف الارض الى ملكوتـك لأن لـك المجـد والقـوة بـ يسـوع المسـيح الى الابـد. ولا يأكـل أحـد أو يشـرب مـن افخارسـتيا الا المتعمـدون باسـم الـرب لأن الـرب قـال ايضـا بهـذا الصـدد لا تعطـوا القـدس للكلاب[3]. وبعـد الشـبع اشـكروا هكـذا: نشـكرك ايهـا الأب القـدوس لأجـل اسـمك المقـدس، لأجـل اسمك الـذي اسكنته في قلوبنا، ولأجل المعرفـة والايمان والخلـود التي اعلنتهـا لنـا بـ يسوع المسيح فتاك لك المجد الى الابد. انت ايها السيد الضابط للكل، صنعت الكل لأجل اسـمك، وانت اعطيت المأكل والمشـرب للنـاس للتلـذذ ليشـكروك. امـا نحن فـانعم علينـا بالمأكل والمشـرب الـروحي، والحيـاة الابديـة بواسـطة فتـاك. قبـل

---

[1]) زيعور، اوغسطينوس، ص30.

[2]) رستم، آباء الكنيسة، ج2، ص133.

[3]) يستند الكاتب الى نص، متى، 7: 6.

كل شيء نشكرك لأنك قادر على كل شيء. لك المجد الى الابد. أذكر يا رب كنيستك وانقذها من كل شر، وكملها في محبتك واجمعها من الرياح الاربعة المقدسة في ملكوتك الذي أعددته لها لأن لك القوة والمجد الى الابد. لتأتِ النعمة وليعبر هذا العالم...من كان قديسا فليتقدم والا فليتب: ماراناثا (أي: تعال يا سيد)"[1]. ويتضح من هذه الترتيبات كلها انها كانت طقوسا تمارس في مساء سبت النور(اليوم السابق لأحد القيامة) لمناولة الموعوظين بعد اعتمادهم. اما ممارسة سر الافخارستيا العادية في أيام الاحاد فقد جاء الكلام عنها في الفصل الرابع عشر: "متى اجتمعتم سوية في يوم الرب[2]، أكسروا الخبز واشكروا بعد ان تعترفوا بخطاياكم لتكون ذبيحتكم[3] نقية. وكل من له خصام مع رفيقه لا يأتي معكم الى ان يتصالحا لكي لا تتدنس ذبيحتكم. في كل مكان يجب ان تقرب لي ذبيحة طاهرة لأنني أنا ملك عظيم يقول الرب واسمي عجيب عند الشعوب"[4]. ويقدم القديس توما صلاة اخرى تتلى عند تناول طقس الافخارستيا، فبعد التعميد نجده يتلو صلاة هي:

"اقبلي ايتها الرحمة التامة

اقبل ايها التابع مع الذكر

اقبل يا من تعرف اسرار الواحد المختار

اقبل يا من شاركت في جميع معارك المقاتلين النبلاء

---

[1]) الديداخي، الاصحاحين: 9-10.

[2]) رأينا سابقا ان يوم الرب يرادف يوم الدينونة ولكن هنا لا يقصد به هذا المفهوم بل يشير الى يوم الاحد.

[3]) المقصود بالذبيحة هنا الخبز وعصير العنب اللذان يرمزان للمسيح، أي المسيح هو الذبيحة.

[4]) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص51-52.

اقبل وارتح يا من يكشف الاعمال العظيمة للعظمة كلها
اقبل واكشف الاسرار
واجعل الاسرار كلها جلية
اقبلي ايتها الحمامة المقدسة
التي تحمل الجناحين التوأمين
اقبلي ايتها الام المقدسة
اقبل ايها المتجلي في اعمالك
اقبل يا معطي البهجة
والراحة الى الذين اتحدوا بك
اقبل وشارك معنا في هذا القربان
نحن الذين نحتفل باسمك
وفي الدهشة
التي فيها اتحدنا بناء على دعائك".

وبعدها رسم توما علامة الصليب على الخبز وكسره، وبدأ بتوزيعه على الحاضرين[1].

ان تناول جسد ودم المسيح يهدف الى تحقيق عدة غايات هي:

1. **استمرار المسيحية:**

يتضح ذلك جيد من قول بولس: "فأنتم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء"[2].

---

[1]) اعمال القديس توما: 50.

[2]) كورنثوس الاولى،11: 20-22.

2. **الاتحاد بين الانسان والله:**

فالمسيح يقول: "من أكل جسدي وشرب دمي، يثبت هو فيّ، وأثبت انا فيه"[(1)]؛ومن هنا يمكن ان نفهم قول المسيح الموجه لله: "انا فيهم وانت فيّ لتكون وحدتهم كاملة..."[(2)]؛ هذه الوحدة الكاملة تُظهر المسيحيون كلهم جسد واحد عن طريق تناول جسد ودم المسيح: "كأس البركة التي نباركها، أما هي مشاركة في دم المسيح؟ والخبز الذي نكسره، أما هو مشاركة في جسد المسيح؟ فنحن على كثرتنا جسد واحد لأن هناك خبزا واحدا، ونحن كلنا نشترك في هذا الخبز الواحد"[(3)]. وفي الصلاة المسيحية نقرأ قول المسيح داعيا الله: "اعطنا خبزنا اليومي"[(4)]، وهذا الخبز بالنسبة للقديس كبريانوس يمثل المسيح، فالخبز في هذه الصلاة هو جسد المسيح في الافخارستيا، وهو خبز اولئك الذين اتحدوا به: "واذا ما طلبنا ان نُعطى هذا الخبز كل يوم فإنما نريد نحن في الافخارستيا ان نتناول كل يوم جسد المسيح طعاما لخلاص النفوس. وتناوله يوميا يمنع حيلولة الخطيئة بيننا وبينه، ويضمن عدم انفصالنا عن جسد الرب..."[(5)]. وبحث القديس كبريانوس في رسالته 63 ايضا سر الافخارستيا فقال: "فإذا كان يسوع المسيح، وإلهنا هو كاهن الله الاب، وهو الذي قدم نفسه ذبيحة للآب، وفرض صنع هذا(أي تقديم الذبيحة) لذكره، فالكاهن الذي يقتدي بهذا عليه ان يقدم ذبيحة لله الأب". وإن سر الشكر في نظر كبريانوس ذبيحة الهية، والعشاء الاخير

---

[1]) يوحنا،6: 56.

[2]) يوحنا،17: 23.

[3]) كورنثوس الاولى،10: 16-17.

[4]) متى،6: 11؛ لوقا،11: 3.

[5]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص185.

وسر الافخارستيا يمثلان الفداء على الصليب. ورأى هذا القديس في ممارسة الافخارستيا الالهية فائدة لراحة النفوس وراحة الشهداء ايضا. والخبز الجوهري أو اليومي الذي يتناوله المسيحي في نظره يرمز الى اتحاد الكل في هذا العالم، والى اتحاد الكل بالمسيح الخبز السماوي، ويرى كبريانوس ان كل ذبيحة تقام خارج الكنيسة الجامعة ليست إلهية ولا فائدة منها[1].وفي نص منحول نقرأ عن الافخارستيا: "لأجل هذا فإنها تدعى بالسريانية فاريزاسا التي هي: الواحد الذي انتشر"[2]. فعن طريق اكل جسده، وشرب دمه يتم التمازج بين المسيحي والسيد المسيح اي سينتشر السيد المسيح في كافة جسد المسيحي. وان تناول دم السيد المسيح رمزيا يضمن ان يتحول المسيحي الى انسان كامل فـ: "كأس الصلاة تحتوي على عصير الكرم والماء، حيث انها معينة رمزا للدم الذي لأجله الافخارستيا معطاة. وهي مملوءة من الروح القدس، فهي تنتمي للإنسان الكامل المقدس، عندما نشرب تلك، فإننا ننال لأنفسنا الانسان الكامل"[3].

3. **يضمن للإنسان الحياة الابدية بعد الموت:**

فالمسيح هو منبع الحياة[4]، وهو الوحيد القادر على القضاء على الموت: "لما كان الابناء شركاء في اللحم والدم، شاركهم يسوع كذلك في طبيعتهم هذه ليقضي بموته على الذي بيده سلطان الموت أي ابليس، ويحرر الذين كانوا طوال حياتهم في العبودية خوفا من الموت"[5]. فدم المسيح وجسده يتماثل مع

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص189-190.

[2]) انجيل فيلبس، 40: 1.

[3]) انجيل فيلبس، 81: 1-3.

[4]) اعمال الرسل، 3: 15.

[5]) العبرانيين، 2: 14-15.

مصطلحي ماء الحياة وقوت الابدية الذي يتحدث عنهما يوحنا. فالمسيح يمنح المؤمنين ماء الحياة، وقصة المرأة السامرية تقدم تصورا واضحا حول هذا الشأن، فعندما طلب يسوع من المرأة السامرية ان تسقيه ماء، مقابل ان يمنحها ماء الحياة في الابدية كان يتحدث بلا شك عن دمه: "لو كنت تعرفين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك اعطني ماء لأشرب، لطلبت انت منه فأعطاك ماء الحياة"[1]؛ لان من يشرب من الماء العادي فإنه يصاب بالعطش على خلاف ماء الحياة: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش ثانية، اما من يشرب الماء الذي اعطيه انا، فلن يعطش ابدا. فالماء الذي اعطيه يصير فيه نبعا يفيض بالحياة الابدية"[2]. لذا نجد يقول صراحة: "ان عطش أحد فليجيء إلي ليشرب"[3].كما يمنح المسيح قوت الابدية الذي هو جسده: "لا تعملوا للقوت الفاني، بل اعملوا للقوت الباقي للحياة الابدية، هذا القوت يهبه لكم أبن الانسان"[4]. فالمسيح هو الخبز الحقيقي الذي يمنحه الله للبشر لتناوله وليس الخبز الذي منحه الله لموسى في البرية: "ما اعطاكم موسى الخبز من السماء. أبي وحده يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو الذي ينزل من السماء ويعطي الحياة للعالم"[5]. وكان يسوع وهو يتحدث عن الخبز الحقيقي النازل من السماء يشير الى نفسه لأنه هو الذي من السماء: " ما صعد احد الى

---

[1]) انظر: يوحنا،4: 10.

[2]) يوحنا،4: 13-14.

[3]) يوحنا،7: 37.

[4]) يوحنا،6: 27.

[5]) يوحنا،6: 32-33.

السماء الا أبن الانسان الذي نزل من السماء"[1]؛ وهو يقول صراحة: "أنا هو خبز الحياة، من جاء الي لا يجوع، ومن آمن بي لا يعطش ابدا"[2]؛ ثم يكرر المفهوم نفسه قائلا: "أنا هو خبز الحياة، آباؤنا أكلوا المن في البرية وماتوا، لكن من يأكل هذا الخبز النازل من السماء لا يموت. انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء"، من اكل هذا الخبز يحيا الى الابد، والخبز الذي أعطيه هو جسدي، أبذله من اجل حياة العالم"[3]؛فأي انسان لا يأكل جسد المسيح ولا يشرب دمه لن يحصل على الحياة الابدية: "إن كنتم لا تأكلون جسد أبن الانسان ولا تشربون دمه، فلن تكون فيكم الحياة، ولكن من أكل جسدي وشرب دمي، فله الحياة الابدية، وأنا اقيمه في اليوم الاخر. جسدي هو القوت الحقيقي، ودمي هو الشراب الحقيقي"[4]. ومثلما المسيح يحيى عن طريق الاب فإن المؤمنين به يحصلون على الحياة عن طريق تناول جسده: "كما أنا أحيا بالأب الحي الذي ارسلني، فكذلك يحيا بي من يأكل جسدي"[5]. ويصف القديس اغناطيوس الافخارستيا بأنها جسد يسوع المسيح ذلك الجسد الذي تألم من اجل: "خطايانا"، وقام بفضل الاب والطافه، ومن ثم فإنها: "علاج الخلود، وترياق الموت، والحياة الخالدة في يسوع المسيح"[6]. وتقدم الاناجيل غير الرسمية تصورات مشابهة لما يرد لدى الكنيسة الرسمية، فأحدها يشير الى الافخارستيا:

---

1) يوحنا،3: 13.

2) يوحنا،6: 35.

3) يوحنا،6: 48-51، 58.

4) يوحنا،6: 53-55.

5) يوحنا،6: 57.

6) رستم، آباء الكنيسة،ج1،ص27.

"هو الذي لا يأكل جسدي، ويشرب دمي، ليس له حياة فيه. ما هو هذا؟ ان جسده هو الكلمة ودمه هو الروح القدس"[1] . وقبل الانتهاء من مسألة قوت الابدية وماء الحياة لابد من التأكيد انه في العالم الشرقي القديم الذي انبثقت منه المسيحية كان طعام الحياة وماء الحياة بيد الآلهة تمنحه لمن تشاء هذه الفكرة التي اقتبستها المسيحية واجرت تحوير جوهري فيها عن طريق تحويل الإله ذاته الى طعام وشراب يمنح الخلود، وفي بلاد الرافدين يوصف الإله اينكي/ايا(Enki/Ea) بأنه: "الذي يعرف طعام الحياة، الذي يعرف ماء الحياة"[2].

وعندما اراد الإله اينكي ان يُنقذ ايناننا من العالم الاسفل فإنه: "استخرج بعد ذلك بعض التراب(العالق)

تحت اظافره، صنع منه كوركَارا

واستخرج من جديد بعض التراب من تحت

اظافره وصنع منه كالاتور(Kalatur)

والى كوركَارا سلم طعام الحياة

و(سلم) الى كالاتور شراب الحياة"[3].

وقدم لهما ما يجب ان يقوما به:

"عند ذلك ليسكب عليها احدكما طعام الحياة

وليسكب الاخر شراب الحياة

وهكذا سوف تعود ايناننا الى الحياة"[4].

---

[1]) انجيل فيلبس،17: 6.

[2]) الجوراني، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم،ص132، 200.

[3]) الشواف، ديوان الاساطير،ج4،ص69-70.

[4]) المصدر نفسه،ج4،ص71.

4. تحقيق الكمال للإنسان:

ان تحول الانسان الى مسيحي غير كاف تماما من اجل تحقيق الكمال الذي لن يتحقق ابدا الا عن طريق تناول جسد المسيح، والقديس توما يخبر الملك غوندافوروس واخيه جاد بهذه الحقيقة: "التمس منكما....ان تتشاركا معي هذا القربان، ووجبة الطعام المقدسة للرب، وان تصبحا كاملين بوساطتها"[1].

5. غفران الخطايا:

عن طريق سر القربان يدخل المسيح ذاته عجائبيا الى جسد المؤمن الذي يتناوله، بمعنى يأكله، وذلك لمغفرة الخطايا أي لتغذية الروح، كما ان الخبز العادي هو لتغذية الجسم[2]، ويتضح ذلك جليا في حادثة المرأة التي جاءت للقديس توما لتخليصها من الشيطان بعد ان قام بتعمديها قدم اليها خبز الافخارستيا وقال لها: "هذا سيكون لتطهيرك من الذنوب، ومن الخطايا الدائمة"[3].

ان الاهمية العظمى لطقس الافخارستيا يحتم على المؤمن عدم الاستهانة به كما فعلت كنيسة كورنثوس والتي تعرضت الى انتقادات بولس الشديدة، لذا فإن أي شخص يخالف قواعد تناول القربان فأنه بذلك يرتكب خطيئة: "فمن أكل خبز الرب أو شرب كأسه، وما كان آهلاً لهما خطى الى جسد الرب ودمه"[4]؛ وان الخطيئة المرتكبة بسبب عدم تناول القربان بشكل سليم سيعرض الانسان الى كافة انواع المصائب: "لذلك كثُر فيكم المرضى والضعفاء ومات

[1]) اعمال القديس توما: 26.

[2]) زيعور، اوغسطينوس، ص29.

[3]) اعمال القديس توما: 50.

[4]) كورنثوس الاولى، 11: 27.

بعضكم"[1].ومن اجل ذلك يطالب بولس كل شخص قبل تناول القربان ان يفحص سلوكه: "فليمتحن كل واحد نفسه، ثم يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس، لأن من أكل وشرب وهو لا يراعي جسد الرب ، أكل وشرب الحكم على نفسه"[2]. ويتضح ذلك جليا في قصة الشاب المذنب مع القديس توما[3]، اذ كان هناك شاباً قد اقترف اعمالا شنيعة، وكان قد قدم وشارك في القربان، ولكن سرعان ما جفت يداه!، لذلك لم يعد قادرا على وضعهما في فمه، وعندما شاهده الذين كانوا حاضرين اخبروا توما بالذي حدث، فدعاه الرسول وقال: "اخبرني يا بني ولا تكن خائفا عن الذي فعلته قبل قدومك الى هنا، لأن قربان الرب ادانك، لأن هذه الاعطية، بدخولها الى كثيرين تجلب الشفاء، لاسيما الى الذين قدموا بأيمان وحب، لكنك ذبلت، والذي حدث لم يحدث من دون بعض التسويغ"، وبالفعل يعترف الشاب الى القديس توما بالذنب الذي ارتكبه وهو قتل امرأة[4].ونقرأ عند اوريجانس في إحدى عظاته: "انتم تشتركون في الاسرار الالهية، انتبهوا باحترام الا يقع شيء من جسد الرب على الارض، واعتبروا قلة الاهتمام جرما"[5]. ويبدو من هجوم القديس اغناطيوس على جماعة المشبهة انه لم يلتزم كل المسيحيين بطقس الافخارستيا: "انهم يمتنعون عن الافخارستيا

---

[1]) كورنثوس الاولى،11: 30.

[2]) كورنثوس الاولى،11: 28-29.

[3]) حول هذه الحادثة والكيفية التي تمكن بها توما من تحقيق الشفاء. انظر: يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة،ص368.

[4]) اعمال القديس توما: 51.

[5]) رستم، آباء الكنيسة،ج2،ص133.

وعن الصلاة لأنهم لا يرون في الافخارستيا جسد يسوع المسيح"[1]. ومن الجدير بالذكر هنا ان احد مفكري المسيحية الاول وهو تتيانوس اسس عام 172م مذهبا من مذاهب الغلاة الاعفة الذين افرطوا في الزهد فحرموا أكل اللحم، وكل ذي نفس والخمر، والزواج، وانكروا خلاص ادم، وفي ما يخص طقس القربان، فإنهم انكروا مع المشبهة جسد المسيح الحقيقي، واستعاضوا عن الخمر الماء في ممارسة سر الافخارستيا[2].

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص26.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص76.

3

الخلاصة ومقارنة نهائية بين السوما-الهاوما والمسيح

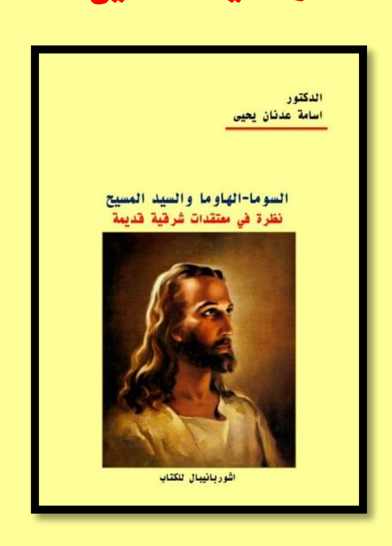
ان دراسة مفصلة لل سوما-الهاوما في المعتقدات الهندية-الايرانية يجعلنا ندرك جيدا مدى المؤثرات التي دخلت الى المسيحية من جراء هذا المعتقد، وان ملاحظات بسيطة لابد القارئ قد توصل اليها اثناء قراءة المادة النصية، والتي لا يمكن في كل الأحوال تغاضيها، وفي الجدول ادناه ابرز تلك المؤثرات التي دخلت الى المسيحية وسنتغاضى عن تلك الصفات الجدلية نوعاً ما:

السوما-الهاوما	المسيح
الهاوما ابن الإله اهورامزدا	المسيح ابن الله
الهاوما-السوما له طبيعتين إله ونبات	المسيح له طبيعتين إلهية وانسانية
الهاوما كاهن الإله اهورامزدا	المسيح هو كاهن حقيقي قدم ذاته لله الاب ذبيحة حقيقية وفاء عن خطايا الناس لذا يوصف بالكاهن الاعظم
الهاوما-السوما قربان	المسيح قربان
الهاوما-الساوما إله ونبات يتعرض للعصر	تم القبض على يسوع في بستان جتسماني وهو مصطلح يعني معصرة الزيتون
يتم تناول الهاوما-السوما في الطعام أو كشراب	يتم أكل جسد المسيح وشرب دمه رمزياً

يتحد الهاوما-السوما مع الشخص الذي يتناوله	اكل جسد المسيح وشربه دمه يحقق الاتحاد بين الانسان والله
الهاوما-السوما لا تخفى عليه خافية، فهو يبصر كل شيء	والمسيح هو الذي يعرف كل شيء، وليس هناك شيء مخفي عنه، وانه وحده الذي يعرف جميع الاشياء
السوما هو النور العظيم الذي يشع على العالم	المسيح هو النور الذي يشع على العالم
السوما-الهاوما تلقى العبادة	تلقى المسيح التقديس والتبجيل والعبادة
السوما-الهاوما سيد السماء والارض	المسيح رب السماء والارض
السوما-الهاوما القوي المقاتل الذي يقهر الاعداء	المسيح هو القوة التي لا تقهر التي تهزم العدو
السوما-الهاوما يمنح القوة	المسيح هو القوة المطلقة في العالم الذي يمنح القوة
السوما خالق العالم	المسيح هو القوة الفعالة التي اوجدت العالم فبه خلق الله كل شيء
السوما ملك عظيم وملك الملوك	المسيح ملك اسرائيل والملك الحي والملك الابدي والملك العظيم

الهاوما-السوما يمنح الخلود	المسيح هو الذي اعطى الحياة الى العالم ويستطيع ان يحيى الموتى في الدنيا والعالم الاخر وتناوله يضمن للإنسان الحياة الابدية
السوما-الهاوما يمنح الحكمة	المسيح يمنح الحكمة
السوما-الهاوما يشفي الامراض	المسيح يشفي الامراض
السوما-الهاوما يحمي البشر من الشر	المسيح يخلص العالم من الشر

السوما-الهاما
والسيد المسيح



يشغل المقدس الحيز الاهم في تفكير الانسان في العالم القديم والحقيقة لا يمكننا ان نفهم الانسان الذي عاش قبلنا بالأف السنين الا من خلال فهمنا طريقة تفاعله مع المقدس الذي اتخذ اشكال عدة ويظهر بتجليات مختلفة. في هذا العمل سنحاول ان نفهم صورتين للمقدس احداهما في الهند وايران والاخرى هنا في الشرق الادنى حيث فلسطين التي ولد فيها السيد المسيح كما سنحاول ان نفهم مدى التماثل والاختلاف والتمازج والتفاعل بين تلك الصورتين رغم البعد الجغرافي الكبير بينهما

اسامة عدنان يحيى استاذ التاريخ القديم المساعد في كلية الآداب في الجامعة المستنصرية له اهتمامات خاصة في الميثولوجيا وتاريخ الاديان قديما. له مؤلفات عدة في تاريخ الشرق القديم والميثولوجيا والاديان هي:

- الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم: دراسة في الاساطير.
- تاريخ الشرق الادنى القديم: دراسات وابحاث.
- السحر والطب في الحضارات القديمة: دراسة تاريخية مقارنة.
- الديانة الزرادشتية: ملاحظات واراء.



اشوربانيبال للكتاب